عمرو بن العاص

القائد والسياسي

تاليــف

الدكتور

عبد الرحيم محمد عبد الحميد علي

١٤١٩- ١٩٩٨

عمرو بن العاص

القائد والسياسي

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(١٩٩٩/٢/١٤٣)

رقم التصنيف : ٩٢٣ر٠١٢

المؤلف ومن هو في حكمه : عبدالرحيم محمد عبد الحميد علي

عنوان الكتاب : عمر بن العاص/القائد السياسي .

الموضوع الرئيسي: ١- الديانات

٢- الائمة المسلمون - تراجم

بيانات النشر : عمان : دار زهران للنشر

* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

الإهـــداء

إلى ،،،

١ - الذين يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار .

٢- اللآتي رضين بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبياً ورسولاً .

٣- والديّ الذّين غرسا نفسيهما في الأرض ليعلماني التمسك بها .

٤- رفيقة دربي منذ خمس وعشرين سنة .

المؤلف

الدكتور عبد الرحيم محمد عبد الحميد علي

المقدمة

ان مفهوم الحضارة ثابت لا يتغير بتغير المجتمعات والأزمان، ولكن الذي يتغير هو مظاهر تلك الحضارة المناطة بأبناء الأمم وابداعهم الفكري والمادي، ومدى عمق دلك الابداع وروعته، الذي يترك بصمات واضحة في سجل حضارتها، وربما كان الإبداع الفكري والعملي لشخصية ما مثلا يحاكى ويحتذى من قبل الأمم الأخرى، حيث يجعل الأمة صاحبة الشخصية المبدعة مثلا فريدا في حد ذاتها من حيث القوة والحضارة والتفرد.

والجانب الآخر لهذه القوة هو الضعف الذي ربما يعود أسباب منها : انقطاع الصلة بين الحاضر والماضي، أو التنكر له فتبدو هزيلة أمام التيارات الحضارية الحديثة، وقد تساير هذه التيارات فتنجرف معها فتتلاشى ملامح شخصيتها، وتصبح عاجزة عن تصور الرؤى المستقبلية فتتعثر في تخطيط مشاريعها الحيوية، وبالنظر للتاريخ العربي الاسلامي نجده حافلا بهؤلاء الأبطال الذين تركوا اثارا واضحة بين صفحاته، من هؤلاء عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي، ذلك العلم القائد والسياسي الذي أسهم في صنع تاريخ أمتنا بأعماله العسكرية، والإدارية، والسياسية.

لاشك أن عمرو بن العاص رضي الله عنه، الذي هب من بطن مكة، مؤمنا بالرسالة المحمدية بعد فترة من العناد، فكان مثالاً للتأمل العقلي، وهو مثلٌ يُحتذي بسيرته، وعلو همته، كان فارساً مقداماً في أصقاع الجزيرة، وانتقل منها الى بلاد الشام قائداً عسكرياً فاتحاً، فتح كثيراً من بلاد الشام، في فترة وجيزة، نازل قادة الروم فانتزع منهم النصر تلو النصر.

انتقل عمرو بن العاص رضي الله عنه الى مصر بهذه العقلية العسكرية، بعد أن أقنع عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بفتحها، وأرسى فيها أسس

الحضارة العربية الإسلامية، بعد أن غير ملامح الثقافة فيها، ولقد دفعه نبوغه العسكري، وهمته الكبيرة الى مد جسر الرسالة الاسلامية، ليصبح فيما بعد أساساً لإتمام فتحها ومنطلقها لفتح الأندلس بعد ذلك.

خطط عمرو بن العاص بعقليته المميزةِ فأثر في مجريات كثيرٍ من الأحداث السياسيةِ في ذلك الوقت، كان عونا للصحابة فبدى برجاحة عقله شخصية يعتمد عليه في المواقف الصعبة التي تحتاج الى حنكة سياسية بجانب الأقدام والشجاعة، فلبى نداء الأمة وكان على مستوى الأحداث التي عاشها فأبدع في إيجاد الحلول لتلك الأحداث.

واذا نظرنا الى السير والتراجم نجد أن دراستها تعكس الأحداث التاريخية وتمثل جانبا من جوانب التاريخ، وبما أن سيرة عمرو بن العاص تمثل جانبا من تلك الجوانب، ونظرا لأهمية الدور الذي قام به هذا العلم في مختلف مراحل حياته، وفقا لتطور الأحداث وتسلسلها وأثره الواضح عسكريا وإداريا وسياسيا حيث كان يعتد برأيه وعمله، ونظرا لما تقدم، تبرز أهمية هذا البحث وجدارته .

ورغم أننا لسنا أول من سلط الضوء على هذه الشخصية، فلقد تناول شخصية عمرو بن العاص تاريخيا الدكتور حسن ابراهيم حسن وذلك بعنوان : تاريخ عمرو بن العاص، فضلا عما أورده عنه في كتابه : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي وكذلك كتابه : من زعماء المسلمين، وأيضا رفيق العظمة حيث ذكر عنه من عمال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في كتابه : من أشهر مشاهير الاسلام وآخر من تناول تلك الشخصية الطالب، علي بن سليمان بن أحمد العطية رسالة ماجستير في الشريعة الاسلامية ١٤٠٦هـ لم تنشر بعد بعنوان : عمرو بن العاص ودوره في الدعوة الاسلامية .

إلا أن « عمرو بن العاص القائد والسياسي » لم أجد له أثرا من خلال اطلاعي على ما وقعت عليه عيني من كتابات، مما يزيد هذا الموضوع أهمية ويجعله جديدا جديرا بالبحث والدراسة .

نود أن نذكر هنا أن سبيل بحثنا هذا كان شائكا نتيجة لعدة عوامل منها : قلة المادة العلمية المتعلقة بحياة عمرو بن العاص الخاصة وتحديدا الفترة ما قبل الإسلام، والتضارب الكبير فيما يتعلق بتاريخ ميلاده، ولا ما يشفي الغليل وينير الدرب حول نسب أمه ووضعها الاجتماعي الذي لم يتضح إلا لمحات منها الحقيقي الغامض ومنها الباطل المضلل؛ مما دفعنا للبحث والتنقيب تدقيقا وتحقيقا في مختلف المصادر، والمراجع التي تمكنا من الوصول اليها، علنا نتمكن من تصوير تلك الأوضاع، بصورة صادقة، أو قريبة من الصحة كما اعتقدناها .

ونظرا لقلة هذه المعلومات، فقد وردت حياته مضطربة بعض الشيء، فضلا عمن تناوله من زوايا معينة وفق مفاهيم خاصة مثل بعض مؤرخي الشيعة أمثال المنقرى، الذي تناول موقعة صفين، والمسعودي الذي بالرغم من علميته فقد أغفل فتح بلاد الشام ومصر متجاهلا دور عمرو بن العاص فيها . فضلا عن أبي الفرج الأصفهاني الذي طرق بعض الزوايا الخاصة لجوانب من حياته .

ولقد زاد الأمر صعوبةً وسوءً : ان كثيراً ممن تناولوا التاريخ العربي الاسلامي لهذه الفترة تناولوه ارضاء لأوضاع سياسية معينة فجاروا عليه حتى جعلوه يبيع دينه بدنياه، ولا ننكر دور بعض المؤرخين الحياديين في هذه الفترة أمثال الطبري : إلا أنه نقل الينا معلومات مزدوجة تحمل ما للحدث وما عليه مما استدعى التمحيص، وفضلا عما أسلفنا فإن المصادر القريبة العهد من حياة هذا العلم كانت قليلة .

وللتغلب على الصعوبات السابقة، فقد عملنا جاهدين في البحث عن جميع الروايات المتعلقة بجوانب حياته وقمنا بمقارنتها لكشف الحقائق التي تكمل أي خلل أو نقص من هذه الجوانب وأدلينا برأينا لإستنتاج واستنباط هذه الجوانب بطريقة علمية .

وقمنا بعرض ما قيل حول مواقف عمرو بن العاص من آراء وروايات شيعية بالتدقيق والرد عليه، بآراء من عاصرهم أو من سبقهم علنا بعملية المقارنة

هذه نتمكن من رسم صـورة سليمة لهذا القائد في هذه الرسالة التـي قدمتها لنيل درجة الماجستير في التاريخ من جامعة القديس يوسف .

املاً ان اكون قد وفقت في ذلك .

والله حسبي

المؤلف

الفصل الأول
نشأة عمرو بن العاص رضي الله عنه

المبحث الأول

أوضاع مكة العامة

اذا أردنا معرفة نشأة عمرو بن العاص رضي الله عنه، لابد من إحاطة سريعة نتعرف من خلالها على أوضاع قريش في مكة، وخارجها لمعرفة الظروف التي أحاطت بهذه الشخصية، فالإنسان ابن عصره وبمقدار تأثيره ايجابي يبرز حدثا ضمن أحداث ذلك العصر فاعلا فيها ايجابا وسلبا .

لذا تناولنا أوضاع مكة خلال قرن، وعلى وجه التقريب خلال الثلث الأخير من القرن السادس الميلادي وبعد منتصف القرن السابع الميلادي، للتعرف على الحياة العامة في مكة خلال هذه الفترة، ومركز قريش داخلها، وخارجها .

مرت بقريش أحداث منها : حرب الفجار تلك الحرب التي شارك فيها رسول الله ﷺ، وهي الحرب التي جرت بين قريش وقيس عيلان، ثم تلتها أيام من الحرب مثل يوم المشلشل ويوم بدر، تلك الأيام التي شارك فيها عمرو بن العاص رضي الله عنه والده وكانت مع بني سعد .

وكذلك تجديد بناء الكعبة المشرفة، ودور رسول الله ﷺ في إزالة الخلاف الذي نشب بين بطون قريش بعد أن استعدت للقتال فيما بينها .

وقفت قريش مواقف جادة حيال معظم تلك الأحداث، فكانت فاعلة فيها مما أبرز أهميتها وزعامتها بين الأحياء والقبائل العربية.

وما دعم هذه الزعامة مكانة قريش الدينية بين القبائل، فهي خادمة البيت الحرام ومنها سدنة الالهة الموجوده في جوفه، ومن حوله، فضلاً عما تقدمه من خدمات عامة للحجاج من سقاية، ورفادة، وغيرها .

كانت لغة قريش صحيحة بينةً، مما جعلها قاسما مشتركا للهجات القبائل العربية التي كانت تقصد الأسواق القريبة منها [1] للتجارة، وكذلك للمفاضلات الشعرية والأدبية، تلك اللغة التي كانت حكما لتميز سمين الأدب من غثه، الأمر الذي زاد من مهابة قريش وشهرتها .

امتد نفوذ قريش الى بعض المراكز المجاورة، كالطائف المعروفة بجوها اللطيف نظرا لارتفاعها عن البحر حيث كانت مقصدا لزعماد قريش، ومجذبا لهم للإصطياف والدعة، وكثرت مزارعهم وحدائقهم، مثل حديقة عتبة وشيبية أبناء ربيعة [2]، وكذلك مزرعة الوهط لعمرو بن العاص رضي الله عنه كما سيأتي ذكره .

جاءت البعثة المحمدية قمة هذه الأحداث، لتنذر قبائل مكة حيث كانت حدثا عظيما غيّر موقف قريش داخل مكه، وزعزع أهميتها بين الأحياء، والقبائل العربية . تلك البعثة التي كانت عاصفةعلى ديانة الآباء والأجداد مما عجل في تقسيم بطون قرش، فكان لهم مواقف مختلفة من هذه البعثة والدعوة، فمنهم المقاوم والمعاند لها، ومنهم المسلّم الداخل فيها، ومنهم المراقب مجاملة لزعمائها منتظرا نتيجة هذه الأحداث .

عاشت قريش عصر الإنقسام فحدثت الهجرة الأولى، والثانية الى الحبشة،

---

(١) سوق حباشن، سوق ذي الحجاز، سوق ذي المجنة، سوق عكاظ.
(٢) ابن هشام : السيرة النبوية، ٢ :٤٨ .

ثم الهجرة الفاصلة الى المدينة المنورة، وهنا بدأت قريش تفقد بعض الشيء من أهميتها خارج مكة بين الأحياء العربية، وعلى الرغم من معاناة قريش من هذه الدعوة الا أن واقع حالها كان يدل على أنها تستعد لتسليم القيادة لوضع جديد غريب عليها، وعلي ديانة ابائه وأجدادها .

ولد في خضم هذه الأحداث بعض رجالات قريش الذين كانوا لهم دور كبير في قيادة الانسانية . وكان من بينهم القائد والسياسي عمرو بن العاص رضي الله عنه .

المبحث الثاني

عُمْرَ عمرو بن العاص رضي الله عنه

سنحاول في هذا المبحث جاهدين أن نبين الروايات المتعلقة بتاريخ مولده وسنة وفاته .

أولا – ميلاده :

تضن علينا السير وكتب التاريخ بمعلوماتها حول ميلاد عمرو بن العاص رضي الله عنه، فلا نجد ما يشير الى تاريخ ميلاده، أو ميلاد أقرانه، ونجد بعض الاشارات مقارنة بمولد غيره الصحابة فمن ذلك قوله : « أذكر الليلة التي ولد فيها فيها عمر بن الخطاب رضي الله عنه [1] وترى عند المتأخرين من الكتاب المسلمين جزم حول عمره، حيث يحدد لنا الذهبي عمره لما ولد عمر بن الخطاب رضي الله عنه قائلا : « قلت : كان أكبر من عمر بنحو خمس سنين » [2]، وجزم نحو ذلك العسقلاني قائلا : « فكان عمرو بن العاص رضي الله عنه لما ولد عمر سبع سنين » [3]. ويبدو أن هذين الافتراضين قريبين من الصحة، حيث إمكانية التذكر مع صفاء الذهن، وقرب الناس من بعضهم البعض في ذلك العصر، فضلا عن الذكاء الذي عُرف به عمرو بن العاص رضي الله عنه، لذا علينا أن نحدد ميلاد عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى نتمكن من تحديد عام ميلاد عمرو بن العاص رضي الله عنه .

يروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : « ولدت بعد الفجار

---

(١) ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ٣: ٥٣، وكذلك العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ٣: ٢.

(٢) الذهبي، سير الأعلام والنبلاء، ٣: ٣ .

(٣) العسقلاني، م.س ٣: ٣ .

بأربع سنين » [1]. لا نعرف أي فجار كانت وأظنها الفجار الأخيرة . ويقول البلاذرى : « بأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولد بعد الفيل بثلاث عشرة سنة» [2] . يمكن تحديد حرب الفجار حسب رواية ابن هشام بأنها حدثت عام ٥٨٣م. وذلك مقارنة مع عمر رسول الله ﷺ اذ يعلمنا : « فلما بلغ رسول الله ﷺ أربع عشرة سنة أو خمس عشرة سنة » [3] . وهو أقرب الى الصحة من ابن اسحاق اذ يقول « هاجت حرب الفجار ورسول الله ﷺ ابن عشرين سنة» [4] . ان مولد عمر بن الخطاب رضي الله عنه حسب الرواية السالفة الذكر سنة ٥٨٣م . ويكون مولد عمرو بن العاص رضي الله عنه قبله بخمس الى سبع سنين هو عام ٥٧٥م - ٥٧٦م . حوالي ٤٦ ق.هـ. تقريب، ويحدد عمر كحاله ميلاده بعام ٥٧٤م. الموافق ٥٠ ق.هـ. [5].

ونجد في الموسوعة الاسلامية أن عمرو كان من أتراب الرسول ﷺ ومزامنا لمولده ﷺ [6]، وهذا ملائم لتقدير عُمر عمرو بن العاص رضي الله عنه الذي عرضناه، أما ما تراه الموسوعة الاسلامية س ان اسلامه كان في منتصف عمره فهو لا يتفق مع تقديرها لعمره البالغ أكثر من تسعين سنة» [7] .

من خلال الاستعراض السابق يمكننا تأكيد الحقائق التالية :-

١- أنه لا يوجد جزم صادق بالنسبة لعام ميلاده، وإنما هي افتراضات، ومن الثابت أن عُمره كان أكبر من عُمر عُمَر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو أصغر من رسول الله ﷺ ومن أترابه .

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٥٣ .

(٢) ابن الأثير، م.ن، ٥٣ .

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ١٦٨:١ .

(٤) ابن هشام. م.ن، ١٧٠:١ .

(٥) عمر كحاله، الأعلام، ٢٤٨:٥.

(٦) H.A.R. GIBB AND KREMERS SHORTER OF ENCYCLOPEADIA OF ISLAM P.451.

(٧) Ibid P.541.

٢- ان الذهبي تدخل في النص افتراضا عُمره بخمس سنين عند مولد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقدر العسقلاني عمره بسبع سنين، وهذا ملائم لمطابقة عمر عمرو بن العاص رضي الله عنه .

٣- من الصعوبة بمكان تحديد مولد عمرو بن العاص نتيجة للتضارب في سنة وفاته .

ثانيا - وفاته :

كما ضنت كتب السير والتاريخ علينا بمعلومات عن مولد عمرو بن العاص رضي الله عنه فقد اختلفت الروايات في سنة وفاته، ويبدو لنا حجم هذا الاختلاف من خلال الروايات التي نستعرضها فيمايلي لإثبات سنة وفاته .

يعلمنا ابن سعد عن عمرو بن العاص قائلا : «ونزلها (مصر) الى أن مات يوم الفطر سنة ثلاث وأربعين في خلافة معاوية ودفن بالمقطم» [١] . أما خليفة ابن خياط فيعلمنا بروايتين قائلا : « مات بمصر سنة اثنتين وأربعين» [٢] . ونرى ابن قتيبة يوكد الاختلاف قائلا : «وقد اختلف في وقت موته، فقيل سنة اثنتين وأربعين، وقيل إحدى وخمسون» [٣]. واذا ما عدنا الى الطبري فيعلمنا من أحداث سنة ثلاث واربعين قائلا: « وفيها مات عمرو بن العاص رضي الله عنه بمصر يوم الفطر» [٤] . جازما سنة الوفاة دون تعداد وايات. ويعدد لنا ابن الأثير الروايات قائلا : « مات سنة ثلاث وأربعين، وقيل سبع وأربعين، وقيل ثمان وأربعين وقيل إحدى وخمسين، والأول أصح . وقال ابن قتيبة نحو ذلك»[٥]. أما الحاكم النيسابوري فيقول : «واختلف في وفاته فحدثني عبد الله بن يحيى

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى، ٧: ٤٩٣-٤٩٤.
(٢) خليفة ابن خياط : طبقات خليفة بن خياط، ٥٧، وتاريخ خليفة بن خياط، ٢٠٦.
(٣) ابن قتيبة : المعارف، ٢٨٧ .
(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٥: ١٨١.
(٥) ابن قتيبة، م.س، ٢٨٦ ، وابن الأثير: أنساب الأشراف، ٤: ١١٧ .

عن عمرو بن شعيب قال : توفى عمرو بن العاص رضي الله عنه يوم الفطر بمصر سنة اثنتين وأربعين وهو وال عليها، وسمعت من يذكر أنه توفى سنة ثلاث وأربعين، وسمعت بعض أهل العلم يذكر أنه توفى سنة احدى وخمسين، وأصح ما سمعت في وقت وفاة عمرو بن العاص رضي الله عنه عن يحيى بن معين يقول : مات عمرو بن العاص رضي الله عنه سنة ثلاث وأربعين» [١] .

ويورد العسقلاني حول تاريخ الوفاة عدة روايات، فيها ما يؤكدما سبق قاذلا : « وقال المثنى وغيره : مات سنة اثنتين وقيل ثلاث، وقال بعضهم : سنة ثمان وقال الهيثم: إحدى وخمسون وقال طلحة والكوفي : سنة ثمان وخمسون، وقتال البخاري والحسن بن رافع عن صخر عن ربيعة : مات سنة احدى وستون، وقال الحاكم النيسابوري وابن عبد البر : وفاته ثلاث وأربعون أصح» [٢].

ويخبرنا الذهبي عن الأقدمين قائلا : « وعن وفاته قالوا : توفي عمرو ليلة عيد الفطر، فقال الليث والهيثم بن عدي والواقدي وغيرهم : سنة ثلاث وأربعين، وقال محمد بن عبد الله بن نمير وغيره : سنة اثنتين، وقال يحيي بن بكير : ثلاث» [٣]. ويرى ابن عبد البر أنه : « مات بها أميرا عليها وذلك يوم الفطر سنة ثلاث وأربعين، وقيل اثنتين وأربعين، وقيل سنة ثمان وأربعين، وقيل سنة احدى وخمسين والأول أصح»[٤]. أما من تناول تاريخ مصر مثل ابن تغري بردي قائلا في عرضه لولاية عتبة بن أبي سفيان : «ولاه معاوية إمارة مصر بعد وفاة عمرو بن العاص رضي الله عنه في شوال سنة ثلاث وأربعين»[٥] . أما الكندي فإنه يذكر : « ان عمرو بن العاص رضي الله عنه توفي ليلة الفطر فغسله عبد الله بن عمرو . . .»[٦].

---

(١) النيسابوري: المستدرك، ٣:٤٥٤.
(٢) العسقلاني : تهذيب التهذيب، ٥٧، وكذلك الإصابة في تمييز الصحابة، ٣:٣.
(٣) الذهبي : سير الأشراف والنبلاء، ٣:٧٧.
(٤) ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ٣:١١٨٩.
(٥) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١١٥ .
(٦) الكندي : الولاة والقضاة، ٣٤، والنووي : تهذيب الأسماء واللغات والألقاب، ٢:٣.

ثالثا – عُمره :

وقع اختلاف كذلك في عمر عمرو بن العاص رضي الله عنه، فمن ذلك ما يرويه لنا العسقلاني قائلا : « توفي وسنهُ نحو مائة سنة»[1] . أما الذهبي فيبني عمره على أساس التقدير قائلا : « فينتج هذا ان مجموع عمه بضع وثمانون سنة»[2] . ويؤكد هذا الزعم ما قاله عمرو بن العاص رضي الله عنه عند وفاته في حواره مع ابن عباس حيث يعلمنا بذلك البري قائلا : «فقال عمرو على حينها من حين ابن بضع وثمانين تقنطني من رحمة ربي، اللهم ان ابن عباس يقنطني من رحمتك فخذ مني حتى ترضي [3] . ونجد في المراجع الحديثة من يقدر عمره بأكثر من تسعين سنة اذ نقرأ في الموسوعة الاسلامية أن عمره لما توفي أكثر من تسعين سنة [4] . أما عمر كحالة فيزيد على التسعين حسبما رأينا عند تحديده لسنة ميلاده سابقا وسنة الوفاة ويظهر عمره عنده من ٥٠ ق.هـ - ٤٣ هـ [5] . ويرى بتلر أن عمره كان خمساً وأربعين سنة عند فتح مصر [6]، وهذا ليس صحيحاً حيث أنه كان يخضب بالسواد وأقره عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما سنرى . يظهر من خلال الروايات السابقة مدى الاختلاف في تقدير عمره وربما كان ذلك عائدا الى كثرة أحداث حياته، أو للإختلاف في إثبات سنة وفاته أو نتيجة جهل سنة ميلاده .

وعلى ضوء ما سبق نرى أن سنة وفاته كانت ليلة عيد الفطر سنة ٤٣ هـ. الموافق سنة ٦٦٢م - ٦٦٣م . وبذلك تكون فترة حياته من ٤٦ ق.هـ / ٥٧٥م - ٥٧٦م . الى سنة ٤٣ هـ. الموافق ٦٦٢م - ٦٦٣م. والفارق في السنوات الهجرية من فرق الأيام، لأن عدد الأيام الهجرية أقل من السنة الميلادية بحوالي

---

(١) العسقلاني : تهذيب التهذيب، ٥٧ .

(٢) الذهبي: سير الأعلام والنبلاء، ٣:٧٧.

(٣) البري: الجوهرة، ٩٩.

(٤) H.A.R. Gibb and J.H. Kermer Short of Encyclopedia of Islam451.

(٥) عمر كحاله : معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ٥:٢٤٨.

(٦) Alfred J. Butler, The Arab Conquest of Egypt p.199.

أحد عشر يوما. لقد قمنا بترجيح هذه الفترة لميلاد عمرو بن العاص رضي الله عنه وعمره وسنة وفاته وفقا للأسباب التالية :-

١- ان الحاكم النيسابوري خبير علم الرجال، وابن عبد البر قد صححا سنة الوفاة برضى دون تعداد الروايات كما أسلفنا .

٢- تأكيد المؤرخين الذين تناولوا تاريخ مصر فيما بعد الأحداث التي جرت أثناء تلك السنة من تولية عتبة بن أبي سفيان .

٣- لم نجد من خلال اطلاعنا في هذا البحث أحداثا تدل على أن عمرو بن العاص رضي الله عنه عاش بعد هذه السنة .

٤- ان ما قيل : بأنه توفي بعد هذه السنة هو مجرد أقاويل مع تأكيد أصحاب رواتها على عدم قناعتهم بذلك باستعمال أفعال : (يقال، وقيل، وقالوا) .

المبحث الثالث

نسب عمرو بن العاص رضي الله عنه

نبين في هذا المبحث مركز بني سهم، مبتدئا بنسب عمرو بن العاص رضي الله عنه لأبيه ومركزه الاجتماعي، ثم نسبه لأمه، ومركزها الاجتماعي لنتعرف على منزلته الاجتماعية، ونوضح تأثير ذلك النسب في شخصية عمرو بن العاص رضي الله عنه وأثرها على سلوكه وذكائه . فمن هو بنو سهم ؟

بني سهم :

لقد حقق عمرو بن العاص رضي الله عنه مكانة عالية بالنسبة لأبيه، ورجاحة عقله وكريم عمله مع ذلك النسب الرفيع الذي ينتمي اليه فهو من بني سهم، أحد بطون قريش ونرى عند الكلبي « ان سهما اسمه زيدا استبق هو وأخوه تيم الى غاية فمضى تيم عن الغاية فقيل جمح تيم ووقف سهم زيد فسمي سهما » [(١)] ونحو ذلك ينقل ابن قدامه [(٢)] « والعاص بن وائل وهاشم بن سعيدش [(٣)]، كانوا من الحكام في قريش . كانت لهم آبار حول الكعبة منها الغمر [(٤)]، ولا يذكرها الأزرقي مع آثار مكه، وقد كان منهم الحارث بن قيس وهو المسؤول عن أموال أصنام قريش، الذي يعده ابن عبد ربه «الحارث بن قيس صاحب قريش»[(٥)] و ويعدهم من البطون التي انتهى اليها الشرف من قريش في الجاهلية فوصلهم بالاسلام وهم عشرة أبطن، هاشم، وأمية، ونوفل، وعبد

---

(١) الكلبي : جمهرة نسب قريش، ١٤١ ونجد بعض أخبار بني سهم عند ابن هشام : السيرة النبوية، الأزرقي : أخبار مكة، ١٦٢:١ ، ابن قتيبة : المعارف، في عدة مواضع، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب، ١٦٠ .

(٢) ابن قدامة : التبين في أنساب العرب، ٤١٣ .

(٣) ابن حبيب : المحبر، ١٣٣ .

(٤) ابن هشام : السيرة النبوية، ١٣٨ الأزرقي : اخبار مكة، ٢٢:٢ .

(٥) ابن عبد ربه : العقد الفريد، ٢٤١:٣ .

الدار، وأسد، وتيم، ومخزوم، وعدي، وجمح، وسهم ... ومن بني سهم الحارث بن قيس وكانت اليه الحكومة والأموال المحجزة والأموال المحجزة التي سموها لآلهتهم [1] . ولا تعرف كيف كانت هذه الحكومة في بني سهم التي ذكرت سابقا، ربما من ترؤسهم لهذه الأموال، وربما يُرجع اليهم في قضاء بعض الأمور، كما أنهم شاركوا في بناء الكعبة كما سيرد ذكره .

أولا – نسبه لأبيه :

انحدر من هذا البطن من قريش العاص بن وائل؛ ليلعب دورا في الجاهلية، وبداية الإسلام؛ وليعطي بعض الدروس والعبر التي ربما استفاد منها عمرو بن العاص. كي نتعرف على العاص بن وائل نورد بعض الروايات التي وردت بنسب عمرو بن العاص رضي الله عنه فمن ذلك نرى الكلبي يورد نسبه بإسهاب قائلا : « انه عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد وهو من ولد سهم بن عمر بن هصيص» [2] . واذا تعمقنا في الأجداد لنصله بقريش نجد أن **هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر المعروف** بقريش[3]، ويذكر ابن قتيبة أنه: «عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن هصيص بن كعب بن فهر بن مالك ابن النضر من كنانة»[5]، وينقل عنه بتلر، ويتفق معه في التسمية ابن الأثير[6]. واذا عدنا الى المتأخرين من مؤرخينا حول هذا النسب، نجد الاتفاق واضحا في نقولاتهم، الا بعض الاختلاف في سعيد وهُصيص [7]، حيث يخبرنا الكندي مصمما على هُصيص

(١) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ٣: ٢٣٦، رفيق العظمة: من أشهر مشاهير الاسلام، ١٨-١٩ .

(٢) الكلبي: جمهرة نسب قريش، ١٤٠ .

(٣) ابن هشام : السيرة النبوية، ٨٦-٩٥ .

(٤) Alfred J. Butler, The Arab Conquest of Egypt P.2000.

(٥) ابن قتيبة : المعارف، ٢٨٥ .

(٦) ابن الأثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة، ٤: ١١٥ .

(٧) العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة، ٣: ٢، ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ٣: ١١٨٤ .

(بضم الهاء)[1] ويوافقه الفاسي في تشكيل الإسمين بالضمة أيضا [2]، مع زيادة في الكنية بأبي عبد الله . كما أننا نجد الفيروز أبادي يعرفنا بهذا البطن الى أبعد من قريش قائلا : « بني سهم بطن من قريش من العدنانية وهم بنو سهم بن عمر بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن مدركة (عمرو) بن الياس بن مضر بن عدنان » [3]. يتضح مما تقدم الاتفاق تقريبا على نسب عمرو بن العاص رضي الله عنه، مع بعض الزيادات الطفيفة وخاصة في تشكيل بعض الأسماء، ونرى أن سعيدا وهُصيصا (بالضم) يبدو صحيحا، لأن التصغير عُرف عند العرب لأغراض عدة منها التحبب. ورغم أن الكلبي صغر هُصيص دون سعيد وغيره لم يصغر ربما كان ذلك تصحيفا، أو خطأ في الرواية والنقل، ويلتقي مع الرسول ﷺ في جده كعب . وقد ألحقنا في نهاية الكتاب تسلسل نسبه .

ثانيا – مركز العاص بن وائل في قريش :

أورد النووي في اسمه (العاصي بالياء)، ويذكر في كثير من كتب الحديث، والفقه، وأكثرها بحذف الياء وهي لغة» [5]، ولقد ظهر اسم العاص بن وائل في الجاهلية بطلا وزعيما كما نرى عند ابن حبيب عندما يذكر العاص بن وائل في يوم من أيام قريش وهو يوم المشلشل : « وقال العاص بن وائل أنا أتولى حملة

---

(١) الكندي : الولاة وكتاب القضاة .

(٢) الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، (تر ٣١٣٢) ص ٣٩٩ .

(٣) الفيروز أبادي : القاموس، ٤ : ١٣٤ وكذلك الزبيدي : تاج العروس، ٨ : ٣٥٢ .

(٤) ابن عبد البر : الأنباء عن قبائل الرواة، ٧١ المقريزي : البيان والأعراب، ٤٨ أبي الفدا: المختصر في تاريخ البشر، ١ : ١١٣ .
عمر كحالة : معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ٢ : ٥٦، النووي : تهذيب الأسماء والألقاب، ٢ : ٣٠ .

(٥) النووي : تهذيب الأسماء واللغات والألقاب، ٢ : ٣ ونرى ذلك عند الأزرقي : أخبار مكه، ١ : ١٦٢ .

(اللواء) قالوا فأخذه العاص فحمله الى أن أتى الى اساف فحلف عنده ألا يفر أو يموت» [1]، وبرز اسمه بين الزعماء المشاركين في حرب الفجار، إذ نراه من القادة الذين أسماءهم في تلك الحرب وفق قول ابن سعد في حرب الفجار قائلا: « وكان من قادتها عبد الله بن جدعان و . . . والعاص بن وائل»[2] .

وشارك في بناء الكعبة، ورفع الحجر الأسود كما يخبرنا الأزرقي قائلا : سوفي الربع الثالث العاص بن وائل»[3]، ولا نجد ذلك عند ابن هشام [4] ولا الطبري أما اليعقوبي فيقول : «وقيس بن عدي السهمي وقيل العاص بن وائل»[5] وأخيرا يطل علينا بصورة معاند لا يعان عليه من خلال حلف الفضول الذي يصوره لنا ابن هشام [6]. أما ابن قتيبة فلم يذكر العاص بشيء، أما محمد بن حبيب فيروي عدة روايات في حلف الفضول [7]، ويصف ابن قتيبة صنعة العاص بن وائل بأنه كان يعالج الخيل والإبل [8]، أما بن حبيب فيعلمنا أنه كان

---

(١) ابن حبيب : المنمق، ١٣١ .

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ١: ١٢١، ابن حبيب : المحبر، ١٧٠ .

(٣) الأزرقي : أخبار مكة، ١: ١٦٤ .

(٤) ابن هشام : السيرة النبوية، ١٨٢ لم يرد فيها اسم العاص ولا تفاصيل أخرى عن القبائل .

(٥) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ٢: ٢٠ .

(٦) ابن هشام : م.س، ١: ١٢٣، ابن قتيبة : المعارف، ٦٠٤ وكان سببه أن رجلا من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاص بن وائل وكان ذا قدر بمكة وشرف فحبس عنه حقه فاستعدى عليه . . . وزبروه : أي انتهروه، فلما رأى الزبيدي أوفى على أبي قبيس عند طلوع الشمس وقريش في أنديتهم حول الكعبة فصاح بأعلى صوته:

يا آلَ فهرٍ لِمظلومٍ بِضاعتُه ... ببطنِ مكةَ نضائي الدارُ والنفرِ

ومُحرِمٍ أشعثَ لمْ يَقضِي عُمرتَه ... يا للرِّجالِ وبين الحِجرِ والحَجرِ

إن الحرامَ لِمن تمّت كرامتُه ... ولا حرامَ لِثوبِ الفاجرِ الغدرِ

فقام في ذلك الزبير بن عبد المطلب وتعاهدوا بالله ليكونن يدا وحده مع المظلوم على الظالم حتى يؤدي اليه حقه . . . ثم مشوا الى العاص بن وائل فانتزعوا منه سلعته فدفعوها اليه أ. هـ.

(٧) ابن حبيب : المنمق، ٣٣٥: ٣٤٢: ٣٤٣ والمحبر، ١٦١ .

(٨) ابن قتيبة : م.س، ٥٧٦ .

(بضم الهاء)[1] ويوافقه الفاسي في تشكيل الإسمين بالضمة أيضا [2]، مع زيادة في الكنية بأبي عبد الله . كما أننا نجد الفيروز أبادي يعرفنا بهذا البطن الى أبعد من قريش قائلا : « بني سهم بطن من قريش من العدنانية وهم بنو سهم بن عمر بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن مدركة (عمرو) بن الياس بن مضر بن عدنان » [3]. يتضح مما تقدم الاتفاق تقريبا على نسب عمرو بن العاص رضي الله عنه، مع بعض الزيادات الطفيفة وخاصة في تشكيل بعض الأسماء، ونرى أن سعيدا وهُصيصا (بالضم) يبدو صحيحا، لأن التصغير عُرف عند العرب لأغراض عدة منها التحبب. ورغم أن الكلبي صغر هُصيص دون سعيد وغيره لم يصغر ربما كان ذلك تصحيفا، أو خطأ في الرواية والنقل، ويلتقي مع الرسول ﷺ في جده كعب . وقد ألحقنا في نهاية الكتاب تسلسل نسبه .

ثانيا – مركز العاص بن وائل في قريش :

أورد النووي في اسمه (العاصي بالياء)، ويذكر في كثير من كتب الحديث، والفقه، وأكثرها بحذف الياء وهي لغة» [5]، ولقد ظهر اسم العاص بن وائل في الجاهلية بطلا وزعيما كما نرى عند ابن حبيب عندما يذكر العاص بن وائل في يوم من أيام قريش وهو يوم المشلشل : « وقال العاص بن وائل أنا أتولى حملة

---

(١) الكندي : الولاة وكتاب القضاة .

(٢) الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، (تر ٣١٣٢) ص ٣٩٩ .

(٣) الفيروز أبادي : القاموس، ٤ : ١٣٤ وكذلك الزبيدي : تاج العروس، ٨ : ٣٥٢ .

(٤) ابن عبد البر : الأنباء عن قبائل الرواة، ٧١ المقريزي : البيان والأعراب، ٤٨ أبي الفدا: المختصر في تاريخ البشر، ١ : ١١٣ .
عمر كحالة : معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ٢ : ٥٦، النووي : تهذيب الأسماء والألقاب، ٢ : ٣٠ .

(٥) النووي : تهذيب الأسماء واللغات والألقاب، ٢ : ٣ ونرى ذلك عند الأزرقي : أخبار مكه، ١ : ١٦٢ .

(اللواء) قالوا فأخذه العاص فحمله الى أن أتى الى اساف فحلف عنده الا يفر أو يموت» [١]، وبرز اسمه بين الزعماء المشاركين في حرب الفجار، إذ نراه من القادة الذين أسماءهم في تلك الحرب وفق قول ابن سعد في حرب الفجار قائلا: « وكان من قادتها عبد الله بن جدعان و . . . والعاص بن وائل»[٢] .

وشارك في بناء الكعبة، ورفع الحجر الأسود كما يخبرنا الأزرقي قائلا : سوفي الربع الثالث العاص بن وائل»[٣]، ولا نجد ذلك عند ابن هشام [٤] ولا الطبري أما اليعقوبي فيقول : «وقيس بن عدي السهمي وقيل العاص بن وائل»[٥] وأخيرا يطل علينا بصورة معاند لا يعان عليه من خلال حلف الفضول الذي يصوره لنا ابن هشام [٦]. أما ابن قتيبة فلم يذكر العاص بشيء، أما محمد بن حبيب فيروي عدة روايات في حلف الفضول [٧]، ويصف ابن قتيبة صنعة العاص بن وائل بأنه كان يعالج الخيل والإبل [٨]، أما بن حبيب فيعلمنا أنه كان

---

(١) ابن حبيب : المنمق، ١٣١ .

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ١ :١٢١، ابن حبيب : المحبر، ١٧٠ .

(٣) الأزرقي : أخبار مكة، ١ :١٦٤ .

(٤) ابن هشام : السيرة النبوية، ١٨٢ لم يرد فيها اسم العاص ولا تفاصيل أخرى عن القبائل .

(٥) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ٢ :٢٠ .

(٦) ابن هشام : م.س، ١ :١٢٣، ابن قتيبة : المعارف، ٦٠٤ وكان سببه أن رجلا من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاص بن وائل وكان ذا قدر بمكة وشرف فحبس عنه حقه فاستعدى عليه . . . وزبروه : أي انتهروه، فلما رأى الزبيدي أوفى على أبي قبيس عند طلوع الشمس وقريش في انديتهم حول الكعبة فصاح بأعلى صوته:

يا آلَ فهرٍ لمظلومٍ بضاعتُه ببطنِ مكةَ تضاني الدارُ والنفرِ
ومُحرمٍ أشعثٌ لمْ يَقضِي عُمرتَه يا للرجالِ وبين الحَجرِ والحجرِ
إن الحرام لِمن تمّت كرامتـه ولا حرام لِثوبِ الفاجرِ الغـدرِ

فقام في ذلك الزبير بن عبد المطلب وتعاهدوا بالله ليكونن يدا وحده مع المظلوم على الظالم حتى يؤدي اليه حقه . . . ثم مشوا الى العاص بن وائل فانتزعوا منه سلعته فدفعوها اليه أ. هـ.

(٧) ابن حبيب : المنمق، ٣٣٥: ٣٤٢:٣٤٣ والمحبر، ١٦١ .

(٨) ابن قتيبة : م.س، ٥٧٦.

زنديقا قائلا : « فإن العاص بن وائل والوليد بن المغيرة تعلموا الزندقة من نصارى الحيرة» [1] .

ظهر الإسلام والعاص بن وائل مستمر في عناده، مفتخرا بنفسه، وزعامته معاديا لأي دين من شأنه انقاص قيمة قريش، أو مركزها الديني، فنراه يشكو النبي ﷺ الى عمه أبي طالب من رواية الطبر « مشى رجال من الأشرف الى أبي طالب عتبة بن أبي ربيعة و . . . والعاص بن وائل » [2] . ولقد استهزأ بالمسلمين وبالرسول كما يصور لنا ابن هشام قائلا : «وكان قد باع من العاص بن وائل سيوفا عملها له حتى كان له مال فقال يا خباب أليس يزعم صاحبكم الذي أنت على دينه . . . إلى أن قال فانظرني الى يوم القيامة يا خباب حتى أرجع الى تلك الدار فأقضيك حقك فنزلت الآية « أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا أطلع الغيب . . . ويأتينا فردا» [3] . وقيل فيه نزلت ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ [4] . ولقد أستهزأ برسول الله ﷺ عندما مات أولاده الذكور، فعيره العاص، فنزلت فيه ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ [5] .

أدرك العاص بن وائل الإسلام، إلا أنه مات مشركا في السنة لأولى للهجرة وقصة موته يوردها بن حبيب قائلا : (فإن العاص بن وائل خرج في يوم مطير على راحلته ومعه ابنان له يتنزه ويتغذى فنزل شعبا من تلك الشعاب فلما وضع قدمه على الأرض صاح فطافوا فلم يروا شيئا من تلك الشعاب فانتفخت رجله حتى صارت مثل عنق البعير فمات من لدغة الأرض» [6] . وفي موقع

---

(١) ابن حبيب : المنمق، ٤٨٨.

(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٢ : ٣٢٣.

(٣) ابن هشام : السيرة النبوية، ٢ : ٧ والآية من سورة مريم ١٩ : ٧٧-٨٠.

(٤) ابن هشام : م.ن، ٢ : ١٠ والآية من سورة الكوثر ١٠٨ : ١-٣ والطبري : م.س ٢ : ٢٣٧ .

(٥) ابن هشام : م.ن، ٣٠، ابن قتيبة : المعارف، ٢٨٥ . والآية من سورة الكافرون، ١٠٩ : ١-٦ .

(٦) ابن حبيب : م.س، ٤٨٥-٤٨٧، ابن هشام : م.س، ٢ : ٤ .

آخر «فربض به حماره على شبرقة فدخلت في أخمصه منها شوكة فقتلته» [1] .

هذا العاص بن وائل بأفعاله، وربما كان له وجه آخر، انما نخلص من تلك الأفعال الى أنه كان سيدا في قومه، محبا لقريش، وكان قائدا من قادتها وربما أثرت تلك الدروس والعبر في تربية عمرو بن العاص رضي الله عنه الذي شاركه تلك الحياة وغرس فأنبت عمرو بن العاص رضي الله عنه .

ثالثا - نسبه لأمه :

لا نجد في كتب التراجم والسير، عند مؤرخينا الأول والأخر ما يكون صورة كاملة لأم عمرو بن العاص رضي الله عنه من حيث كمال النسب والسيرة، وجل ما يمكن فعله حيال هذا الأمر أن نصورها على هدى اللمحات القليلة الآتية. يخبرنا الكلبي : «ان أم عمرو بن العاص رضي الله عنه النابغة بنت جذيمة ينسبونها الى عنزة» [2] أما عمرو بن العاص رضي الله عنه فيقول: «وأمي عنزية» [3]. ونرى ابن الأثير يعلمنا قائلا عنها : «القبها النابغة بنت حرملة سبية من بني جُلان بن عتيك بن أسلم بن يَذْكُر بن عنزة» [4]، أما ابن عبد البر فيذكر : أن «أمه النابغة بنت حرملة سبية من بني جُلان بن عنزة بن أسد بن ربيعة» [5] . أما البُري فيُعَرفها بأنها «النابغة بنت حرملة من جُلان بن عنزة بن أسد بن نزار وكانت سبية من عنزة . . . اسمها سلمى ولقبت بالنابغة» [6]، ونري الزبيدي يخبرنا بأن : «عنزة بن أسد بن نزار بن معد واسمه عمرو، بطن

(١) الشبرقة : نوع من النبات الشوكي من حالاته الضريع والحلة؛ محمود مصطفى الدمياطي : معجم أسماء النباتات الواردة في تاج العروس، ٨٠ .

(٢) الكلبي : جمهرة نسب قريش، ١٤٨.

(٣) ابن قتيبة : المعارف، ٢٨٦.

(٤) ابن الزثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة، ٤: ١١٥-١١٦.

(٥) ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ٣:١١٨٤.

(٦) البري : الجوهرة، ٩٨.

من أسد وهو من اللهازم وقال الكلبي : وقد خلف في عبد القيس بن الأزد ابن عوف بن عدي بن عمر بن مازن بن الأزد»[1]. ونرى العسقلاني يخبرنا قائلا : «وأمه النابغة من بني عنزة» [2] . ومن جهة أخرى فإن ابن حبيب يجعلها من الحبشة [3]، وهذا أمر غريب، ومن ذلك يتضح الجهل الكبير في نسبها، كما يتضح قلة المعرفة في اسم المعركة التي أسرت فيها ومكانها وزمانها وكذلك في تسلسل نسبها، واذا ما عدنا الى قبيلتها فنرى القلقشندي يعلمنا عنها قائلا : «كانت منازلهم من خيبر من أعمال المدينة . (ونقل ابن خلدون) قائلا : وبلاد عنزة في عين التمر في برية العراق على ثلاثة مراحل من الأنبار انتقلوا عنها الى جهات خيبر» [4]. ويخبرنا ياقوت الحموي عن عين التمر قائلا : «عين التمر بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة بقربها موضع يقال له شفاتا» [5] . أما البكري فيعلمنا عن عنزة قائلا : «وانتشرت بكر بن وائل وعنزة وضبيعة باليمامة فيما بينها وبين البحرين الى أطراف سواد العراق» [6].

رابعا – مركز أمه الاجتماعي :

اذا رجعنا الى ابن عبد البر نراه يقدم معلومات أشمل عن وضع أم عمرو قائلا : «وذكروا أنه جُعل لرجل ألف درهم على أن يسأل عمرو بن العاص رضي الله عنه وهو على المنبر فسأله فقال : أمي سلمى بنت حرملة . تلقب بالنابغة، من بني عنزة ثم أحد بني جُلان، أصابتها رماح العرب فبيعت بعكاظ، فاشتراها الفاكه ابن المغيرة ثم اشتراها منه عبد الله بن جدعان، ثم صارت الى العاص بن

(١) الزبيدي : تاج العروس، ٦٢، فصل العين باب الزاي.
(٢) العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة، ٣ : ٢.
(٣) ابن حبيب : المحبر، ٣٠٦.
(٤) القلقشندي : صبح الأعشى، ٢ : ٨٤٦.
(٥) ياقوت الحموي : معجم البلدان، ٤ : ١٧٦.
(٦) البكري : معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ٨٦.

وائل فولدت له فأنجبت فإن جُعِل لك شيد فخذه» [1] . ونرى ابن عبد ربه يجعلها مغنية، حيث يورد قصة أروى بنت عبد المطلب ومعاوية، وهي تعاتبه حول ما حدث بينه وبين علي رضي الله عنه ولما تدخل عمرو بن العاص رضي الله عنه طاعنا في شهادتها قالت له : « وأنت يا ابن النابغة تتكلم وأمك أشهر امرأة تغني بمكة، وأخذهن الأجر، ادعاك خمسة نفر من قريش فسُئلت زمك عنهم فقالت : كلهم آتاني، فانظروا أشبههم به، فالحقوه به، فغلب عليك العاص بن وائل فلحقت به» [2] . ونرى اليعقوبي في ذكر معركة ذات السلاسل يورثها صنعه قائلا : على لسان أبي بكر : (يا ابن بياعة العباء أخرج فأبى قال : يا ابن دباغة القرط . . . . . الى أن قال عمرو بن العاص رضي الله عنه :في اليوم التالي كيف رأيت رأى ابن بياعة العباء» [3] . ومن دراستنا للروايات القلائل السابقة توصلنا الى أن عمرو بن العاص رضي الله عنه وهي سلمى الملقبة بالنابغة، هي أسيرة استبعدت بسبب الحرب، فأصبحت تُباع وتُشترى باعتراف عمرو بن العاص رضي الله عنه. ومما ذكر في الرواية الثانية كونها مغنية فلا نعرف كيف كانت إمرأة عند ثلاثة من كبار زعماء قريش البارزين وتغني . ألم يكونوا قادرين على كفايتها ؟ ونرى في تلك الرواية بعض المبالغة والإفتراء كما أننا لم نجدها عند غيره من المؤرخين وكتاب السير، أما رواية اليعقوبي السابقة فإنه لتزوير وتلفيق واضح، ومرد ذلك يتعارض مع ما عرف من أخلاق أبي بكر، حيث أنه يدرك منزلة عمرو عند الرسول حتى جعله أميرا عليه وعلى عمر بن الخطاب رضي الله عنهم في تلك السرية، كما أننا لم نجد لهذه الرواية أثراً عند المسعودي الذي كتب عن تلك السرية والمعروف بتشيعه ومواقفه الصلبة ضد عمرو بن العاص رضي الله عنه، ولا في كتب التاريخ والسير الأخرى التي

(1) ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ٣:١١٨٤-١١٨٥ وكذلك نجده في الحاشية، الكلبي : جمهرة نسب قريش نقلا عن النويري : تهذيب الأسماء والألقاب، ٢٠:٢٩٧، أما ابن حبيب : المحبر، ٤٥١ فيعدد غير ذلك .

(2) الكلبي : م.س، ١٤٦ نقلا عن ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ٣:١٢ وبالرجوع اليها وجدناها صحيحة .

(3) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي، ١:٧٥.

تناولت تلك السرية والغرض من ذلك هو الزيادة والمبالغة والتشويه. ومن جهة أخرى أنها كانت على جانب عظيم من الذكاء حتى لقبت بالنابغة، وأن زواجها من بعض سادات قريش السالفي الذكر لدليل على أنها كانت على جانب كبير من الأدب والجمال، مما جعلها شخصية مميزة وكان لها دور في صقل ونمو شخصية عمرو بن العاص. أنجبت أخوة لعرو بن العاص رضي الله عنهم: «عروة بن أثاثة من مهاجري الحبشة، وعقبة بن نافع الفهري»[1].

(1) ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ٣: ١١٨٤، ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ١٦٣.

المبحث الرابع

مركزه الاجتماعي

نُلقي بعض الضوء حول الوضع الاجتماعي لعمرو بن العاص من ناحية الثقافة العملية، والدينية، والعسكرية، ورحلاته التجارية، ورحلاته السياسية، نخلص الى وضعه المادي كي نكمل صورة عمرو بن العاص رضي الله عنه وآثار تلك الصورة على وضعه العسكري والسياسي.

أولا- حالته الاجتماعية :

لابد من الإحاطة بحالته الاجتماعية وذلك لإستكمال صورة الأسرة من هذه الناحية، ولمعرفة ذلك لابد من معرفة أزواجه لنرى مراكز أصهاره للدلالة على مركزه الاجتماعي فنعرف أن ريطة بنت منبه بن الحجاج السهمية .. ولدت «لعمرو عبد الله وهو ابن اثنتي عشرة سنة» [١]، وعلى ما يبدو أنه تزوج صغيرا حيث وُلد له وهو في هذا العمر .

ويعرفنا الواقدي باسم آخر لها عندما خرج بها عمرو بن العاص رضي الله عنه الى أحد قائلا : «وخرج عمرو بن العاص رضي الله عنه بامرأته هند بنت منبه ابن الحجاج» [٢] . والصحيح ريطة ومن أولادها أيضا محمد .

أما اليعقوبي فيعلمنا أنها رايطة وقيل ريطة [٣]، ومن زوجاته أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط حيث نقرأ عنها : «فتزوجها عمرو بن العاص رضي الله عنه

---

(١) البُري : الجوهرة، ٥٨و ابن حزم : جمهرة أنساب العرب، ١٦٥.

(٢) الواقدي : المغازي، ١:٣:٢، البلاذري : انساب الأشراف، ٢١٣.

(٣) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي، ١:٣،

فمكثت عنده شهراً وماتت» [1] . ومن زوجاته عاتكه بنت زيد بن نفيل .

مما سبق يتضح لن أن عمرو بن العاص رضي الله عنه قد صاهر أناسا من نفس بطن بني سهم، وهم من رؤوس قريش، مما يدل على رفعه مركزه الاجتماعي من جهة أبيه . وكذلك زواجه الثاني فكان على درجة عالية من النسب، فهي أخت عثمان بن عفان رضي الله عنه، واخوانها عمارة والوليد وخالد لهم تاريخ في الاسلام [3]، وزواجه الثالث من أصول عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وما له من مركز في الإسلام .

كان من مواليه ورد أن ذو الرأي الصائب وله بمصر ولد وسوق تعرف بسوق وردان [4]، ومن مواليه أيضا أبو قبيص [5].

ثانيا – ثقافته :

١– ثقافته العلمية :

لم نعثر في الكتب التي اطلعنا عليها أن عمرو بن العاص رضي الله عنه تعلم القراءة والكتابة، ونرى ابن عبد ربه يعدد الكتاب باللغة العربية قائلا : «جاء الاسلام وليس أحد يكتب باللغة العربية غير سبعة عشر» [6]، ولم يذكر عمرو بن العاص رضي الله عنه ولم يرد اسمه ضمن كتاب الوحي، أما ما نقرأه فكتب عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى معاوية أو ما نجده «وكتب الى عمر يستمده» [7]، ربما كان عمرو بن العاص رضي الله عنه يستخدم كاتبا، وأما ان

---

(١) ابن حبيب : المحبر، ٤٠٨:٤٤٦، والبري : الجوهرة، ٤٢–٤٣.
(٢) ابن حبيب : م.س، ٤٣٧.
(٣) البري : الجوهرة، ١ :٤٢: – ٤٧.
(٤) ابن قتيبة : المعارف، ٢٨٧.
(٥) العسقلاني : الاصابة في تمييز الصحابة، ٣:٣، والذهبي : سير الأعلام والنبلاء، ٥٥:٣.
(٦) ابن عبد ربه : العقد الفريد، ٤ :٢١٢.
(٧) الكندي : الولاة وكتاب القضاة، ٨ وكذلك البري : الجوهرة، ٩٧.

كان المقصود من كتب أنه كان يكتب بنفسه فربما تعلمها على يد أحد المتعلمين في قريش حين كان فيها من يعلم الكتابة كما يعلمنا ابن قتيبة من رواية عن الأصمعي سذكروا أن قريشا سُئلوا من أين لكم الكتاب قالوا من أهل الحيرة»[1]، ويروى أيضا : «ان بشر بن عبد الملك العبادي علم أبا سفيان بن أمية وأبا قيس بن عبد مناف بن زهرة الكتاب فعلما أهل مكة» [2] .

ويمكن أن نفترض أن عمرو تعلم أثناء أسفاره التجارية من أناس كانوا يعرفون الكتابة والقراءة في تلك الديار من بلاد الشام أو مصر أو اليمن.

كان عمرو بن العاص رضي الله عنه يقول الشعر، كما يروي لنا ابن حبيب، والذهبي من تلك الأشعار، التي قالها في مناسبات عدة [3].

٢- ثقافته الدينية :

نشأ عمرو بن العاص رضي الله عنه في قريش، وكان محبا لها، ولعاداتها ودياناتها، وزعمائها، فمن الطبيعي أن يتدين بدينهم أول أمره الى أن تبدأ مرحلة الشك بتلك الديانة . وهو القائل : «انا كنا في قوم لهم علينما تقدم وكانوا ممن توازى أحلامهم الجبال فلذنا بهم» [4]، وقال في التعبير عن مدى تعصبه لدينه:

---

(١) ابن قتيبة : المعارف، ٥٥٢.

(٢) ابن قتيبة : م.ن، ٥٢٣.

(٣) ابن حبيب : المنمق، ٥٢٢.

وقال في حروب الشام، من بحر الزجر :

أضربُهم باللُّج حتى يَخلِدوا لِفرجٍ مِمن مَشَى ودَجْ.

أما الذهبي : فيورد من قصيدة له يذكر عمارة بن الوليد المخزومي كما سيرد ذكره من بحر الطويل في كتابه سير الأعلام والنبلاء، ٥٨:٣، وكذلك البري : الجوهرة، ٩٨:١ :

إذا المرء لم يترك طعاماً يُحبُه ولم يَنهَ قلباً غاوياً حيثُ يُمما

قضى وطَراً منه وغادرَ سبةً إذا ذكرت أمثالُها تملأ الفما

ونرى الأصفهاني : الأغاني، ٥٨:٩ جعلها سبعة أبيات .

(٤) العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة، ٢:٣.

«وأنا بعد نات [١] عن الاسلام أرى لو أسلمت قريش كلها لم أسلم» [٢] .

ولما دخل الاسلام تعلم على يد رسول الله ﷺ. فكان مؤمنا بدين محمد وهو القائل : «قد علم كل ذي عقلٍ أن محمداً لم يكذب» [٣]، ولذا قال عنه رسول الله ﷺ : «أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص» [٤] .

روى الحديث عن رسول الله ﷺ، علما بأنه لم يعايشه الا فترة وجيزة، ويقول الذهبي في هذا العدد : (له أحاديث كثيرة تبلغ بالمكرر نحو الأربعين اتفق البخاري ومسلم على ثلاثة أحاديث منها) [٥] .

٣- خبرته العسكرية :

اعتز الإنسان العربي بفرسه، حتى كانت جزءا من حياته، ونري ابن الكلبي يعرفنا بمحبة العرب للخيل قائلا : « كانت العرب تربط الخيل في الجاهلية، والاسلام معترفة بفضلها . . وتخصها، وتكرمها، وتؤثرها على الأهل، والأولاد وتفخر بذلك» [٦].

نشأ عمرو بن العاص رضي الله عنه في هذه البيئة العربية محبا لجواده، ممتشقا سيفه الذي يخبرنا باسمه ابن حبيب «سيف عمرو بن العاص وائل السهمي اللُّج» [٧] . ولقد كاان عمرو بن العاص رضي الله عنه بطلاً في جاهليته، ونقرأ من أخباره العسكرية عندما غضب اثر شتيمةٍ لأبيه : « فركب في فوارس من

(١) نات : مبتعد.
(٢) الواقدي : المغازي، ٢: ٧٤٢.
(٣) الواقدي : م.ن، ٢٢: ٤٣٢.
(٤) الذهبي : سير الأعلام والنبلاء، ٣: ٦٤.
(٥) الذهبي : م.ن، ٣: ٥٥.
(٦) ابن الكلبي : أنساب الخيل في الجاهلية والاسلام، ٦.
(٧) ابن حبيب : المنمق، ٥٢٢.

قريش فطلب بني سعد . . فلقي رجلين من بني سعد فضرب أعناقهما»[١].
ويخبرنا الواقدي عن مكانته العسكرية في قريش بعد صلح الحديبية قائلا: «حتى دخل في تلك الهدنة صناديد من قريش الذين يقومون بالشرك والحرب عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وأشباه لهم »[٢]، ولقد كان لعمرو بن العاص رضي الله عنه مكانة في الجاهلية تظهر لنا من خلال الروايات التالية ومنها رواية الذهبي: « كان من فرسان قريش وأبطالهم في الجاهلية مذكورا بذلك فيهم، وكان من رجال قريش . . . وبصرا بالحروب»[٣]، لقد شارك في المعارك ضد المسلمين وخرج في معركة أحد بأهله وكان على الخيل : «وجعلوا على الخيل صفوان بن أمية ويقال عمرو بن العاص رضي الله عنه»[٤] . وفي موضع آخر: «وقد وقفت لهم كتيبة خشناء فيها رساؤهم خالد بن الوليد وعمرو بن العاص رضي الله عنه»[٥]. من رواية الواقدي، ان عمرو بن العاص رضي الله عنه ساهم في معركة الخندق، إذ أخذ يصول ويجول محاولا اختراق الخندق والوصول الى صفوف المسلمين كما يصوره لنا الواقدي : «فانتهوا الى مكان من الخندق تظفره الخيل فإذا طليعة من المشركين مائة فارس أو نحوها عليهم عمرو بن العاص رضي الله عنه يريدون أن يغيروا على المسلمين»[٦] . وكان مرافقاً لخالد بن الوليد في هذه المعركة كما نرى من قول الواقدي : «وخيل المشركين تطيق بالخندق وتطلب غرةً ومضيقا في الخندق فتقتحم فيه وكان عمرو بن العاص رضي الله عنه وخالد بن الوليد هما اللذان يفعلان ذلك يطلبان الغفلة من المسلمين»[٧] .

---

(١) ابن حبيب : المحبر، ١٣٥.
(٢) الواقدي : المغازي والسير، ٦٢٤.
(٣) الذهبي : سير الأعلام والنبلاء، ٣:٥٨-٥٩، وكذلك ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ٣:تر، ١٨٨٨ والبري : الجوهرة، ١:٩٨.
(٤) الواقدي : المغازي، ١:٢٢٠.
(٥) الواقدي : م.ن، ٢٨١.
(٦) الواقدي : م.ن، ٢:٤٦٥.
(٧) الواقدي : م.ن، ٢:٤٦٥.

مما تقدم نعلم أن عمرو بن العاص رضي الله عنه كان رجلا عسكريا له قيمته في قريش، وأنه ظهر في الساحة العسكرية أثناد حربها مع المسلمين اذ برز قائدا للفرسان في معركة أحد.

أما أسلوبه الحربي فيتجلى واضحا في معركة الخندق وتحينه الفرصة باحثا عن نقاط الضعف وأماكن قليلة الحراسة ليشاغل عدوه، ومن ثم يهزمه، ان دوره العسكري يظهر جليا بعد إسلامه وفق خطط عسكرية حازمة كما سنرى حتى يحقق الانتصارات.

ثالثا - رحلاته التجارية والسياسية وثروته :

نوضح فيما يلي الأماكن التي ارتحل اليها متاجرا، ونشير الي رحلاته السياسية، ونخلص الى ثروته ووضعه المادي .

١- رحلاته التجارية :

سار عمرو بن العاص رضي الله عنه في تجارته مرتحلا الى اليمن، والشام، والى مصر، والحبشة، ويعلمنا عن رحلته الى بلاد الشام فيقول : «لما كنا بالزرقاء، والزرقاء بالشام من ناحية معان . . . ونحن منحدرون الى مكة» [١] . ويوضح لنا السيوطي قائلا عن خالد بن يزيد : « ان عمرو قدم الى بيت المقدس في نفر من قريش » [٢]، وفي موضع آخر قال : «قدمت مع نفر من أصحابي نطلب الفضل من تجارتنا» [٣]. أما الى اليمن فلا نجد ما يشير الى سفره الا اشارة بعيدة من نوع تجارته التي كان يتاجر بها الى مصر، حيث يصور لنا الكندي

(١) الواقدي : المغازي، ١ : ٢٨.

(٢) السيوطي : حُسن المناظرة، ٤٦ .

(٣) الكندي : الولاة وكتاب القضاة، ٦-٧.

قائلا: «كان عمرو بن العاص رضي الله عنه تاجرا في الجاهلية وكان يختلف بتجارته الى مصر وهي الأدم والعطر فقدم مرة من ذلك الى الاسكندرية»[1] والأدم ربما كانت من صناعة اليمن وربما العطر كذلك ومعروف عن تجارة قريش تلك التجارة التي ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز سلإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف . . . »[2] فربما ارتادها عمرو بن العاص رضي الله عنه مع تجار قريش لا سيما وأنه كان يحضر الأدم والعطر كما سبقت الإشارة إليه، ورواية الكندي متسلسة السند جيدة السرد حول زيارة عمرو بن العاص رضي الله عنه لمصر، إلا أن السيوطي يورد لنا قصة فيها عدم الدقة من ألفاظها «أنه بلَغه»، وأوجزَها عن معرفة عمرو بن العاص رضي الله عنه للأسكندرية : بعد قدومه الى بلاد الشام سافر مع راهب من أهل الاسكندرية كان قدم بيت المقدس للصلاة في كنيستها، فأسقاه عمرو بن العاص رضي الله عنه وأنقذه من ثعبان، فأخذه الى الاسكندرية، ودفع له مالا وأرجعه الى أصحابه، في بيت المقدس سالما . [3] ، وهذه القصة فيها بعض الزيادة التي لا مبرر لها، لعدة أسباب أذكر منها أن صاحب الكتاب يذكر أن التجارة كانت متصلة بين مصر والحجاز قائلا في موضع آخر على لسان عمر بن الخطاب رضي الله عنه : «وقد عرفت أنه كانت تأتيا سفنا فيها تجار من أهل مصر قبل الاسلام»[4]، فربما عرف عمرو بن العاص رضي الله عنه مصر عن طريق أولئك التجار. ومعرفته بالاسكندرية كما وصفه الكندي في الرواية السابقة بطريقة مقبولة فضلا عن أن التجارة بين مصر وبلاد الشام كانت متصلة كما يخبرنا الطبري على لسان أبي سفيان : «وكان وجه متجرنا منها غزة»[5]. فربما عرف عمرو بن العاص رضي الله عنه الاسكندرية عن تلك الطريق أيضا، ونقرأ في كتاب الدولة البيزنطية عن طرق

---

(١) الكندي : الولاة وكتاب القضاة ، ٦-٧ .

(٢) سورة قريش، ١٠٦ : ١-٤ .

(٣) السيوطي : حسن المحاضرة، ٤٥-٤٧.

(٤) السيوطي : م.ن، ٧٧.

(٥) الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٢:٦٤٦.

التجارة التي كانت قريش تسلكها ولا سيما ذلك الطريق الذي سكان يسير من الجنوب الى الشمال من اليمن الى فلسطين وشبه جزيرة سيناء » [1] . أما عن الحبشة فسنرى عدة مواقف تثبت معرفة عمرو بن العاص رضي الله عنه بها، وبما أوجدت هذه القصة لاستكمال وضع عمرو بن العاص رضي الله عنه في مصر . أما الحبشة، فمنها ما يذكره البلاذري : «ان عمرو وعمارة خرجا بعد ذلك في تجارته الى الحبشة» [2] وسنوضح ذلك لاحقا.

٢- رحلاته السياسية :

بدأت هذه الرحلات السياسية برحلته الأولى الى الحبشة مطالبا بالمسلمين وسنتناول ذلك في موضع آخر .

ومن رحلاته السياسية الناجحة تلك التي أرسله رسول الله ﷺ الى عُمان لدعوة جيفر وعباد أبناد الجُلندي، كما سيرد تفصيلها عند البحث في سياسة عمرو بن العاص رضي الله عنه .

٣- ثروته :

للتعرف على ثروة عمرو بن العاص رضي الله عنه علينا أن نلم بالمهنة التي مارسها في الجاهلية وأعماله وأملاكه .

نقرأ في كتاب المعارف حول مهن الإشراف عن صنعته : «وكان عمرو بن العاص رضي الله عنه جزارا» [3] . وربما تلك الصفقة قبل امتهانه التجارة، ولذا

---

(١) نورمان بينز، تعريب د. حسين مؤنس محمود يوسف : الدولة البيزنطية ٣٦٠.

(٢) البلاذري : انساب الأشراف، ٢٣٢، وأبو الفرج الأصفهاني : الأغاني، ٨:٥١. واليعقوبي : تاريخ اليعقوبي، ١:٣، والبري : الجوهرة،٣٨.

(٣) ابن قتيبة : المعارف، ٥٧٥.

يمكن القول أن لمهنتين كانتا مصدر رزق عمرو بن العاص رضي الله عنه الأساسي .

ولقد كان عمرو بن العاص رضي الله عنه من أشراف مكه الذين لهم أملاك في الطائف، كما يعلمنا بذلك ياقوت الحموي [١]، وكان له فيما بعد بفلسطين ضيعة خرج اليها فنزل في أرض فلسطين حتى قتل عثمان ويخبرنا الطبري باسمها «أن عمرو بن العاص رضي الله عنه كان جالس بعجلان »[٢].

أما من حيث الثروة فيخبرنا ابن خياط قائلا : « أنه خلف أموالا كثيرة، وعبيدا، وعقارا، يقال خلف من الذهب سبعين رقبة جمل مملؤةً ذهبا» [٣] أما الذهبي فيعلمنا بأنه خلف من الذهب قناطير [٤] مقنطرة، وقيل غير ذلك وسنشير الى ذلك عند بحث وضعه في مصر لاحقاً .

---

(١) الوهط اسم المكان المطمئن المستوي بين العصفاء والسمر والطلح ... وهو مال لعمرو بن العاص (رضي الله عنه) بالطائف وهو كرم كان على ألف شرى كل خشبة بدرهم ... وقال الاعرابي غرس عمرو بن العاص (رضي الله عنه) بالوهط ألف عود كرم على ألف ألف خشبة بدرهم وقال أبو موسى الوهط قرية بالطائف على ثلاثة أميال من وج (وج: اسم من أسماء الطائف) كانت لعمرو بن العاص رضي الله عنه . ياقوت الحموي : معجم البلدان، ٨ :٤٣٧.

(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٤ :٥٥٨، وابن حزم : جمهرة أنساب العرب، ٢٨٢.

(٣) ابن خياط : طبقات ابن خياط ١٤٨/ ٢٨١٠، وكذلك ابن سعد : الطبقات الكبرى، ٤/ ١٩١.

(٤) الذهبي : سير الأشراف والنبلاء ، ٣:٥٨.

الفصل الثاني

موقف عمرو بن العاص رضي الله عنه من الاسلام

المبحث الأول

موقفه من الرسول ﷺ والمسلمين

لم يكن موقف الانسان العربي في مكة من الدين موقفا جامدا على الإطلاق، ولم ينكر وجود الله -سبحانه وتعالى- الحادا، بدليل انه كان يعبد آله فكان يعبد الأصنام واسطة بينه وبين الله -سبحانه وتعالى-، ولتقربه الى الله كما وصفه الله تعالى في قوله ﴿ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زُلفى﴾ [(١)]، اعترفوا بالله - سبحانه وتعالى - كما عبر عن ذلك عبد المطلب عندما ذهب لأبرهة، وطلب منه إبله قال لأبرهة : « أنا رب الإبل وأن للبيت رب سيمنعه» [(٢)] . ولقد وجدت في قريش الحنيفية وجاورتها الديانة اليهودية والمسيحية فلم يناصبوا أهلها العداء بدليل تعايش أهلها معهم وبالقرب منهم حيث كانوا على صلات عرقية . فضلا عن العلاقات الاقتصادية . بدأت مجانية قريش ومقاومتها لمعتنقي الدين الإسلامي عندماشتمت آلهتهم، هُبل، والعزى، وغيرها، ويؤيد ذلك الطبري في روايته عن ابن إسحق إذ يقول : «وبادئ قومه بالإسلام ولم يردد عليه بعض الرد . . . حتى ذكر

(١) سورة الزمر، ٣٩ : ٢ .

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية، ١ق٤٤ .

آلهتهم وعابها، فلما فعل ذلك ناكروه، واجتمعوا على خلافة وعداوته»[1]، وهذا دليل آخر على تدين الانسان العربي، وكأن الدين جزء من مكونات عقله ومن لحمية دماغه، ويُرجع ابن سيد الناس عدم استجابة قريش للدين الاسلامي الى الحسد قائلا : «فلما جاءهم رسول الله ﷺ بما عرفوا من الحق، حال الحسد بينهم وبين اتباعه»[2] . ان سبب عداء قريش للدين الجديد، هو خوفها على مركزها، وسمعتها، بين أحياء العرب، ويشمل هذا الموقف خوفها على آلهتها التي كانت سببا في تلك العزة والسمعة . وفي هذا الجو المتشدد المعاند عاش عمرو بن العاص (رضي الله عنه)، فلا غرابة أن يكون متشدداً معانداً مثل قومه. ولتوضيح ذلك سنتناول في هذا الفصل مجموعة من القضايا، مبتدئين بالمبحث الأول الذي يحتوي على نقاط منها : موقف عمرو بن العاص من الاسلام في مكة، ثم في المدينة، مبينين رأيه في الاسلام، وسبب تأخره عن الاسلام موضحين هذه القضايا على النحو التالي :

أولا – موقفه في مكة :

لم أعثر من خلال السيرة النبوية ولا من خلال تناول هذه الحقبة ما يثبت ان عمرو بن العاص رضي الله عنه عذب رسول الله ﷺ ولا أحدا من المسلمين الأوائل تعذيبا ماديا بالضرب ونحوه، وجل ما في الأمر أن أباه وقف مستهزئا بمحمد ﷺ وأصحابه فربما اقترن اسمه مع أبيه كما ذكر ابن سيد الناس من رواية ابن عمر قال : «وكان المجاهرون بالظلم لوسول الله ﷺ، ولكن من آمن به من بني هاشم عمه أبو لهب و . . . ومن بني سهم العاص وابنه عمرو[3]، ولم يبين لنا نوعية الشدة هذه، ولا صورة من صورها مما يدفعنا للقول الى أنهما كانا يقفان من الرسول والمسلمين موقفا عدائيا كلاما لم يصل حد الأذية باليد، وحتى

---

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٢ : ٣٢٢.
(٢) ابن سيد الناس : عيون الأثر، ١ : ١٣٧.
(٣) ابن سيد الناس : عيون الأثر، ١ : ١٣٨.

العاص بن وائل فقد كان له وجه آخر غير الاستهزاء، فنراه ينقذ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ويمنعه من الكفار حسب رواية ابن هشام على لسان عبد الله بن عمر : «من الذي زجر القوم عنك بمكة . . . فقال أبي : العاص بن وائل السهمي» [1]، ومما يؤيد ما ذهبنا اليه، ما يرويه لنا الصالحي من رواية البخاري عن عروة قال : «سألت عمرو بن العاص فقلت : أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون برسول الله ﷺ بينما النبي ﷺ في حجر الكعبة إذ أقبل عليه عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا، فأقبل أبو بكر رضي الله عنه حتى أخذ بمكنكبيه ودفعه عن رسول الله ﷺ [2] وقال «أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟» [3] . ونرى مما سق ان صحت هذه الرواية [4] عنه، أنه شاهد تعذيب رسول الله ﷺ ولم يشارك في تعذيبه، وأما قول عمرو بن العاص رضي الله عنه : «كنت أول شيء كافرا فكنت أشد الناس على رسول الله ﷺ» [5]، فيمكن اعتبار تلك الشدة في مواقفه العسكرية وحربه لرسول الله ﷺ وعلى المسلمين لذا عبر بلسانه عن تلك الشدة .

شهد عمرو بن العاص رضي الله عنه تعذيب المسلمين الأوائل ، كما يخبرنا الصالحي نقلا عن البلاذري عن عمر بن العاص قال : «مررت ببلال وهو يعذب في الرمضاء ولو أن بضعة لحم وضعت عليه لنضجت فيدغث في حلقه فيغشى ثم يفيف» [6]، ولا أجد في الرواية ما يدل على أنه عمل على تعذيب

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية، ١:٢٩٩، والزبيدي : نسب قريش، ٤٠٩.

(٢) الصالحي : سبل الهدى ولرشاد في سيرة خير العباد، ٢: ٥٧٣-٥٧٤. وابن كثير : البداية والنهاية، نحو ذلك ٢: ١٤٨-١٤٩.

(٣) سورة غافر، ٤٠:٢٨.

(٤) يذكر ابن هشام : السيرة النبوية، ١:٢٥٩ وكذلك الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٢:٣٣٢ . الرواية السالفة عن عبد الله بن عمرو بن العاص وليس عن أبيه.

(٥) نجد هذه الرواية عند ابن الأثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة، ٤:١١٨. وينقل ابن تغري بردى في النجوم الزاهرة في تاريخ مصر والقاهرة، ١١٥.

(٦) الصالحي : مس، ٢:٤٧٧، نقلا عن البلاذري : أنساب الأشراف، ١:١٨٥، وابن هشام : السيرة النبوية، ١: ٣١٨-٣١٩، ولم أجد هذه الرواية في السيرة النبوية، ٢:٨٥ في قصة تعذيب بلال ربما لاختلاف الطبعة .

المسلمين الأوائل في مكة . ولم يشارك في تعذيب المسلمين من بني سَهم، ويشهد على ذلك قصة اسلام أخيه هشام بن العاص كما يخبرنا ابن عبد البر قائلاً :- «قدم مكة حيث بلغه مهاجرة النبي، فحبسه أبوه وقومه بمكة حتى قدم بعد الخندق مهاجر النبي ﷺ » [1]، فلم يرد اسمه مع من حبس هشاماً . ولقد أسلم من أهل بيته أيضا . . ابنه عبد الله . . كما نرى عند ابن قتيبة إذ يقول : «وأسلم عبد الله قبل أبيه» [2]، فلم يقم عمرو بن العاص بتعذيبه، ولم يكن له رد فعل حيال هذا الموقف .

ثانيا - في المدينة :

برز موقف عمرو بن العاص في هذه الفترة بشكل عدواني عسكري سافر، نحو ثماني سنين هُوجم فيها عمرو بن العاص رضي الله عنه مرة واحدة، عندما كان في تجارة قريش كما رأينا سابقا [3] مع أبي سفيان، وكان نتيجة هذه الهجمة، معركة بدر تلك المعركة التي لم يشترك فيها عمرو بن العاص، ولا نعرف كيف يذكر الواقدي اشتراكه في تلك المعركة قائلا على لسان عمرو بن العاص : « فحضرت بدرا مع المشركين» [4]، وأرى مما سبق أنه لم يحارب المسلمين في تلك المعركة ولم يحضرها. كان المسلمون هم المبادرون في هذه الهجمة، فلم يظهر دور عمرو بن العاص رضي الله عنه، ولا يعني ذلك أنه تنازل عن عناده للمسلمين، فما أن بدأت المبادرة من قريش عندما جعلت همها القضاء على الدعوة الاسلامية في عقر دارها في المدينة المنورة، هب عمرو بن العاص رضي الله عنه ملبيا دعوة قريش قائدا فاعلاً ايجابيا مع قريش ضد

(١) ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ٤:١٤٣٩ - ونحو ذلك ذكر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ٣:٥٧٢، أما ابن هشام : السيرة النبوية فلم يورد «أبوه وقومه» .

(٢) ابن قتيبة : المعارف، ٨٦. ابن سعد : الطبقات الكبرى، :٢٦٢. والذهبي : سير اعلام النبلاء، ٣:٧٨.

(٣) ذكرنا في الفصل الأول ص ٢١ نقلا عن الواقدي : المغازي، ١:٢٨.

(٤) الواقدي : م.ن، ٢:٢٤١.

المسلمين في معركة أحد . أرسلت قريش قادتها لتعبئة العرب للإعداد لمعركة أحد، وكان من بين هؤلاء القادة عمرو بن العاص، ولا غرابة في ذلك، فقد مثل قريشاً عند النجاشي كما سنرى فليس غريبا أن يمثلها عند العرب ويوضح لنا أهمية دوره الصالحي قائلا : «فأجمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ وبعثوا عمرو بن العاص . . . الى العرب يستنفر منها ورأس فيهم أبو سفيان» (١) . فكانت هذه الخطوة الأولى في مواقفه المتعددة العدائية للدعوة الإسلامية . استمر عناده واستنفاره ضد المسلمين، فخرج بزوجته ليقاتل حتى النهاية دون العرض، وإثارة للحمية، كما يصور لنا هذا الموقف ابن هشام قائلا : «وخرج عمرو بن العاص بريطة بنت منبه وهي أم عبد الله» (٢) . حدثت معركة أحد في شهر شوال ٣ / ٦٢٥ . فشارك عمرو بن العاص في المعركة وبرز قائدا للخيل أول الأمر كما رأينا (٣)، وقد اختارته قريش لهذه المهمة العسكرية ادراكا منها بموهبته العسكرية، كما أدركت موهبته السياسية سابقا وأبدى في هذه المعركة حماسا وشجاعة مع خالد بن الوليد . لقد حققت قريش انتصارا على المسلمين في معركة أحد، وآذت الرسول ﷺ وقتلت من رؤوس المسلمين حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، إلا أنها لم تحقق هدفها الأساسي : وهو القضاء على الدعوة الاسلامية .

أما في معركة الخندق فقد كانت المبادرة ليست من قريش، بل من اليهود في المدينة المنورة، حيث تضررت مصالحهم فذهبوا يحرضون قريشا ويثيرون حماسها، زاعمين بأن دينهم الحق، ويغرونهم بالمساعدة للقضاء على محمد ﷺ ودعوته بالمدينة، وأنهم رهن اشارتهم، فأثار اليهود أبا سفيان الذي أصبح زعيما

---

(١) الصالحي : سبل الهدى والرشاد، ٤ :٤٧١، ولم أجد هذه الرواية عند ابن هشام، في السيرة النبوية، ٣ :١٤، ولا عند الطبري في : تاريخ الرسل والملوك، ٢ :٥٠٠ إلا اشارة الاستنفار دون ذكر الرواية .

(٢) ابن هشام : م.س، ٣ :١٥، والطبري :م.س، ٢ :٥٠١ نقلا عن ابن هشام.

(٣) كما ذكرنا سابقاً من رواية الواقدي ولم أجد اسمه قائد للفرسان عند ابن هشام : م.س، ٣ :٨ ولا الطبري :م:س، ٢ :٥٠٥ ولا ابن كثير : البداية والنهاية، ٤ :١٣ .

بعد فراغ مكة من زعامة أبي طالب، فلبي الدعوة، وأخذ يستعد لحرب المسلمين، استجاب له في ذلك عمرو بن العاص كما سبق في معركة بدر . أرادت قريش القضاء على هذه لدعوة التي بدت راجحة سياسيا وعسكريا بعد أن شاعت في الأحياء العربية وجعلت قريش هي الأدنى، فضلاً عن كونها متحكمة في موارد مكة الاقتصادية، فرأى عمرو بن العاص رضي الله عنه رأي قريش في : «أن تستأصل محمد ﷺ ومن معه » [1] بالتعاون مع اليهود .

قدم عمرو بن العاص رضي الله عنه مع قريش والعرب المدينة المنورة لقتال المسلمين في شوال ٥ / ٦٢٦ . فارسا من فرسانها المعتبرين وبدأ مناورا عسكريا كما ذكرنا سابقا [2] . ويظهر لنا ابن سيد الناس أهمية ذلك الدور قائلاً : «ويغدوا خالد بن الوليد يوما، ويغدو عمر بن العاص يوما» [3]، بينما يعتبره الصالحي رئيسا من رؤساء المشركين في تلك المعركة قائلا : «ثم ان رؤساء المشركين وسادتهم أجمعوا على أن يغدوا جميعا لقتال المسلمين . . . أبو سفيان وعمرو بن العاص فجعلوا يطيفون بالخندق يطلبون مضيقا» [4]، وكانت نتيجة هذه المعركة فشل قريش وأحلافها في القضاء على الدعوة الاسلامية، وتبعثرت أحلامها هباءً منثورا وكأنها بداية دعوة للمسلمين كي تبدأ مرحلة الهجوم الاسلامي لتقهر من بدأ بالظلم أولا .

ثالثا - رأيه في الرسول ﷺ والإسلام :

أدرك عمرو بن العاص أن لا طاقة لقريش بهذه الدعوة ببصره الثاقب، ولذا

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية، ٣: ١٢٧-١٣٢ .

(٢) كما ذكرنا في ص ٢٠ من الفصل الأول نقلا عن الواقدي المغازي : ولم يذكر ابن هشام : م.س، ٣:١٢٨-١٤٠ ولا الطبري في تاريخ الرسل والملوك، ٢:٥٧٤، ولا ابن كثير : البداية والنهاية، ٤:١٠٥ دوره قائداً.

(٣) ابن سيد الناس : عيون الأثر، ٣:٨١.

(٤) الصالحي : سبل الهدى والرشاد، ٤:٥٣٢ .

كان عليه ان يغير رأيه فيها، إلا أنه جالد نفسه، واستمر في عناده كما يوضح لنا من خلال رواية الواقدي حيث يعبر عن تلك النفسية والاصرار على لعناد ضد الاسلام، رغم عودته صفر اليدين كما عادت قريش والأحزاب بعد الخندق فنراه قائلاً : «وأنا بعد نـات عن الاسلام أرى لو أسلمت قريش كلها لم أسلم» [١]، ثم خفت حدة عناده، وبدز يدرك الحقيقة شيئا فشيئا، ويراجع نفسه في الزمر فرجع الى مكة وأدرك أن عليه أن ينحاز الى تيار الإسلام ونراه يُعبر بنفسه عن ذلك مخاطب جمعا من قريش له مكانه عندهم قال : «تعلمون والله اني لأرى أمر محمد يعلو الأمور علواً منكر واني رأيت رأيا، قالوا : ما هو ؟ قال : نلحق بالنجاشي أحب الينا من أن نكون تحت يد محمد وأن تظهر قريش فنحن من قد عرفوا، قالوا : هذا الرأي» [٢].

زال العناد عن عقل عمرو بن العاص لما عرف الحقيقة، وكان يود لو أسلم قبل هذه الفترة، ولذا عبر عن أسفه حيال هذا الدين، وحيال صاحب الدعوة قائلاً: «وغير الله قلبي وقلت في نفسي عرف العرب والعجم وتخالف أنت»[٣]. وبدأت مرحلة الأسف وكانت شديدة الوطء عليه، فيعبر عند اسلامه قائلاً : «فوالله ما هو الا أن جلست بين يديه فما استطعت أن أرفع طرفي اليه حياء منه»[٤]، وقال: «ولو سئلت أن أصفه ما أطقت» [٥] .

---

(١) الواقدي : المغازي، ٢ : ٧٤٢.

(٢) الواقدي : م.ن، ٢ : ٧٤٢.

(٣) الواقدي : م.ن، ٢ : ٧٤٣.

(٤) الواقدي : م.ن ٢ : ٧٤٥.

(٥) ابن سعد : الطبقات الكبرى، ٤ : ٢٥٩، النووي : تهذيب الأسماء والألقاب، ٢ : ٣١ ونحو ذلك ذكر الذهبي : سير الأعلام والنبلاء، ٣ : ٦٠ وكذلك العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة، ٣ : ٣ ولم نجد عند ابن هشام : السيرة النبوية، ٣ : ١٧٤ ولا عند الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٣ : ٣١.

المبحث الثاني

موقفه من المسلمين في الحبشة

يدور هـذا المبـحث حول الخـطوات الـتي تم فـيهـا تحرك عمـرو من مـكة، والهدايـا التي حمـلها، موضـحا كيف أخـتير الوفـد، ثم خطة عـمله في الجـولة الأولى وطريقة تعامـله مع النجاشي وأعوانه وموضحا نتائـج تلك الخطة : حيث قلقت قريش وأخذت تلاحق هذه الدعوة في الحبشة بعد تعذيب أهلها في مكة.

بدأ الرسول ﷺ يعرض نفسه على القبائـل في موسم الحج عله يجد حليفا جديدا غير قـريش التي استمرت في عنـادها، وجندت له زعيما مـن قادتها ومن أقرب الناس إليه هو عمه عبد العُزى (أبو لـهب) الذي اتبعه منددا ومفندا الدعوة الاسلامية مخاطبا الناس : «يا بني فلان إنما يدعوكم أن تسلخوا اللات والعز من أعناقكم . . فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه» [(١)].

أقضت دعوة الاسلام مضجع قريش لـما خرجت خارج مكة، وأصبحت في حماية دولة منظمة عند ملك رحيم «لا يظلم عنده أحد» [(٢)]، وخشيت قريش أن ينعـموا في ظل هـذه الحرية بقـوة دفع بشريـة كبيرة سـواء من داخل مكـة أو من خارجها، فـضلاً عما بينـها وبين الحبشة مـن صلات تجارية، لذا فكـرت في دفن هذه الدعوة فـي مهدها لتبقى لـقريش سيادتها الـدينية، ففكرت في استـعادة من هاجر من المسلـمين الى الحبشة فاختارت عمرو بن الـعاص، الذي هب من اجل تحقيق هذا الهدف وفق المراحل التالية :

(١) ابن هشام : السيرة النبوية، ٢ : ٥.

(٢) ابن هشام : م.ن، ٢ : ٢٨٠. والقول من أحتديث رسول الله ﷺ.

أولا- تشكيل الوفد وزعامة عمرو:

ولم يكن أمام قريش بدأ من أن تبحث عن رجالها الذين لهم ثقل وتأثير عند النجاشي، واستقر رأيها على ذلك السياسي القدير الجلد كما وصفته أم سلمة «أن يبعثوا الى النجاشي فينا رجلين جلدين» [1] . أما صديقه في هذه الرحلة ففيه خلاف فبعض المؤرخين وكُتّاب السير قالوا أنه عبد الله بن أبي ربيعة ومنهم من قال أنه عمارة بن الوليد بن المغيرة . وسنحاول من خلال الروايات التالية أن نبين من ذكر عبد الله مرافقا لعمرو بن العاص (رضي الله عنه)، ومن ذكر عمارة من جهة أخرى، ويمكننا القول أن قريش اختارته للأسباب الآتية :

أولا : لأنه كان صديقا للنجاشي .

ثانيا : لأنه كان على علاقة تجارية بالحبشة وهو أعرف من غيره بزعمائها .

ثالثا : نظرا لما يتمتع به عمرو بن العاص من ذكاء وكياسة وحسن تصرف.

رابعا : إدراكا من قريش بسداد رأيه وقدرته وجلده للأمور الصعبة .

قيل أن الشق الثاني من هذا الوفد كان عبد الله بن أبي ربيعة، كما يقر بذلك ابن هشام قائلا : «ابعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص»[2]، ويويد ذلك فريق من المؤرخين،[3] ونرى عند بعض كتّاب السير

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية، ١ :٢٨٩.

(٢) ابن هشم : م.ن، ١ :٢٨٩.

(٣) الفريق المؤيد والقائل بأن عمرو بن العاص هو عبد الله بن أبي ربيعة : الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٢ :٢٣٥، ابن قدامة : مخطوطة الرقة والبكاء نسخة مصورة ل :٤٨، ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ٢ :٧٩، ابن كثير : البداية والنهاية، ٣ :٧٢-٧٥، والسيرة النبوية، ٢ :١٧-٢٤ (تحق) مصطفى عبد الواحد بيروت دار الفكر ط٢ ١٣٩٨هـ وهي القسم الأول من البداية والنهاية، نشرت بمفردها.

المؤرخين من ذكر أنه عمارة بن الوليد بن المغيرة اذ يقول ابن سيد الناس من رواية عبد الله بن مسعود : «وبعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية» . ونحو ذلك يروي غيره [١] . ويذكر ابن كثير عدة روايات مفادها أن رحلة عمر بن العاص بشأن المسلمين كانت رحلتين الى الحبشة قائلا : «وقد قيل أن قريشا بعثت الى النجاشي مرتين الأولى عمارة وعمرو بن العاص والثانية مع عمرو وعبد الله» [٢] ويتراجع مرة أخرى الى عبد الله قائلاً : «ولما قدم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة على قريش» [٣] .

مما تقدم يمكن الترجيح أن الذي رافقه هو عبد الله وذلك عائد للأسباب التالية :

أولاً : من تناول السيرة - بن هشام - أورد ذلك من رواية أم سلمة، وهي من الثابت هجرتهم الى الحبشة حسب الرواية السابقة .

ثانياً : أن الطبري أورد ذلك، ولم يعدد الروايات في هذا الصدد .

ثالثاً : بعض المؤرخين أوردوا رحلة عمرو بن العاص مع عمارة بشأن تجارة[٤] وربما خلط الأمر من كثرة أسفار عمرو الى الحبشة فالتقى بعمارة.

ثانيا – خطته في الجولة الأولى :

الثابت ان قريشا عزمت على ارسال الوفد بزعامة عمرو بن العاص، وربما

(١) أما الفريق القائل بأن مرافق عمرو بن العاص هو عمارة بن الوليد منهم اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي، ٢:٢٩-٣٠، وابن كثير : م.س، ٣:٧٩-٧١. ونرى كذلك عند الأصفهاني في : الأغاني، ٩: ٥٥-٥٩.

(٢) ابن كثير : السيرة النبوية، ٢:٢٧ والبداية والنهاية، ٣:٧٦.

(٣) ابن كثير : م.ن، ٢: ٣٢، ٢:٧٦.

(٤) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي، ١:٣٠.

رتبت له توزيع الهدايا، وبعض السلوك، أو ربما كان تصرفا منه، وسارت خطة الوفد كما يخبرنا الطبري مجملاً القصة قائلاً : «فوجهوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة الى النجاشي مع هدايا كثيرة أهدوها اليه والى بطارقته، وأمروهما أن يسألا النجاشي تسليم من قِبَله بأرضه من المسلمين اليهم فشخص عمرو وعبد الله اليه في ذلك منفذين لما أرسلهما اليه قومهما، فلم يصلا الى ما أمل قومهما من النجاشي فرجعا مقبوحين» [١] فخطط عمرو بن العاص رضي الله عنه كي يصل الى هدفه ولكن الظروف منعته من تحقيق ذلك الهدف فرجع دون نتيجة . وكانت خطته على النحو التالي :-

أ- مع أعوان الملك :

وزع الهدايا على بطارقته ربما من تلقاء نفسه، أو حسب وصية قريش له[٢]، وأخذ مع رفيقه يعبئ البطارقة بعد الهدية، حاثا اياهم لمساعدته عند النجاشي في استعادة المسلمين ولقد نطق في هذا المجال كلمات تدل على الشدة والتركيز على الهدف مثل قوله : «أنه ضوى الى بلد الملك منا غلمان سفاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم . . . وقد بعثنا الى الملك فيهم أشراف قومهم ليردوهم اليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم، فاشيروا بأن يسلمهم الينا ولا يكلمهم» [٣] . لقد كانت خطة محكمة، إذ أنه أسكت الأعوان بالرشوة على شكل هدية ليصل الى هدفه أولا، ثم طلب من الأعوان ما يريد كي ينال المساعدة ثانيا، وكأني بعمرو بن العاص بسياسته وذكائه حرك وسخر دولة بحسن تخطيطه .

---

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٢ : ٣٣٤.

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية، ١ : ٢٨٩.

(٣) ابن هشام : م.ن، ١ : ٢٨٩، وابن كثير : البداية والنهاية، ٢ : ١٨.

ب- مع الملك :

ثم أنه مال الى الملك، فابتداه بالسجود، والسلام، وتقديم الهدية التي قيل أنها مما كان يحب من الأدم [1]، وقيل أدما وحصانا كما يخبرنا ابن كثير قائلا: «وكان أحب ما يهدون اليه من مكه الأدم . . . وذكر موس بن عقبة أنهم أهدوا اليه فرسا وجبة ديباج» [2]، هكذا كانت لباقة عمرو بن العاص رضي الله عنه مع الملك . وقد هيأ الجو مع أعوان الملك ليضمن قوة التصويتا أولا، ثم قدم هدية للملك وطلب منه برقة أسلوب ودقة كلام .

جـ- الطلب والنتيجة :

حقاً لقد كان عمرو بن العاص سياسيا في تصرفه مع أعوان الملك أولا، ثم اتخذ الأسباب ثانيا، وبكل كياسة تصرف مع الملك ثالثا، وبكل دقة قدم كلمات موجزة للملك لا لف فيها ولا دوران رابعا، ولكن النتيجة لم تكن لصالحه في هذه الجولة وذلك لأن بها ملكا رحيما لا يظلم عنده أحد، ذلك لأن النجاشي نظر الى اللاجئين اليه نظرة رحيمة، إذ قال : «أعبيد هم لكم ؟ قالوا : لا، فقال: فلكم عليهم دين، قالوا : لا، قال : فخلوا سبيلهم» فلم يستجب لعمرو قبل أن يعرف دين المسلمين أولا، وما هم عليه، فناظرهم فأعجب برأيهم ثانيا، فأعظمهم في نظره لأنهم أعظموه في نظرهم ولاذوا بدينهم الى جواره كما يوضح لنا ابن هشام على لسان جعفر قائلا : «فلما قهرونا وظلمونا .. خرجنا الى بلادك واخترناك على سواك ورجونا الله أن لا نظلم عندك أيها الملك» [3]، فأعجب بدينهم حتى بكى أساقفتهم، لعلمهم أن عيسي بن مريم بشر بمحمد عليهما الصلاة والسلام، ويخبرنا بهذا البكاء ابن هشام «فبكى والله حتى

---

(١) الأدم : الجلود التي تستعمل بعد دباغتها فرشا .

(٢) ابن كثير : م.ن، ٢ :١٨ .

(٣) ابن هشام : السيرة النبوية، ١ :٢٩٠، ابن كثير : السيرة النبوية، ٢ :٢١ .

أخضلت لحيته وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم» [1]. كيف لا يبكي الملك وهو المسيحي المؤمن بدينه، العادل للجميع، الرحيم الذي لا يظلم عنده أحدا.

ثالثا - خطته في الجولة الثانية :

كانت نتيجة مساعي عمرو في الجولة الأولى الفشل الذريع، ولكنه رضي الله عنه لم يكن ليستسلم بهذه السهولة، وقد رأى بثاقب بصره أن يضرب على الوتر الحساس، وهو تحريك العواطف الدينية، وأن يثير حماس أعوان الملك ليحصل على ما يريد منهم، لا سيما أن دعمهم في المرة الأولى لم يحقق له النتائج، ويصور لنا هذا الدعم ابن هشام من رواية أم سلمة قالت : «فقالت بطارقته حوله صدقا أيها الملك قومهم أعلم بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه» [2]، ولقد كان رد الأعوان ردا دبلوماسيا أيضا، فلم يشهدوا ظلما بالمسلمين، ولم يؤيدوا عمرو بن العاص رضي الله عنه كل التأييد في وصف حال المسلمين، وان كان واقع الأمر يدل انهم مالوا كل الميل مع عمرو بن العاص رضي الله عنه، وسنرى تصرف عمرو في هذه الجولة والخطط التي ابتكرها ليصل الى الهدف المنشود ، والتي جاءت كما يلي :

أ- التعرض للمسيح (عليه السلام) :

أخرج عمرو آخر سهم في جعبته ليقذف به المسلمين كي يكسب القضية كما نرى من رواية أم سلمة يخبرنا ابن هشام : س والله لأتين غدا عنهم بما استأصل به خضراءهم . . . والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم (عليه السلام)

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية، ١:٢٩٠، وابن كثير : البداية والنهاية، ٢:٢١.
(٢) ابن هشام : م.ن، ١:٢٨٩، وابن كثير : م.س، ٢:١٨.

عبدا» [1]، اعتمل الغضب في صدر عمرو بن العاص رضي الله عنه على قومه، ولكنه لم ينس هدفه الذي جاء من أجله فولدت بنات أفكاره خطة جديدة وهي أن يضرب على وتر الدين ليذهب عقل لنجاشي، فيغضب النجاشي فيطرد المسلمين أو يسلمهم .

ب – المطلب والنتيجة العامة :

جاء اليوم التالي فجاء مبكرا صباحا فقال : «انهم يقولون في عيسى قولا عظيما فأرسل اليهم فسلهم عما يقولون فيه» [2] فلم يكن النجاشي جهولا كما رأينا في الجولة الأولى واستمر في حلمه، فدعاهم فأجابوا بما علموا قالوا : «هو روح الله وكلمة ألقاها الى عذراء بتول» [3] .أعجب النجاشي جواب المسلمين ونزل جوابهم في قلبه ولبه نزولا لينا على الرغم من غضب أساقفته كما يصور لنا ابن هشام : «فتناخرت بطارقته . . . فقال : وان نخرتم والله أذهبوا فأنتم شيوم [4] بأرضي . . . ردوا عليهم هداياهما»[5]. وكانت النتيجة الفشل هذه المرة أيضا، كما يبين أصحاب المصادر السابقة صورة خروجهم «فخرجا مقبوحين»[6]. أو فرجعا مقبوحين، وهكذا كانت النتيجة عند ملك لا يظلم عنده أحد كما أسلفنا، بالرغم من جهود عمرو بن العاص رضي الله عنه الواضحة فقد فشل في الحصول على مكسب لقريش .

جـ– مواهب عمرو بن العاص في هذا الموقف :

حقا لقد أعد عمرو بن العاص رضي الله عنه إعدادا جيدا للحوار الأول كما رأينا، ثم عمل برأيه وعقله، ولم ينسه الغضب عقله، وهذه من صفات

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية، ١ : ٢٩١، ونحو ذلك؛ ابن كثير : السيرة النبوية، ٢ : ١٥ .

(٢) ابن هشام : م.س، ١ : ٢٩١، وابن الأثير : الكامل في التاريخ، ٢ : ٨٠.

(٣) ابن كثير : م.س، ١ : ١٥، وردت كلمة عبد الله عند؛ ابن هشام : م.س، ١ : ٢٩١، وابن الأثير : م.س، ٢ : ٨، وابن كثير : م.س ٢ : ١٩ .

(٤) شيوم : آمنون.

(٥) ابن هشام : م.س، ١ : ٢٩١.

(٦) رأي الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٢ : ٢٣٥ .

السياسي الناجح إذ لا تلهيه النتائج الأولية عن هدفه الأساسي فيبقى مركزا تفكيره على هدفه الأول، وبدا هذا الأمر جليا واضحا عند عمرو بن العاص رضي الله عنه، ولقد كانت المحصلة العامة في الجولة الأولى والثانية أن عمرو لم يحقق هدفه، واذا قسنا دقة السياسة بالنتائج الإيجابية، فلا يعني ذلك أنه لم يكن سياسيا قديرا، وجل ما في الأمر أن سعيه كان عند حاكم عارف بالأمور لا يظلم عند أحد. وأراده الله فوق كل شيء .

أما ما أثاره حول عيسى (عليه السلام) فهو مدخل الى عقلية الملك المتدين، وإشارة لعقلية البطارقة، وان كانت النتيجة تصدع تحالفه معهم ضد الملك فلم يكن قاصدا تقسيم البطارقة والملك بمقدار ما جاء الأمر عفويا ليحصل على ما جاء من أجله.

وتدلنا المناورات الأولى، وقوة تأثيره على ثقافته، وقوة عناده ضد المسلمين، وإطلاعه على تعاليم الديانة المسيحية أول بأول، ومتابعة المسلمين وتعاليمهم رغم كفره . ومع ذلك لم يجده اقناعه، ولا اسلوبه أمام شخصية النجاشي فحدث ما حدث .

المبحث الثالث

إسلام عمرو بن العاص رضي الله عنه

نتناول في هذا المبحث دواعي إسلام عمرو بن العاص (رضي الله عنه)، وأسباب تأخره عن الاسلام ثم تاريخ اسلامه وقصة اسلامه ونعرج على سيرته في المدينة بعد ذلك .

أولا : دواعي إسلامه :

نتناول في هذه الزاوية نقطتين نراهما جديرتين بالبحث، النقطة الأولى وهي أسباب تأخر عمرو بن العاص (رضي الله عنه) عن الإسلام، ثم الأسباب المؤثرة في اسلامه .

أ- أسباب تأخره عن الإسلام :

عاش عمرو بن العاص رضي الله عنه في مكة بكل ظروفها حتى أصبحت جزءا من تفكيره . ورأى الناس يدخلون الاسلام، ولكنه وقف مجانبا معاندا كما رأينا سابقا، فلماذا تأخر عن الاسلام عن أقرانه وأمثاله من قريش؟ يمكن ارجاع ذلك للأسباب التالية :-

١- لقد تأخر عمرو عن الاسلام لأنه على دين قريش، فلم يكن قادرا على تخطي ديانة الآباء والأجداد، مثله مثل أقرانه ممن تأخروا عن الاسلام رغم ادراكه لصدق تلك الدعوة كما أدرك أن محمدا رسول الله ﷺ صادق في دعوته فقال : «قد علم كل ذي عقل أن محمد لم يكذب» [١] .

---

(١) الخزرجي : تهذيب الكمال، ٢ : ٢٩١ .

٢- انتماؤه لقريش وزعامتها، كما عبر عن ذلك بنفسه لما سئل عن سبب تأخره، قال : «أنا كنا في قوم لهم علينا تقدم وسن، توازي حلومهم الجبال ما سلكوا فجا فتبعناهم إلا وجدناه سهلا فلما أنكروا على النبي ﷺ أنكرنا معهم ولم نفكر في أمرنا وقلدناهم» [١] .

٣- الاصرار على العناد كما عبر لنفسه عن ذلك حسبما أشرنا صفحة ٣٣ والإستمرار على العنود والحسد كما يعبر بنفسه قائلا : «فنكون تحت يد النجاشي أحب إلينا من أن نكون تحت يد محمد» [٢] .

٤- يرجع سبب تأخر اسلامه أيضا الى إرادة الله عز وجل، عندما انحدرت صخرة من جبل أبي قبيص قائلا : «فلقد كان في ذلك عبرة ولكن لم يرد الله اسلامنا يومئذ ولكن أخر اسلامنا الى ما أراد» [٣] .

ب- الأسباب المؤثرة في اسلامه :

رق قلب عمرو بن العاص رضي الله عنه فأعمل فكره في الاسلام، كما يخبرنا عن ذلك قائلا : «تعلمن والله أني لأرى أمر محمد يعلو علوا منكرا ... وغير الله قلبي عما كنت عليه» [٤]. ولم يكن لاسلام أهل بيته تأثير عليه فعرفنا أن أخاه هشام أسلم قبله ولم يرق قلبه للإسلام، وأسلم ابنه عبد الله ولم تتحرك عواطف الأبوة ليلحق بأبنه ونتساءل عن الاسباب التي أدت الى اسلامه، حيث يمكن حصرها في ما يلي :-

١- يمكننا القول ان تفكير عمر بن العاص رضي الله عنه في الاسلام كان الدافع الأول لاسلامه، حيث عبر عن ذلك بقوله : «فلما ذهبوا وصار الأمر الينا نظرنا في أمر النبي ﷺ . فإذا الأمر بين فوقع في قلبي الاسلام» [٥]. فلم

(١) الزبيري : نسب قريش، ٤١٠-٤١٢، العسقلاني : الاصابة في تمييز الصحابة، ٣:٢.
(٢) الواقدي : المغازي، ٧٤٢:٢.
(٣) ابن حبيب : المنمق، ٤٢٠.
(٤) ابن حبيب : م.ن، ٤٢٠.
(٥) الزبيري : نسب قريش، ٤١٠-٤١٢.

يدخل الاسلام إلا بعد عناء تفكير وتأمل وتبصرة، لذلك قال عنه رسول الله ﷺ «أسلم الناس وآمن عمرو»[1] . فكان إسلامه ايمانا قويا راسخا .

٢- لقد كان النجاشي دور كبير في رقناع عمرو بن العاص في الرسلام، نقرأ على لسان النجاشي قائلا : «اتسالني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى . . . ويحك يا عمرو أطعني غإنه والله على حق» [2] وسواء أسلم النجاشي أم لم يسلم فقد كان لكلماته تأثير في اسلام عمرو، كيف لا وهو صديقه القديم والذي خبر في الاسلام بروية وهدوء ما لم يخبره عمرو . . .

٣- لقد كان لقاء عمرو بن العاص رضي الله عنه بخالد بن الوليد رضي الله عنه أخا السلاح وكذلك عثمان بن طلحة كما سنرى في قصة اسلامه بالهداة [3] حافزا مشجعا لاسلام عمرو كيف وقد كان له مواقف عناد سابقة من الاسلام.

ثانيا – قصة اسلامه :

تتفق الروايات حول طريقة اسلام عمرو، ومن ذلك الاتفاق أنه أسلم عند النجاشي ولقائه بخالد وعثمان بن طلحة، وطريقة إسلامه عند الرسول ﷺ في المدينة، ولكن نقطة الخلاف في تاريخ اسلامه . نورد قصة اسلامه بتصرف عن الطبري[4] . بعد الخندق رجع الى مكة، فأشار على جمع ممن يسمعون منه بالذهاب عند النجاشي منتظراً الاحداث القادمة، ان كانت لقريش أو المسلمين ولما وصل النجاشي قدم له الهدايا قدم عمرو بن أمية من طرف رسول الله ﷺ

---

(١) الذهبي : سير الأعلام والنبلاء، ٣: ٦٤.

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية، ٣: ١٧٣، الواقدي : المغازي، ٢: ٧٤٣، الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٢: ٣٠-٣١، ابن الأثير : البداية والنهاية، ٤: ٢٣٧.

(٣) الهداة : مكان بين مكة والمدينة .

(٤) الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٣: ٣٠-٣١.

للنجاشي، طلب عمرو بن العاص رضي الله عنه من النجاشي أن يسلمه الضمري فغضب النجاشي من طلبه وضربه فأدماه . وغادر الحبشة مرتحلا الى المدينة، وفي موقف الهداة لقي خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة وجرى النقاش بينهم، فعرف كل واحد منهم قصة خروجه للإسلام فساروا الى المدينة وأعلنوا إسلامهم، وكان طلب عمرو أن يغفر له ما تقدم من ذنبه ولم يطلب ما تأخر . أما ما يرويه الزبيري : «واشترط عليه أن يشركه في الأمر فأعطاه رسول الله ﷺ» [1] . فليس صحيحا حيث لم نجد عند غيره ونتساءل الآن عن تاريخ اسلامه .

يرد اسمه رسولا الى صاحبي عمان سنة ست للهجرة كما يعلمنا الطبري، وقيل أسلم بعد الخندق [2]، وهذا ليس صحيحا وقيل أسلم بعد خيبر أو سنة سبع وقيل ثمان قبل الفتح بستة أشهر [3]، أما الزبيري فيجعلها في التاسع بعد الحديبية [4]. ونرى الواقدي يحدد لنا الشهر والسنة التي أسلم فيها مع خالد بن الوليد رضي الله عنه وعثمان بن طلحة (رضي الله عنه) قائلا: «وتقدم عمرو وعثمان فبايعا رسول الله ﷺ وكان قدومنا في صفر سنة ثمان» [5]. ويتفق معه في ذلك بعض المؤرخين [6] وهذا الصحيح للأسباب التالية:-

١- نظرا لإجماع كثير ممن ذكر شهر صفر من السنة الثامنة كما رأينا وحتى من أورده ضمن الرسل في السنة السادسة أورد مرة أخرى اسلامه في السنة الثامنة وربما كان ذلك بثبوت المهمة التي ارسل فيها عمرو .

---

(١) الزبيري : نسب قريش، ٤٠٩-٤١٠.

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية، ٣: ١٧٣، ابن كثير : البداية والنهاية، ٤: ١٤.

(٣) النووي : تهذيب الأسماء والألقاب، ٢: ٣، العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة، ٢: ٣٠.

(٤) الزبيري : نسب قريش، ٤٠٩.

(٥) الواقدي : المغازي، ٢: ٧٤٥، ٧٤٩.

(٦) الطبري : م.س، ٣: ٢٩، ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ٢: ٢٣، وابن عبد البر: م.س، ٣: ١١٨٤-١١٨٦، البلاذري : أسد الغابة في معرفة الصحابة، ٣١٣، العسقلاني، تهذيب التهذيب، ٥٦، والذهبي : سير الأعلام والنبلاء . ٣: ٥٦.

٢- لم نجد مبررا لذكر اسلامه قبل هذا التاريخ الا قوله : «لما انصرفنا مع الأحزاب» (١) . حيث يبينها كما رأينا الواقدي بإثباته التاريخ الصحيح ثم اننا لم نجد لعمرو أثرا في الأحداث التي جرت قبل هذا التاريخ .

٣- لا نعتقد بصحة اسلامه بعد هذا التاريخ نظرا لتلازم اسلامه مع اسلام خالد بن الوليد (رضي الله عنه) كما رأينا .

ثالثاً : سيرته في المدينة المنورة :

أسلم عمرو بن العاص (رضي الله عنه) وانتهت مرحلة العناد فكانت المدينة أول خطوة في طرق العمل، وكانت سنة إسلامه هي سنة ميلاده الجديد، بالرغم من زعامته في الجاهلية فقد استمر زعيما في الإسلام كما قال رسول الله ﷺ ... «خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام ...» (٢) . قدم عمرو المدينة مسلما، أو أعلن اسلامه فاستبشر رسول الله ﷺ به وبمن معه وقال : «رمتكم مكة بأفلاذ كبدها» (٣) . تقديرا منه لهؤلاء واعترافا بمكانتهم في مكه . كان عمرو بن العاص يأمل خلال المسيرة أن تُنسى مواقفه العنيدة، وأن يغفر الله له تلك المواقف فاشترط على رسول الله ﷺ شرطا عند اسلامه قال : «يا رسول الله أني أبايعك على أن يغفر الله لي ما تقدم من ذنبي ولا أذكر ما تأخر» (٤) . فكانت له بشرى على لسان رسول الله ﷺ : «يا عمرو بايع فإن الإسلام يجب ما كان قبله وإن الهجرة تجب ما قبلها» (٥).

انصرف عمرو بن العاص للعمل في ظلال الدين الجديد، ولم يكن له

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية، ٣ : ١٧٣.

(٢) البخاري : صحيح البخاري، ٤ : ٢١٧ من كتاب المناقب.

(٣) الزبيري :نسب قريش، ٤٠٩.

(٤) ابن هشام : م.س، ٣ : ١٧٤، الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٣ : ٣١.

(٥) ابن هشام : م.س، ٣ : ١٧٤، والطبري :م.س، ٣ : ٣١.

غرض غير أن يغفر الله له ذنبه، ويدخل الاسلام مسلما وقد قال معبرا عن ذلك لما وجهه رسول الله ﷺ الى معركة ذات السلاسل كما سيأتي قائلا : «أما المال فلا حاجة لي فيه ووجهني حيث شئت» [1] . ويذكر العسقلاني عنه قائلا : «ما أسلمت من أجل المال بل رغبة في الاسلام» [2]. كان عمرو في المدينة مكرما مقربا بالرأي والمشورة في الأحداث والأمور كما يروي لنا الواقدي على لسانه قال : «فوالله ما عدل به رسول الله ﷺ وبخالد بن الوليد أحدا من أصحابه في أمر حزبه[3] منذ أسلمنا» [4]. ويقول العسقلاني : «ولما أسلم كان النبي ﷺ يُقربه ويُدينه لمعرفته وشجاعته وولاه غزوة ذات السلاسل» [5] كما سنرى . لم يطل المقام به في المدينة، فسار مع الرسول ﷺ الى الأعمال العسكرية كما سنرى في فتح مكة، وسرية سواع، ثم رحل رسولا لرسول الله ﷺ الى عمان داعية ولم ير رسول الله ﷺ بعد تلك البعثة حتى توفي .

---

(١) الزبيري : نسب قريش، ٤١٠.

(٢) العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة، ٣:٣.

(٣) حزبه : عزم عليه أو عقده .

(٤) الواقدي : المغازي، ٢:٧٤٥.

(٥) هذا رأي العسقلاني : م.س، ٣:٢.



الفصل الثالث
دور عمرو بن العاص العسكري

المبحث الأول

زمن الرسول ﷺ

آمن عمرو بن العاص بالفكر الجديد متحملاً كل ما يكلف به، ملبيا النداء تلو النداء، والإمارة تلو الإمارة في قيادة الجيوش الإسلامية، متدبرا بذكائه ومواهبه كل ما ينسب الى قيادته من أمور سياسية وإدارية، حيث كان له دور تحت إمرة غيره من القادة المسلمين مبدعا ومخططا بمواهبه العسكرية في كل مواقفه العسكرية التي خاضه . ونظرا لضيق المقام في هذه الرسالة أولا، وللتركيز على ابراز مواهبه العسكرية ثانيا، ولاتساع الرقعة التي فتحها ثالثا، وحسبما تُوفر لنا المصادر من بعض هذه الصور رابعا، ولقصر المدة التي فتح بها تلك الديار خامسا، فإننا لم نف عمرو بن العاص حقه في المجال العسكري . ونتناول مدى التقدم الذي طرأ على تفكيره العسكري في صراعه مع القوى الخارجية، بعد خروجه من جزيرة العرب كما تبين علاقته بجنده، وأخذه باراء غيره في تلك المعارك، ونبدأ هذا الدور : بعهد الرسول ﷺ نوضح المعارك التي خاضها في هذه الفترة .

أولا – غزوة ذات السلاسل :

لم يطل به المقام في المدينة المنورة فقد مر بأحداث متلاحقة قام بها خير قيام

وكان أولها غزوة ذات السلاسل التي وقعت بعد اسلامه في جمادى الآخرة من السنة الثامنة [1] ٨ هـ/ ٦٢٩ م . شمال المدينة المنورة على طريق الشام بأرض جذام [2].

أما أسبابها «أن جمعا من بلي وقضاعة تجمعوا يريدون أن يدنوا الى أطراف رسول الله ﷺ» [3] وربما أراد الرسول ﷺ اسلام تلك القبائل على يد عمرو بن العاص «وذلك أن عمرو بن العاص كان ذا رحم بهم حيث كانت أم العاص بن وائل بلوية فأراد رسول الله ﷺ يتالفهم بعمرو» [4] . لذا كان عمرو بن العاص سببا عند رسول الله ﷺ بسبب قرابة،بلغ جيشه خمسمائة من الأنصار والمهاجرين فيهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة [5]. أما عن عدوه فيخبرنا المسعودي [6] . خطط عمرو بن العاص بعقليته العسكرية تخطيطا محكما فنجده أحرز النصر رغم ضآلة عدد جيشه، وتظهر عقليته العسكرية من خلال النقاط التالية :-

أولا : الحذر في طريقة سيره «حيث كان يكمن في النهار ويسير في الليل»[7].

ثانيا : منع جنوده من اشعال النار حتى لا تعرف قلتهم «فجمع أصحابه الحطب يريدون أن يصطلوا فمنعهم»[8].

---

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٣:٣١ والمسعودي : التنبيه والاشراف، ١:٢٣.

(٢) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي، ١:٧٥، الطبري : م.س ٣:٣٢، وذكرها المسعودي : م.س، ٢٣١ وراء وادي القرى .

(٣) الواقدي : المغازي، ٢:٧٧٠.

(٤) الواقدي : م.ن، ٢:٧٧٠.

(٥) الواقدي : م.ن، ٢:٧٧٠، والطبري : م.س، ٣:٣١.

(٦) قلقيّه جموع العرب كما يذكر في ص ٢٣١ ونرى اليعقوبي : يجعله من بني عذرة وقبائل من اليمن وربما قصد بذلك أصولهم أو ربما قصد العصبية اليمنية كما لم أجد المناظرة بينه وبين أبي بكر عندما نعت أمه بيائعة العباء، كما ذكرت سابقا .

(٨) الواقدي : م.ن، ٢:٧٧٠. ومعنى يصطلون : يستدفئون، القاموس المحيط : ٨٤٨عم ١ . باب الصاد.

ثالثا : الحزم والسيطرة في المعركة، عندما فرض رأيه على بعض المهاجرين الصحابة قائلا : « أمرتم أن تسمعوا الي وتطيعوا، قالوا إنا نفعل» [١] كما فعل ذلك كبار الصحابة مثل أبي عبيدة حيث قال له : «أنا أمير عليك قال فدونك فصلى عمرو بن العاص رضي الله عنه بالناس»[٢]. لذلك كانت نتيجة هذا التخطيط النصر الباهر حيث يعبر الواقدي عنه قائلا : «حتى وطئ بلاد بلي ودوخها . . حتى انتهى الى بلاد بلي وعذرة وبلقين» [٣] .

ثانيا – أثره في فتح مكة وغزوة حنين :

لم نجد أثرا لدور عمرو بن العاص في فتح مكة ضمن قادة الفتح وكذلك في أحداث الفتح، ربما لأن هذه العملية لم يحدث فيها قتال ذو بال، أو ربما كان في سرية رسول الله ﷺ من المقربين تلك السرية الخضراء كما يعلمنا عنها ابن هشام قائلا على لسان العباس : «هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار، قال أبو سفيان : ما لأحد بهذا قبل ولا طاقة» [٤]، وأيضا في غزوة حنين إلا اشارة من أبي بكر يعلمنا الواقدي قائلا : «وقد رأيت يا عمرو ونحن في مواطن كثيرة . . . رأيت يوم حنين من نصرنا الله عليهم» [٥] .

ثالثا – سرية سواع :

أرسل رسول الله ﷺ بعد فتح مكة قادة لهدم الأصنام فبعث عمرو الى

---

(١) الواقدي : المغازي، ٢: ٧٧٠.
(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٣: ٣٢، ونحو ذلك الواقدي : م.س، ٢: ٧٧١.
(٣) الواقدي : م.ن . ٢: ٧٧١.
(٤) ابن هشام : السيرة النبوية، ٣: ٣٤، الطبري : م.س، ٣: ٤: ٥.
(٥) الواقدي : م.س، ١: ٨.

سواع كما يخبرنا الأزرقي قائلا : «وبعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص الى سواع صنم هذيل فهدمه ثم يجري حوارا مع سادنه الى أن قال : أسلمت لله»[1]. لقد كانت طبيعة هذه البعثة عسكرية حيث هجم عمرو بن العاص رضي الله عنه وأصحابه على الصنم ولم نجد عنده تاريخ هذه السرية ولا مكانها#. لقد حقق عمرو بن العاص رضي الله عنه نصرا عسكريا دون حدوث فتنة، كما حقق نصرا دينيا حيث أسلم سادن الصنم في هذه السرية .

(١) الأزرقي : أخبار مكة، ١:١٣١، الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٣:٦٦. يذكر محقق هذا الكتاب - رشدي الصالح ملحس- (أخبار مكة)، كان في رهاط من بطن نخلة شرقي وادي فاطمة قرب مر الظهران ١:١٣١ أما ابن سيد الناس، فيفترضها في شهر رمضان سنة ثمان ٨/ ٦٢٩ في كتابه عيون الأثر، ٢:٢٣٨. ونرى ياقوت الحموي في : معجم البلدان، ٣:٢٧٦ يقول فكان لهم برهاط من أرض ينبع وينبع عرض من أعراض المدينة وكان سدنته من بني لحيان .

المبحث الثاني

زمن أبي بكر رضي الله عنه

أولا – دوره في حروب الردة :

لا نجد لعمرو بن العاص دورا واضحا في حروب الردة إلا اشارات فربما لا تدل على أعمال عسكرية صرفة فنرى البلاذري يجعله تحت قيادة خالد بن الوليد قائلا : «بعث خالد بن الوليد هشام وأخاه عمرو . . . الى بني عامر بن صعصعة فلم يقاتلوه وأظهروا الإسلام والإذعان فانصرف عنهم» (1) . أما الطبري فسلمه لواء دون بيان نتائج له قائلا : «وعقد أحد عشر لواء أبو بكر الصديق رضي الله عنه . . . ولعمرو بن العاص جماع قضاعة ووديعه والحارث»(2) . ونجد الكلاعي لا يشركه في تلك الحرب حيث يوصي خالد بن الوليد قائلا : «يا أبا سليمان لا يفلت منك قرة بين هبيرة»(3) . ونجده في المدينة حيث دعاه أبو بكر لاستجوابه في قصة قرة بن هبيرة لما أسر مع المرتدين حيث قال له : ما تعلم من أمر هذا فقص عليه خبره .

وبالرغم مما أورده الطبري إلا أنه يورد لنا عمل عمرو خلال هذه الفترة قائلا : «وقد كان أبو بكر قد أمر عمرو بن العاص على عمالته التي كان رسول الله ﷺ قد ولاه إياه من صدقات سعد هذيم وعذره، ومن لفها في جذام جَدَّس قبل ذهابه الى عُمان، فخرج الى عُمان وهو على عِدة من عمله اذا هو رجع»(4) . يبدو مما سبق ان عمرو لم يشترك في حروب الردة وربما كان ذلك

---

(1) البلاذري : فتوح البلدان، ١٠٦ .

(2) الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٣:٢٤٩، ابن كثير : البداية والنهاية، ٦:٣١٥ .

(3) الكلاعي : حروب الردة، ٦٢-٦٣ .

* الطبري : م.س، ٣:٢٦٠، الكلاعي : م.ن، نجد تفاصيل هذه القصة ٦٢-٦٣ أما ابن الأعثم : الفتوح، ١٩٠١ فيورد القصة مخالفا الكلاعي والطبري محملا عمرو الغلطة في المعاملة، والبلاذري : م.س، ١:١٠٦ .

(4) الطبري : م.س ٣:٣٨٩ .

بسبب قدومة الى المدينة او لانه رجع على عمله فكانت مهمته في هذه الفترة جمع الصدقات ويؤيد ذلك ما يشير الية مختصر الموسوعة الاسلامية حيث انة لم ير الرسول ﷺ ثانية وان خبر موته وصله الى عمان، واقتضى عودتة الى المدينة ولكنه لم يبق هناك طويلا [١] .

ثانيا – دوره في فتوح الشام :

أ- اعداد الجيش ودور عمرو فيه :

بدأت رحلة عمرو بن العاص العسكرية الجادة في بلاد الشام حيث برزت عقيلته بشكل واضح سواء في المعارك التي قادها أو التي شارك فيها تحت إمرة غيره.

بعد أن انتهى أبو بكر من حرب الردة فكر في فتح بلاد الشام فأعد أربعة جيوش بقيادة «عمرو بن العاص قبل فلسطين فأخذ طريق المعرقة على أيلة وبعث يزيد بن أبي سفيان وأبا عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة وأمرهم أن يسلكوا التبوكية من علياء الشام» [٢].

وكان جيش عمرو بن العاص من أهل مكة والطائف وهوازن وبني كلاب»[٣]. وكان أبو عبيدة بن الجراح قائد هذه الجيوش، فرغب عمرو بن العاص رضي الله عنه القيادة لا حبا في الرئاسة بل رغبة في السيطرة على زمام الأمور لينزع النصر من عدو عرفه وأرض خبرها أثناء تجارته، فذهب الى عمر بن الخطاب وقال له : «يا أبا حفص أنت تعلم شدتي على الأعداء وصبري على الجهاد فلو كلمت الخليفة ليجعلني أميرا على أبي عبيدة . . . وأني أرجو أن يفتح

---

(١) H.A.R. GIBB J.H. Kremer, Short of Encylopeadid of Islam,451.

(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٣ : ٣٨٧، اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي، ٢ : ١٣٣.

(٣) الواقدي : فتوح الشام، ١ : ١٧، والبلاذري : فتوح الشام، ١١٥-١١٦.

الله على يدي البلاد ويهلك الإعداد . . فلم يقبل عمر بن الخطاب، وقال ماكنت بالذي كذبك . . . فإنه ليس على أبي عبيدة أميرا فاتق الله ولا تطلب إلا شرف الآخرة» [1] . لم يخطئ عمرو بطلبه هذا فقد عرفه أبو بكر وعمر رضي الله عنه ولقد عزل أبو بكر أبا عبيدة فيما بعد كما سيظهر وولى خالدا الأمر ثم أن عمر بن الخطاب قال عنه «ما ينبغي لعمرو أن يمشي على الأرض إلا أميرا»[2]، وقد صدق عمرو عندما عبر عن عقيلته الحربية قائلا : «ما كنت بشيء أتجر مني بالحرب» [3].

ب- نظرة عمرو بن العاص للفتح :

لا شك أن العامل الديني كان أول الأسباب التي دعت المسلمين لفتح بلاد الشام كما يخبرنا أبو بكر من رواية الواقدي قائلا : «أعلموا أن رسول الله ﷺ نوى أن يصرف همته الى الشام فقبضه الله» [4] . ولقد كانت لعمرو بن العاص نظرة في فتح بلاد الشام فضلا على ما سبق كما يصورها لنا الواقدي[5] وهي :

أولا : الجذور التاريخية «نحن أولاد اسماعيل . . وكان نوح قد قسم الأرض شطـطا، وهذه الأرض ليست لكم . . . وأعطي ولده سام الشام . . . الى حضرموت وعمان والعرب كلهم أولاد سام [6] . . . ونريد أن نرد هذه القسمة فنأخذ ما في أيديكم» [7].

---

(١) الواقدي : فتوح الشام،١:١٧، ابن أعثم : الفتوح، ١:١٢٢-١٢٣.

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ١٨٠.

(٣) الواقدي : م.س.، ١:١٦.

(٤) ابن عبد الحكم : م.س، ١٨٠.

(٥) لابد من الإشارة الى فتوح الشام الذي بهامشه كتاب الدره الكلله في فتح مكه المشرفه للإمام الشيخ عبد الله الشرقاوي اختلف في أسلوبه عن كتاب المغازي فيما يختص بأسلوب السجع واللغة مما يدفعنا الى القول انه الف بأسلوب غيره ولغة لا تتلائم مع لغة القرن الثالث الهجري وهي اقرب لغة القرون المتأخرة فضلا عن التضارب في كثير من الأسماء والمعلومات كما سنشير فيما بعد، ولقد اخذت منه بعض المعلومات لأغراض إكمال البحث وكان اخذنا منه لبيان بعض المواقف لعمرو بن العاص في سير المعارك دون أن ينحرف البحث عن سيره والحقيقة عن موضعها .

(٦) الواقدي : م.س، ١:١٢.

(٧) الواقدي : م.ن، ١:١٢.

ثانيا : العوامل الاقتصادية : «ما زعمت أن الجهد أخرجنا من بلادنا فنعم كنا نأكل خبر الشعير والذرة» (١).

جـ- سيره الفتح :

١- معركة غمر العربات :

سار عمرو بن العاص حسب الطريق المرسوم الى فلسطين بجيش بلغ سبعة آلاف وخمسمائة الى أن التقى بالروم بغمر العربات، حيث قابل تذارق يقود تسعين الفا، ونزلوا ثنية جلق بأعلى فلسطين (٢). وكانت خطته محكمة حيث، بدأ عمرو بن العاص بتعبئة الجيش بخطة رشيدة بعد أن استشار قادته «أنا واياكم في هذا الأمر بالسواء فاستعينوا بالله وقاتلوا عن دينكم» (٣). ثم سير الطلائع بقيادة عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وضم اليه ألف فارس ليجيء بنفس عدده . ليفاجىء به عدوه، وقد رتب الجيش (٤) «رتب أصحابه وجعل في الميمنة الضحاك .. وثب عمرو في القلب ثم جعل يصفهم ويعبئهم تعبئة الحرب. . .» (٥).

٢- داثن :

سير عمرو طلائعه ليعرف قوة أعدائه بقيادة خالد بن سعيد فتمكن من أسر

---

(١) البلاذري : فتوح البلدان، ١: ١١٥-١١٦، ويذكر الواقدي : فتوح الشام ١ :٨ تسعة آلاف ١ :٨.

(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٣ :٣٩٢ وجعلها الطبري بقيادة أبي أمامة الباهلي ٣ :٤٠٦.

(٣) الواقدي : م.س، ١ :٩.

(٤) الواقدي : م.ن، ١ :١١.

(٥) الواقدي : م.ن، ١ :١١. وقد كان أبا امامة قائدها وذلك نتيجة لتعاون هذه الجيوش مع بعضها البعض، وقد يكون تحت إمرة عمرو بن العاص، ويؤيد ما ذهبنا اليه حول هذا التضارب وغيره في فتوح الشام الى ما ذكره الطبري : م.س، ٣ :٤٤٤ قائلا : «اذا كان الخبر الذي فيه الاختلاف ما ذكر من فتوح جند الشام ومن الأمور التي تستنكر وقوع مثل هذا الاختلاف الذي ذكرته في وقته لقرب بعض ذلك من بعض».

قافلة الامـداد لجيش الروم [1] وتعرفوا على ذلك الجيش وموقعهم قـال : سفما بلغكم عن جيش الروم قالوا : بأجنادين وهذا البطريق أقبل إلينا لأخذ الميرة والعلوفة» [2]. ونرى البلاذري يخبرنا أنها أول وقعة كانت بين المسلمين وعددهم بقرية من قرى عزة يقال لها داثن. [3]

٣- معركة اليرموك :

كانت هذه المعركة بقيادة خالد بن الوليد إلا أن عمرو بن العاص (رضي الله عنه) كان له رأي إذ أشار على المسلمين بالاجتماع في مكان واحد عندما (فزعوا) بالكتب والرسل الي عمرو . «ان ما الرأي؟ فكاتبهم وراسلهم أن الرأي بالإجتماع وذلك ان مثلنا أن اجتمع لم يغلب من قلة فاتعدوا اليرموك ليجتمعوا به» [4] وهذا دليل على عقيلته العسكرية واعتراف قادة المسلمين له بذلك ولقد بدأ هذا التجمع في شهر صفر الى ربيع الأول سنة ثلاثة عشرة وحدث القتال في جمادى الآخرة ١٣هـ/ ٦٣٤ م. [5]

أما دوره فهو تحريض المسلمين اذ قال لهم : «أيها الناس أبشروا حصرت والله الروم وقلما جاء محصور بخير» [6] وفضلا عن ذلك فقد كان قائد على ميمنة الجيش حيث جعل خالد «الميمنة كراديس وعليها عمرو بن العاص وفيها شرحبيل بن حسنة» . [7]

---

(١) الواقدي : فتوح الشام، ١٢:١.

(٢) الواقدي : م.ن، ١٢:١.

(٣) البلاذري : فتوح البلدان، ١١٧:١، أما الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٣: ٤٠٦ فيجعلها بقيادة أبي أمامة الباهلي كما في المعركة الأولى غمر العربات . وأود الإشارة هنا الى اننا اعتمدنا في تسلسل هذه المعارك وغيرها على روايات الطبري لما رأينا من الدقة والتسلسل في هذه المعارك .

(٤) الطبري : م.ن، ٣٩٢:٣.

(٥) الطبري : م.س، ٣٩٥:٣، أما الذهبي : تاريخ الاسلام، ١٠:٢ فيرى ذلك وهما.

(٦) الطبري : م.س، ٣٩٣:٣ ويرجح سنة خمس عشرة .

(٧) الطبري : م.ن، ٣٩٦:٣.

لقد رسم للمسلمين خططا عظيمة في هذه المعركة كما يخبرنا ابن كثير قائلا : «يا أيها المسلمون غضوا الأبصار واجثوا على الركب ورعوا الرماح فإذا حملوا عليكم فأمهلوهم حتى اذا ركبوا أطراف الأسنة فثبوا اليهم وثبة الأسد». [1]

ولقد حافظ على لواء المسلمين «فأخذه عمرو ولم يزل يقاتل حتى انهزم الروم» [2] بقيادة التذارق وبهان . بهذه العقلية ساهم في النصر على جيش الأعداء الذي بلغ : «أربعون ومائتا ألف بجيش بلغ ست وثلاثون ألفا» . [3]

ثالثا – مواهبه العسكرية في هذه الفترة :

على ضوء ما رأيناه من طريقته في إدارة المعارك فقد تميزت عقلية عمرو بن العاص رضي الله عنه في هذه الفترة بالمميزات التالية :-

١- القدرة على مواجهة الجيوش الكثيرة العدد بعدد قليل من المسلمين والثبات في المعركة .

٢- ستشارة القادة المساعدين له للتعرف على ارائهم .

٣- استطلاع جيش الأعداء بواسطة الطلائع والكمائن .

٤- تعبئة الجيش وإثارة حماسهم ورفع روحهم المعنوية بالخطب .

---

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٣:٣٩٤. الأزدي، فتوح الشام، ٢١٩ يقول أيها الناس بدلا من أيها المسلمون . . . . ، إلا أننا لم نعتمد الأزدي : فتوح الشام تحق عبد المنعم عبد الله عامر، القاهرة، مؤسسة سجل العرب ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م. حيث يورد تواريخ تخالف الطبري بمعركة اليرموك يجعلها : «في رجب سنة خمس عشر لخمس ليال قضين من رجب» كما في ص ٢٧٢. نود الاشارة هنا الى زنه لم يعط عمرو بن العاص دور القائد كما يبدر في معركة أجنادين ويجعل بطلها خالد بن الوليد (رضي الله عنه) كما في ص ٩١ فضلا عن أن محقق الكتاب لم يعتمد في تحقيقه الا على نسخة واحدة مع علمه بوجود لسخ أخرى كما يشر في ص (م) حيث توجد في الهند .

(٢) الواقدي : فتح الشام، ١:١٣١.

(٣) الطبري : م.س، ٣٩٣.

٥- حسن الإعداد ودقة التخطيط والتكتيك في المعركة .

٦- عدم الإستهانة بقوة العدو وعدده وطلب المدد من أبو بكر .[١]

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٣:٣٩٣.

المبحث الثالث

زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

أولا- إتمام فتح الشام :-

يعتبر دور عمر العسكري زمن عمر بن الخطاب امتداد لدوره السابق، حيث استمر في صراعه مع الروم على بلاد الشام وتابع من فر منهم الى مصر . لذا قسمت دوره في هذا الى دورين هما :-

أ- حروبه في فلسطين :

نتناول الأحداث العسكرية التي جرت في أرض فلسطن، نسلسلها حسب روايات الطبري ونبرر لهذا التسلسل، ونتناول من هذه المعارك :

١- معركة أجنادين :

قيل قبل اليرموك وقيل بعدها حيث قابل عمرو بن العاص ستين الفا بقيادة القبقلار والأصح الأرطبون (١). حيث حدثت في ٦ جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة ١٣هـ/ ٦٣٤م وقد قدم له مدد من المسلمين، وسار عمرو بن العاص حيث سمع بالمسلمين فنزلوا بأجنادين (٢). لم يعتمد عمرو بن العاص رضي الله عنه على الرسل بل غامر بنفسه لمعرفة قوة عدوه «لا يقدر من الأرطبون سقطه ولا تشفيه الرسل فوليه بنفسه فدخل عليه كأنه رسول .. وتأمل حصونه حتى عرف ما أراد (٣) ولما عرف قوة خصمه كتب الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه

* ربما ورد اس بعض المواقع مرتين أو تقدم تاريخ معركة أخرى وربما كان ذلك عائدا لتلاحق هذه الأحداث أو ربما قصد المسلمون المكان مرة أولى واضطروا المغادرة بسبب منعته أو حسب ظروف الحرب وممن قال انها قبل اليرموك ابن كثير : البداية والنهاية، ٧:٧.

(١) ابن الأثير : م.ن، ٣: ٣٧-٣٨، ابن كثير : البداية والنهاية ٧:٧.

(٢) ابن الأثير : م.س، ٢:٤١٧، ابن كثير : م.س، ٧:٧.

(٣) الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٣:٦٠٥.

يستشيره مصورا وضعه مع عدوه : «أني أعالج حربا كئودا صدودا وبلادا ادخرت لك فرأيك» [1]، وليفرق جمع عدوه فتح عليه عدة جبهات، حيث بعث محمد بن عمرو مددا لعلقمة ومسروق اللذان كانا يشغلان الروم عنه، «وبعث عمارة بن أمية الضمري مددا لأبي أيوب الذي كان يناوش الروم في الرملة»[2]. «فهزم الأرطبون والجاه الى القدس حيث أفرج له المسلمون حتى دخلها» .[3]

٢- فتح دمشق :

كان عمرو بن العاص في هذه المعركة تحت أمرة أبي عبيدة وقيل تحت إمرة خالد بن الوليد [4]، فنزل محاصرا على باب القراديس ولم يكن له دور عظيم في هذه المعركة .

٣- فتح فحل والردغة :

توزع قادة المسلمين بعد فتح دمشق، فرجع عمرو بن العاص الى الجنوب، وبدأ يفتح المدينة تلو الأخرى مشاركا غيره من القادة ففتح فحل والردغة حيث كان عمرو على مجنبتيه (شرحبيل بن حسنة) .

٤- بيسان :

عندما فرغ شرحبيل بن حسنة من فحل نهد بالناس ومعه عمرو بن العاص الى أهل بيسان فحاصروها وقتلوا من اعترضهم .

---

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٣:٦٠٧.
(٢) الطبري : م.ن، ٣:٦٠٥.
(٣) الطبري : م.ن، ٣:٦٠٥.
(٤) الواقدي : فتوح الشام، ١:٢٢ ويذكرها قبل اليرموك بقيادة خالد، وخليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ١:١٢٥، أما الطبري : م.س، ٣: ٤٣٤-٤٤٠، وابن الأثير : الكامل في التاريخ، ٢:٤٢٧، يذكر عزل خالد، وابن كثير : البداية والنهاية، ٧:١٩-٢٠ يذكر أنها بعد فتح اليرموك . وقد عللت سبب هذا لاختلاف سابقا. كما اختلف في مكان نزول عمرو بن العاص.

٥- طبرية :

تم صلح أهلها على يد أبي الأعور بحضور شرحبيل بن حسنة [١] . أما البلاذري فيذكر أن عمرو فتحها عنوه بعد نقضهم الصلح قائلا : «فأمر أبو عبيدة عمرو بن العاص بغزوهم فسار اليهم في أربعة آلاف ففتحها على صلح شرحبيل». [٢]

٦- فتح قيسارية :

انتهى عمرو وقادة المسلمين من فتح شمال شرقي فلسطين كما يعلمنا الطبري اثر فتح بيسان قائلا : «فافتتحها وصالحته الأردن»[٣] ثم سار مع يزيد بن أبي سفيان قاصدا السواحل ففتح وعمرو سواحل الأردن، كما يعلمنا البلاذري قائلا : «وقال قائلون بل فتحها عمرو بن العاص » [٤] ونرى الواقدي يؤكد أنها فتحت يوم الأربعاء في ١٠ رجب سنة تسع عشرة ١٩/ ٦٤٠ حيث «نظر أهل قيسارية الى ذلك خرجوا الى عمرو بن العاص وصالحوه على أن يسلموا المدينة فصالحهم على مائة ألف درهم» . [٥]

٧- فتح القدس :

اقتصر دور عمرو بن العاص (رضي الله عنه) على ارسال السرايا ومحاصرة القدس دون الوصول الى نتيجة كما يعلمنا الطبري : «وكانوا قد شجوا عمرو وأشجاهم ولم يقدر عليها ولا على الرملة» [٦] . ورأينا سابقا دور حكيم

---

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٣:٤٤٤، ابن الأثير: م.س، ٢:٤٣٢، ابن كثير : م.س، ٧:٢١.

(٢) البلاذري : فتوح البلدان، ١:١٢٣، ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ٢:٤٣٢، ياقوت الحموي : معجم البلدان، ٤:٧.

(٣) الطبري : م.س، ٣:٦٠٣.

(٤) البلاذري : م.س، ١٤٦-١٤٧ وله عدة روايات في هذا الصدد بينما يجعلها الطبري فتحت على يد معاوية بن أبي سفيان في م.س، ٣:٦٠٣، أما الواقدي: فتوح الشام، ٢:٩ و ٢:١٦ فيرى أن «سبيع بن ضمرة قال : كنت مع عمرو بن العاص حيث سافر الى قيسارية» وربما كان سبب هذا التضارب عائدا الى تزاحم الأحداث في فلسطين كما علمنا سابقا.

(٥) الواقدي : م.س، ٢:١٢ .

(٦) الطبري : م.س، ٣:٨٠٦.

الفراسي وسيره لحصار القدس ليشغله الروم عنه. ورغم أن عمر بن الخطاب كلفه «بالسير الى ايلياء ومناجزة صاحبها، فاجتاز في طريقه الرملة بطائفة من الروم فكانت معركة أجنادين» (1) ونرى الطبري ينفي في موضع آخر فتحها على يد عمرو بل يجعله على يد عمر : «وفتحت ايلياء على يديه (عمر بن الخطاب) (رضي الله عنه) ما خلا أجنادين فإنها فتحت على يد عمرو» (2) بل يشهده كتاب الصلح قائلا : سشهد على ذلك خالد بن لوليد وعمرو بن العاص» (3) وكان ذلك سنة ١٥هـ/ ٦٣٦م. (4)، ومما سبق يمكننا استنتاج ما يلي :-

١- لم يتمكن عمرو بن العاص من فتح القدس عنوة، وإنما عمل على حصارها عدة مرات دون نتيجة، وربما كان ذلك عائدا الى صلابة أسوارها التي ما زالت قائمة الى الوقت الحاضر .

٢- انه استعمل السرايا ليصل الى هدفين الأول تفريق قوة الروم وتأخير مددهم في معاركه الأخرى، والثاني العمل على اضعاف الأعداء داخلها .

٣- ان القدس فتحت صلحا على يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان عمرو بن العاص شاهدا على هذا الصلح .

٨- فتح غزة :

وجاء فتحها في سلسلة فتوحات عمر بن الخطاب رضي الله عنه في أرض فلسطين الا أن الطبري يجعلها ضمن أحداث السنة الخامسة عشرة ١٥هـ/ ٦٣٦م . حيث يعلمنا قائلا : «واجتمع عسكر الروم بأجنادين وبيسان وغزة وكتبوا الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بتفوقهم فكتب الى .. عمرو بن العاص بصد الأرطبون والى علقمة بصد الفيفار .. فحاصر الفيفار بغزة» (5). أما ابن الأثير

---

(1) ابن كثير : البداية والنهاية، ٧:٥٤.
(2) الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٣:٦١٠، وابن كثير : م.س، ٧:٥٨.
(3) الطبري : م.س، ٣:٦٠٨.
(4) الطبري : م.ن، ٣:٦٠٨.
(5) الطبري : م.ن، ٣:٦٠٣-٦٠٤.

فيجعل فتحها على يد عمرو قائلا : «أنه لما دخل أرطبون ايليافتح عمرو بن العاص غزة وقيل . . .وكان فتحها في خلافة أبي بكر رضي الله عنه [1]، وربما قصد من قوله بخلافة أبي بكر رضي الله عنه معركة الداثن .

جـ- بقية الفتوح :

يعدد لنا ابن الأثير بقية الفتوح قائلا : «ثم فتح سبسطية . . وبيت جبريل وفتح يافا وقيل فتحها معاوية وفتح عمرو مرج عيون» [2]، ويقول ابن الخياط : أنه فتح قنسرين حيث : «أن أبا عبيدة بعث عمرو بن العاص بعد فراغه من اليرموك الى قنسرين،فصالح أهل حلب ومنبج، وانطاقية، وفتح سائر أرض قنسرين عنوة » .[3]

د- مواهبه العسكرية :

ويمكننا أن نلاحظ مواهب عمرو بن العاص العسكرية من خلال مراحل الفتح السابقة ونعبر عنها بالنقاط التالية :

١- تمكن عمرو بن العاص من فتح تلك المناطق في فترة يسيرة من الزمن، وانتزعها من امبراطورية كانت راسخة الجذور في هذه الديار، ويمكن ارجاع ذلك الى تقهقر الروم في تلك المناطق بعدما أدركوا عدم جدوى المقاومة وخاصة بعد معركة اليرموك .

٢- حقق عمرو بن العاص هذه الانتصارات بمغامرته الشخصية وإرسال الجواسيس كما حدث مع الأرطبون » فقال : خدعني الرجل هذا أدهى الخلق فبلغت عمر فقال غلبه عمرو لله عمرو وناهده عمرو» .[4]

---

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٣: ٦٠٣-٦٠٤.

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ٢:٤٩٩.

(٣) ابن خياط : تاريخ ابن خياط، ١٣٤ ويويد ذلك الذهبي : تاريخ الاسلام، ٢:٢٠.

(٤) الطبري : م.س، ٣:٦٠٦، وابن كثير : البداية والنهاية، ٧:١٥٤.

٣- لقد بدت مواهبه العسكرية الجادة من خلال دقة التخطيط، وأساليب التكتيك العسكرية الذي استعملها، والذي بدا واضحا بتفريق قوى العدو وذلك في أكثر من جبهة أمامه وخاصة مع الأرطبون حيث قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «قد رمينا أرطبون الروم بأرطبون العرب فانظروا عما تنفرج» .(١)

وفضلاً عن أسلوب الحصار لقد أصر عمرو بن العاص على انتزاع النصر من عدوه بسبب انحطاط الروح المعنوية عند الروم والتي كانت تظهر من خلال طلب الصلح والتسليم فضلا عن الإمدادات التي أمده بها عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ثانيا - فتح مصر:

خطط عمرو بن العاص لفتح مصر بعد مقارعة الروم في بلاد الشام وأخذ يهيء والظروف والأسباب واتبع عدة مراحل لفتحها وهي :

أ- إذن المسير :

انتهى عمرو بن العاص رضي الله عنه من فتح فلسيطن بالتعاون مع بعض قادة المسلمين كما رأينا . وصار عنده جنود أحبوا الحرب، ولم يكن الاستقرار في بلاد الشام رأيهم ولاستهم، فرأى عمرو بن العاص رضي الله عنه بثاقب بصره أن يتوجه بجيشه الى بلاد جديدة فوقع اختياره على مصر التي عرفها في جاهليته، وعرف طبيعتها وطبيعة سكانها فضلا عن خروج فُلال الروم اليها وما زرعوه في نفس أهلها من هيبة المسلمين لذلك استأذن عمرو بن العاص عمر بن الخطاب رضي الله عنه وشجعه وهون عليه الأمر، وسار عمرو بن العاص

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٣: ٥٠٥، وابن كثير : البداية والنهاية، ٧: ٥٤.

(رضي الله عنه) في جيش قوامه ثلاثة آلاف وخمسمائة فارس [1] . ويؤيد ما ذهبنا اليه آراء بعض المؤرخين الغربيين أمثال الفرد بتلر وستانلي لين بول مع التركيز على ثروة مصر وغناها وتسهيل أمر فتحها [2] . ورغم أن الطبري يورد على لسان ابن اسحاق أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب الى عمرو بن العاص أن يسير الى مصر في جنده نجد غيره من مؤرخينا يحمل عمرو بن العاص المسؤولية وأنه توجه من تلقاء نفسه دون إذن من عمر بن الخطاب رضي الله عنه، مثل البلاذري : «ومضى الى مصر من تلقاء نفسه في ثلاثة آلاف وخمسمائة فغضب عمر لذلك» [3]، ونرى أن أصح الآراء أن عمرو استأذن عمر بن الخطاب حيث أن عمرو بن العاص ما كان يغامر بهذا الأمر الكبير دون الرجوع الى عمر بن الخطاب، كما هو واضح عند ابن عبد الحكم [4]. وقد رأينا في فتوح مصر كيف يستشيره في كثير من الأمور وربما تشكك عمر بن الخطاب بفتح مصر وربما خاف على المسلمين من قلة جيش عمرو بن العاص رضي الله عنه، فكتب اليه بكتابه المشهور بعد أن استخار الله في أمره وأتبعه بالمدد كما سنرى . فهذا الكندي يخبرنا عنه قائلا : «فإن جاءك كتابي فإن لم تكن بلغت مصر فأرجع» [5] ونرى أن عمرو أحب فتح مصر لذلك استأذن من عمر بن الخطاب رضي الله عنه وسار من فلسطين «حتى نزل قرية فيما بين رفح والعريش

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ٥٦، الكندي : الولاة وكتاب القضاة، ٨. والبلاذري : فتوح البلدان، ٢١٤ أما الواقدي : فتوح الشام، ٢:٢٣ فيجعلهم أربعة آلاف وابن خياط : تاريخ ابن خياط، ١٤٢ وابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢:٥٦٤، وابن كثير: البداية والنهاية، ٧:٩٧.

(٢) Alfred J. Bulter, The Arab Conquest of Egypt,194. Lane Pool Stanley, History of Egypt in the Middle Age,3.

وربما نقلا عن ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ٥٦.

(٣) الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٤:٤:١، ١٠٦، والواقدي : م.س، ٢:٢٢ بتكليف من أبي عبيدة .

البلاذري : فتوح البلدان، ٢١٤، الكندي : م.س، ٨، وابن عبد الحكم : م.س، ٥٧.

(٤) ابن عبد الحكم : م.س، ٥٦ وكذلك الكندي : ولاة مصر، وكذلك Alfred J. Butler, The Arab Conquest of Egypt, 194.Lane Pool Stanley, History of Egypt in the Middle Age,3-4.

(٥) الكندي : م.س، ١:٣١ . نقلا عن عبد الحكم : م.س .

فسأل عنهـا فقيل له أنها من مصر فـدعا بالكتاب فقرأه علـى المسلمين» [1] وهذا يدل على رغبة عمرو الأكيدة في فتح مصر وعلى ذكائه حيث أدرك تردد عمر بن الخطاب وليشجع جنده ويجعلهم تحت الأمر الواقع، وكان مسيره الى مصر بداية الفتح بتاريخ سنة عشرين[2] ٢٠هـ/ ٦٤١م.

ب- الفتح :

لقد كانت مسيرة عمرو من فلسيطن الى مصر محاذيا البحر، فسار من رفح الى العريش الى الفرما واستمر فتحه للقـاهرة فالاسكندرية وهذا يدلنا علي موهبة عمرو العسـكرية حيث سار في هذا الخـط ربما لأنه لم يكن للروم ثـقل عسكري في هذا الخـط كما كان في بـلاد الشام وربما لأن الدرب كـان معروفاً لعـمرو بن العاص فكان تسلسل الـفتح كما هـو مرتب فيمـا يلي مع بيان أوجـه الاختلاف والإضطـراب حيث لم يـخل سير الـفتح مـن اختلاف كمـا حدث في فتـح بلاد الشام.

١- الفرما :

كان أول لقاء له مع الـروم حيث قاتله الروم قتالاً شديـداً نحو من شهر [3] وكانت نـتيجة هـذا القتال الـنصر، ويجـعلهم ابـن عبد الحكـم أعوانا لعـمرو بن العاص رضي اللـه عنه قائلا : «فيقال أن القبـط الذين كانوا بالفرما كـانوا يومئذ لعمـرو أعوانا» [4] ولا غرابـة في ذلـك فإن عـمرو بسـياسته وذكـاءه تمكـن من استمالة قلوبهم.

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ٥٦-٥٧.

(٢) الطبري : تـاريخ الرسل والملوك، ٤: ١٠٤، الكنـدي : الولاة وكتاب القضاة، ٨ يجـعلها سنة ٢٩/ ٦٥٠، وكذلك الواقدي : فتوح الشام، ٢: ٢١ حيث جـعلها فتح قيسارية التي تم سنة ١٩/ ٦٤٠ .

(٣) ابـن عبـد الحكم : فتـوح مصـر، ٥٨، والـكنـدي : م.س، ٧٨ والبـلاذري: فتـوح البلدان، ٢١٤، أما الطبري : م.س، ٤: ١٠٨ فيجعلها فيما بعد ذلك حيث فتحت على يد أبرهة بـن الصباح كما يـذكر، وكذلك الواقدي : فـتوح الشام، ٢: ٥٩ حيث يـجعل فتحـها بعد الاسكندرية هي الـعريش ورفح. مما يدفعني الـى التساؤل: إذن كـيف سار عمرو بن العاص واخترق هذه المواقع دون قتال؟ أم سلك طريقا آخر حتى وصل مصر؟

(٤) ابن عبد الحكم : م.س، ٥٨-٥٩.

٢- بلبيس :

وكان قتاله فيها مثل الفرما حيث قاتلوه نحوا من شهر حتى فتح الله عليه[1] وهذا ما ذهبنا اليه من أنه سار في طريق الساحل وكان عليه أن يفتح المواقع الواحد تلو الآخر .

٣- أم دنين :

زحف عمرو بن العاص رضي الله عنه الى أم دنين وقاتل الروم فيها، إلا أنه لم يتمكن من فتحها «فقاتلوه قتالا شديدا وأبطأ عليه الفتح، فكتب الى عمر يستمده» [2]، والذي يبدو أن هذه المعركة لم تكن حاسمة حيث كان عدوه متيقظا ومتنبها لما حدث قبلها من المعارك .

٤- فتح مصر (الفسطاط) :

ارتحل عمرو بن العاص الى الفسطاط، وهنا لابد من الإشارة الى بعض نقاط الاختلاف موضحا اياها فيما يلي :-

فالطبري يجعل قتاله مع أهل مصر بقيادة البيات بن فرقب . . . فلقوه فقتل ومن معه . . . وقصد عمرو والزبير لعين الشمس . . . وارتقى الزبير سورها فلما أحسوه فتحوا الباب لعمرو وخرجوا اليه مصالحين» .[3]

أما الكندي فيسميه الحصن حيث «أقام عمرو بن العاص محاصرا الحصن الى أن فتحه سبعة أشهر . . . لما حاز المسلمون الحصن بما فيه، أجمع عمرو على المسير الى الإسكندرية» [4]. وكذلك ابن الحكم فيجعله تارة القصر وطور الحصن قائلا : «ان عمرا حصرهم بالقصر الذي يقال له بابليون فكانوا خندقوا حول

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ٥٩، الكندي : الولاه وكتاب القضاه، ٨٠.

(٢) ابن عبد الحكم : م.س، ٥٩، الكندي : م.س، ٨.

(٣) الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ١٠٨:٤، وأما القائد البيات بن فرقب فنجده (قرقب) عند الكندي : م.س، ٨.

(٤) الكندي : م.ن، ٩ وأما البلاذري : فتوح البلدان، ٢١٤.

حصنهم» [1] ويبدو مما سبق أن المكان واحد وهو فتحج مصر وان الاختلاف في بقية الأسماء ناتج عن اجتهادات أو تسميات مختلفة لهذا الموقع الذي هو الفسطاط مكان القاهرة اليوم .

هاجم عمرو مصر بجيش قوامه خمسة عشر ألفا وقاتل الروم قرابة شهر واستمر حصار المسلمين له سبعة أشهر ويحدد لنا الطبري تاريخ هذا الفتح قائلا: «وافتتحت مصر في ربيع الأول سنة ست عشرة» . [2]

وجاء دور الصلح حيث صالح المقوقس على نفسه ومن معه من القبط . وسأل عمرو بن العاص شريطة أن يفرض للعرب دينارين على كل رجل منهم فأجابه عمرو الى ذلك» [3] ويخبرنا الطبري بهذا الصلح [4] والذي سنوضحه من خلال تحليل نصوص الطبري .

٥- فتح الإسكندرية :

يروي لنا الطبري روايتين عن الاسكندرية الأولى أنه لما بلغ المسلمون الى بلهيب «أرسل صاحب الاسكندرية الى عمرو بن العاص (طالبا الصلح) قائلا «فإن أحببت أن أعطيك الجزية على أن ترد على ما أصبتم من سبايا أرضي فعلت» [6] استشار عمرو بن العاص عمر بن الخطاب موافقا حيث قال «ولعمري الجزية قائمة تكون لنا وللمسلمين من بعدنا أحب الى من فيئ بقسم على أن تخير ما من في أيديكم من سبيهم بين الاسلام وبين دين [7] قومه» وتم الصلح. أما الرواية الثانية فإن عمرو بن العاص أرسل عون بن مالك الى الاسكندرية

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ٥٩.

(٢) ابن عبد الحكم :تاريخ الرسل والملوك، ٦٢ وكذلك الكندي : الولاه وكتاب القضاه، ٩.

(٣) الطبري : م.س، ٤ :١١١، أما الكندي : م.س فيجعلها يوم الجمعة مستهل محرم سنة ٢٠هـ/ ٦٢١.

(٤) ابن عبد الحكم : م.س، ٦٣.

(٥) الطبري : م.س، ٤: ١٠٩.

(٦) الطبري : م.ن، ٤:١٠٥.

فتزل عليها» [1] دون أن يعطينا تفصيلا أو نتائج ذلك، ويمكن تقسيم فتح الاسكندرية الى مرحلتين هما :-

١- فتح ما حول الاسكندرية :

بعد فتح مصر (حصن باب نابليون) سار عمرو الى الاسكندرية وقبل فتحها قاتل الروم في عدة مواقع قبل فتح الاسكندرية حيث كان أولها ترنوط «فلقي بها طائفة من الروم فقاتلوه . . فهزمهم» [2] ثم سار الى كوم شريك فاقتتلوا ثلاثة أيام ثم فتح الله للمسلمين [3] ثم جاء دور سلطنين سار بعدها عمرو بن العاص الى الكريون «فاقتتلوا بها بضعة عشر يوما ثم فتح الله للمسلمين وقتل منهم المسلمون مقتلة عظيمة» . [4]

٢- فتح الاسكندرية الأول : تم فتح الاسكندرية على خطوات حيث كان أولها مرحلة الحصار فتحصن الروم بها وكانت عليهم حصون منيعة لا ترام «وكان موقع لمسلمين ما بين حلوه الى قصر فارس» [5]، ثم جاءت مرحلة الحصار والقتال حيث «أقام بها عمرو بن العاص شهرين تحول بعدها الى المقس فخرجت عليه الخيل من ناحية البحيرة . . فقتل من المسلمين بكنيسة الذهب اثني عشر رجلا ثم جاءت مرحلة القتال» [6] ان عمرو بن العاص رضي الله عنه «قاتل الروم بالإسكندرية يومها قتالا شديدا» [7] . وجاء دور الاقتحام حيث غامر عمرو بن العاص بنفسه عندما «اقتحموا حصن الاسكندرية وأخرجهم الروم منه إلا أربعة نفر بقوا في الحصن أحدهم عمرو بن العاص» [8]، واستمر حصار

---

(٧) الطبري : م.ن، ٤:١٠٥.
(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٤:٨١.
(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ٧٣.
(٣) ابن عبد الحكم : م.ن، ٧٤.
(٤) ابن عبد الحكم : م.ن، ٧٣.
(٥) ابن عبد الحكم : م.ن، ٧٤.
(٦) ابن عبد الحكم : م.ن، ٧٤.
(٧) ابن عبد الحكم : م.ن، ٧٧.
(٨) ابن عبد الحكم : م.ن، ٧٧.

الاسكندرية تسعة أشهر بعد موت هرقل وخمسة قبل ذلك وتمت يوم الجمعة المستهل من المحرم سنة عشرين» [1] ٢٠/ ٦٤٠ .

٦- بقية الفتوح :

وهي بلهيب والخنس وسلطين، ويبدو أن عمرو حاربهم لأنهم نقضوا العهد أو ربما فلول الروم هربوا اليها فحرضوهم على القتال كما يخبرنا ابن عبد الحكم قائلا : «ان عمرو سبى أهل بلهيب وسلطين قرطسا وسخا . . . حيث نقضوا»[2]. على أن بقية أجزاء مصر التي فتحت زمن عمرو بن العاص رضي الله عنه ربما كانت بواسطة سراياه مثل الفيوم [3] . وربما حدثت فتوح أخرى كانت أقل أهمية مما ذكرت . ومن الجدير بالذكر أن الطبري لم يعدد لنا الفتوح جميعها بينما نرى الواقدي يتوسع فيهلا كثيرا، مشركا خالد بن الوليد في هذه الفتوح .[4]

ثالثا - فتوحاته في افريقية :

١- فتح برقة :

ضعفت المقاومة الرومانية بعد فتح الاسكندرية مما أغري عمر بالمسير محاذيا لساحل البحر لفتح أماكن جديدة حيث كان منها برقة التي يقول عنها الطبري : بأنها انطابلس «فافتتحها وصالح أهل برقة على ثلاثة عشر ألف دينار وأن يبيعوا من أبنائهم ما أحبوا في جزيتهم» [5] وهذا أمر مستبعد يتنافى وروح الإسلام وما

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ٨٠، الكندي : الولاة وكتاب القضاه، ٣٣ يجعلها سنة احدى وعشرين ٢١/ ٦٤٢، أما البلاذري : فتوح البلدان، ٢٢٢ يجعل الحصار مدة ثلاثة أشهر .

(٢) ابن عبد الحكم : م.س، ٨٣.

(٣) ابن عبد الحكم : م.ن، ١٦٩ .

(٤) الواقدي : فتوح الشام، ٢:٤١، ٤٢، ٤٥، ٥٢، ٥٤ وغيرها .

(٥) الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٤:١٤٤ وكذلك يقول بن عبد الحكم : م.س، ١٧٠، والبلاذري : م.س، ٢٢٦.

رأينا مثله في فتح بلاد الشام [1] فهل تحقق هذا الشرط فعلا؟ ويجعلها الطبري من أحداث سنة ٢١هـ/ ٦٤٢م .

٢- زويلة :

وكان فتحها بسرايا عمرو بن العاص رضي الله عنه حيث «بعث عقبة بن نافع الفهري فافتتح زويلة بصلح» [2] سنة ٢١/ ٦٤٢ .

٣- فتح طرابلس :

ولما رأى عمرو بن العاص سهولة فتح برقة استمر في مسيره الى أن أتى طرابلس «في سنة [3] ٢٢هـ/ ٦٤٣م. فحاصرها مدة شهر حيث فتحها وغنم ما فيها » .[4]

٤- فتح سبرت :

بعد فتح طرابلس سار عمرو بن العاص الى سبرت ففاجأ أهلها حيث يصور لنا ابن عبد الحكم طريقة فتحها قائلا : «وقد غفلوا وقد فتحوا أبوابهم لتسرح ما شيتهم فدخلوها فلم ينج منهم أحد واحتوى عمرو على ماشيتها».[5]

رابعا : مواهبه العسكرية في هذه الفترة :

أ- لقد غامر عمرو بن العاص بجيش قليل لفتح بلاد أكبر من بلاد الشام وهذا يدلنا على أن عمرو بن العاص أدرك أن فُلال الروم من فلسطين سيزرعون الرعب في قلوب أهل مصر .

---

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٤:١٤٤.

(٢) الطبري : م.ن، ٤:١٤٤.

(٣) البلاذري : فتوح البلدان، ٢٧٧، وجاء ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ١٧١ فيجعلها سنة ٢٣هـ .

(٤) ابن عبد الحكم : م.ن، ٧١.

(٥) البلاذري : م.س، ٢٢٧.

١- أدرك عمرو أن علاقة مصر ببيزنطة كانت تختلف عما كانت عليه بلاد الشام - شبه مستقلة - ولذا هون فتحها على عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

٢- اعتقد عمرو بن العاص أن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما كان يسيره دون أن يجعل له مددا وهذا ما حصل بالفعل، فأمده بالزبير بن العوام لما بعثه على اثني عشر ألفا لذا كان سيره قويا نحو مصر .

ب- يدلنا فتح مصر على عقلية عمرو بن العاص العسكرية والتي برزت في النقاط التالية :-

١- سرعة الفتح والتي يمكن ارجاعها الى عدم تحصين الروم مواقعهم الأمامية من حدود فلسطين كما كان وضعهم في الشام ربما لإتصالها بلاد الشام أو لقدمها .

٢- أسلوب عمرو بن العاص رضي الله عنه في الحصار دون كلل أو ملل حتى يدفع الوهن والاستسلام في قلوب المحاصرين .

٣- التخطيط الفوري النفسي الذي تعامل به عمرو بن العاص رضي الله عنه مع اعدائه كما يظهر من حصاره لقصر نابليون قبل قدوم الامداد له حيث «يفرق أصحابه ليرى العدو أنهم أكثر مما هم» .(١)

٤- تعاون المصريين مع عمرو بن العاص كما حدث في فتح الاسكندرية الثاني .

جـ- لقد كان لعقلية عمرو بن العاص رضي الله عنه العسكرية أثر واضح في سرعة وامتداد الفتح وتبرز هذه العقلية من خلال النقاط التالية :-

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ٦١.

١- سرعة الحركة والمباغتة التي كان يفاجئ بها عدوه . كما حدث في موقعة سبرت .

٢- مغامرة عمرو بن العاص بنفسه كما حدث عند فتح الاسكندرية الأول حيث حجز مع أربعة نفر كما رأينا حيث كان يضرب بنفسه المثل الأعلى لجنوده .

٣- ولقد كان لاستطلاع عمرو بن العاص العسكري أثر كبير في إحراز الانتصارات العسكرية .

٤- وربما كان لعزيمته أثر كبير في إلقاء الرعب في نفوسهم، كما يخبرنا الواقدي عما حدث في تفاوضه في قصر الشمع قائلا : «فدخل فأراد الحجاب أن ينزلوه عن جواده فأبى وأن يأخذوا سيفه فأبى، وقال : ما كنت بالذي أنزل عن حصاني ولا أسلم سيفي فإن أذن صاحبكم أن أدخل على حالتي وإلا رجعت حيث أتيت» [1] . فكان هذا الإصرار دليل الشدة وعدم التراجع عن مواقفه ليصل الى هدفه .

٥- لقد كان حب عمرو لجنده أثر في تنفيذ ما أراد أثناء الفتح، وهذا الأمر يدل علي رحمة عمرو بجنده عندما شاترى لأحد جنده جملين وقال له: «لن تزالوا بخير ما رحمتكم أئمتكم» . [2]

٦- استحثاث عمرو جنده على الصبر واقتحام الصعاب كما حدث في فتح حصن بابليون وفتح الاسكندرية : حيث كان يقدم الصحابة في الفتح لرفع روح الجند المعنوية ولم يسمح بانهيار معنويات جنده كما حدث بينه وبين رجل من اليمن حيث قال له : «أنا لم نخلق من حديد فقال

---

(١) الواقدي : فتوح الشام، ٢: ٣٣.
(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ٥٨ .

له عـمرو أسكـت انما أنت كـلب . فقال : فـأنت أميـر الكلاب فـنادى عمرو بأصحاب النبي ﷺ فأجابوه» .[1]

٧- أدرك عمرو بعقـليته العسكرية تـقهقر الروم في مصر لـذا سار الى برقة وطرابلس وفتحهما .

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ٢: ٥٦٥.

المبحث الرابع

زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه

أولا – وضعه العسكري العام :

تعتبر هذه الفترة من تاريخ عمرو بن العاص فترة ركود عسكري وجل ما كان خلالها هو فتح الاسكندرية الأخير سنة خمس وعشرون [1] ٢٥هـ/ ٦٤٦م. ولقد كان عمرو بن العاص محبوبا من قبل المصريين وجند المسلمين وما حققته من فتح مصر «فلما نزلت الروم الاسكندرية سأل أهل مصر عثمان أن يقر عمرو فإن له معرفة في الحرب ورهبة في العدو ففعل» [2]. أما سبب هذه الحرب أن صاحب أخنا غضب من الجزية فخرج الى الروم فقدم بهم وربما لأن بعض أهل الاسكندرية أدركوا قلة المسلمين فيها فأبلغوا الروم بذلك . سار اليهم عمرو واستدرجهم خارج الاسكندرية وقتل منويل الخصى» [3] ثم تقدم عمرو بن العاص «حتى أمعن في مدينتهم فكلم في ذلك فأمر برفع السيف عنهم». [4]

ثانيا – عزل عمرو بن العاص رضي الله عنه عن مصر :

لم تستمر ولاية عمرو بن العاص لمصر لفترة طويلة حيث عزل عنها ولم يكن هذا العزل بسبب عداء شخصي بين عمرو وعثمان . حقا لم يكن عثمان رضي الله عنه راضيا عن عمرو في أول الأمر في فتح مصر لا لعداوة بينهما،

---

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٤ :٢٥٠، ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ١٧٨، وابن خياط : تاريخ ابن خياط، ١٥٨ فيجعل ذلك عندما كان عمرو على مصر .

(٢) ابن عبد الحكم : م.س، ١٧٥، والكندي : الولاة وكتاب القضاة، ١١.

(٣) ابن عبد الحكم : م.س، ١٧٥.

(٤) ابن عبد الحكم : م.ن، ١٧٥.

بل حرصا من عثمان على المسلمين حيث خاطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه قائلا : «ان عمرو لمجرور وفيه اقدام للإمارة فأخشى أن يخرج في غير ثقة ولا جماعة فيعرض المسلمين للهلكة» [1] . ورضي عثمان بواقع عمرو في مصر، واقره لما استلم الخلافة فترة من الزمن ثم عزله، وفيما يلي الأسباب التي أدت الى عزله :

السبب الأول : رغبة عثمان في تقليص سلطة عمرو كما يعلمنا ابن عبد الحكم قائلا: «أراد عثمان عمرو أن يكون على الحرب وعبد الله بن سعد على الخراج، فقال عمر اذاً أنا كماسك البقرة وآخر يحلبها فأبى عمرو» . [2]

السبب الثاني : الخلاف بين عمرو وعبد الله بن سعد «نزع عثمان عمرو بن العاص عن خراج مصر واستعمل عبد الله بن سعد على الخراج فتباغيا فكتب عبد الله بن سعد الى عثمان يقول : ان عمرو كسر الخراج، وكتب عمرو أن عبد الله على حيلة الحرب «فكتب عثمان الى عمرو انصرف» . [3]

السبب الثالث : شك عثمان في عمرو بن العاص رضي الله عنه، كما حدث عندما سأله عن حشوة جبته قل عثمان انما سألت أقطن هو أم غيره؟ يا عمر هل تعلم أن تلك اللقاح درت بعدك فقال عمرو : ان فصالها هلكت». [4]

السبب الرابع : رغب عمرو بن العاص في ولاية مصر عامة زمن عثمان، كيف لا وهو أمير فتحها . . فرغب في أن يعزل عبد الله بن سعد عن الصعيد «فوفد اليه وكلمه في ذلك فقال له عثمان : ولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه الصعيد وليس بينه وبينه حرمة ولا خاصة وقد علمت أنه أخي من الرضاعة فكيف أعزله عما ولاه غيري فغضب عمرو وقال: لستُ راجعا إلا على ذلك[5] وعزل عن مصر سنة سبع وعشرين ٢٠هـ/ ٦٤١م. كما يخبرنا الطبري . [6]

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ٥٧.

(٢) ابن عبد الحكم : م.ن، ١٧٨.

(٣) الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٤ :٢٥٦.

(٤) الطبري : م.ن، ٤ : ٢٥٦-٢٥٧.

(٥) الكندي : ولاة مصر، ٣٤ وهي مصححة من ابن عبد الحكم : م.س، ١٧٣-١٧٤. حيث يورد القصة كاملة دون اضطراب.

(٦) الطبري : م.س، ٣٥ فيجعلها سنة خمس وعشرون ٢٥هـ/ ٦٤٦م. وكذلك الكندي: الولاة وكتاب القضاة،١١.

ثالثا – مقارنة بين عزل خالد بن الوليد وعمرو بن العاص :

لقد عزل عمر بن الخطاب رضي الله عنه خالد بن الوليد أثناء معركة اليرموك وحاكمه فيما بعد إلا أن خالدا رجع جنديا مجاهدا طائعا متواضعا تحت إمرة أبي عبيدة، أما عثمان بن عفان فقد عزل عمرو بن العاص رضي الله عنه عن مصر جزئياً ثم نهائياً كما رأينا، فرفض عمرو أن يشاركه أحد في إمارة بلاد فتحها الله على يديه، ولا أن يكون تابعا لغيره، فلم يرجع مقاتلا تحت امرة عبد الله بن سعد، ولم يبق قائد عسكريا، فابتعد عن مركز القيادة، وربما كان ذلك غضبا من تصرف عثمان بن عفان حيث كان عبد الله بن سعد تحت امرته، ثم شاطره قسما من البلاد، وأراد عثمان أن يعطيه أكثر مما كان في يده فيوليه خراج مصر، ولم يكن أميرا على عمرو كما كان أبو عبيدة أميرا على القادة في بلاد الشام ومن ضمنهم خالد بن الوليد الذي أصبح أميرا على أبي عبيدة لأمر عسكري أرادته الخلافة الإسلامية في المدينة المنورة، من أجل ذلك فرن وجه المقارنة بين عزل هذين القائدين يبدو بعيدا بعض الشيء وجل ما في الأمر هو استياء عمرو من عدم تقدير عثمان طلبه وآثر العزلة مبتعدا عن مركز القيادة العسكرية والسياسية والإدارية، كما يعلمنا البلاذري قائلا : «فخرج عمرو الى فلسطين فأقام بها في ماله» [1] هناك فربما كان لهذا الغضب أثرا فيما بعد على علاقته بعثمان فكان في بداية ريح العاصفة التي عصفت بدار الخلافة الإسلامية.

رابعا – عمرو بن العاص قائد عسكري :

بعد هذه المسيرة الحافلة بجلائل الأعمال العسكرية يحق لنا أن نتساءل هل كان عمرو قائدا عسكريا ناجحا؟ بكل ثقة يمكن القول أنه حقق بسيفه جميع

(١) البلاذري : أنساب الأشراف، ٤: ٥٦٥.

غاياتـه العسكرية وأحرز النصر تل الـنصر في بلاد الـشام حيث تمكن مـن انتزاع مراكـز حضارية عريـقة من بـين أنياب الإمـبراطـورية البـيزنطـية الـتي استـمرت بجبروتها مـدة طويلةً متمسكة بهذه المـنطقة، وعمل فعلا على إزالة سـلطتها عن تلك الديار، فضلا عن قهرها في مصر وتقليص حجمها في افريقية حيث ضرب أول الأسافين في نعشهـا . لقد حقق عمرو بن العاص بالسيـف وبالعقل وحسن التخطـيط والتدبير والاسـتمرار على الاصرار، نجـاحا تاما، متحـملا كل الأهوال مواجهـا خصمه بإصـرار وعناد من أجل دفـع عجلة الـدعوة الإسلامية فـي تلك البقاع، وماذا يبقى للمرء بعد هذا حتى يمكن الحكم عليه بأنه قائدٌ عسكري ناجح . . . ! حقا لقد كان عمرو قـائدا عسكريا، ونموذجا فريدا في عقليـته العسكرية، وذكاذه وفطنـته، وكان يفوق قادة الـروم الذين قابلهـم في كثير من المـعارك التي خاضها ضدهم، وقد فاق قادة الفرس الذين واجهاتهم القوة العسكرية الاسلامية في ذلك الوقت .

ويمكـن القول بـلا وجل ولا غـرور أن هذه العـقليـة يمكن مـقارنـتها بـقادة عسكريين في العصر الحديث الذين حققوا الانتصارات لإمبراطورياتهم في الحرب العالمية الأولى والثانية .

الفصل الرابع
موقف عمرو بن العاص من الفتنة

المبحث الأول
موقف عمرو بن العاص رضي الله عنه من عثمان

أولاً- قبل مقتل عثمان رضي الله عنه :-

لم تعد العلاقة بين عمرو بن العاص وعثمان ودية وفقا لعوامل منها :-

أ- قيام عثمان رضي الله عنه بعزل عمرو بن العاص عن مصر، ولقد أشار المسعودي، بذلك معللاً غضب عمرو لهذا العزل قائلا : «وقد كان عمرو بن العاص انحرف من عثمان لانحرافه عنه وتوليته مصر غيره» .[1]

ب- زد على ذلك شك عثمان رضي الله عنه في استغلال ثروة مصر من قبل عمرو بن العاص رضي الله عنه استغلالا جاوز الحد .

جـ- وتطور الخلاف بينهما وانعكس على العلاقة الأسرية. اثر قيام عمرو رضي الله عنه بطلاق أخت عثمان لأمه، أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، ففارقها حين عزله» .[2]

د- ولقد علل البعض سوء العلاقة هذه، بإيثار عثمان رضي الله عنه بني أمية بثروة مصر كما يشير الطبري قائلا : وكان الذي صالحهم عليه عبد الله بن

(١) المسعودي : مروج الذهب، ٢ : ٣٥٤.
(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٤ : ٣٥٧.

سعد ثلثمائة قنطار ذهب فأمر بها عثمان لآل لحكم .[1]

ونظرا لهذا الإيثار ربما اعتقد عمرو أن لبني أمية دورا في تحامل عثمان عليه، وصدق ظن عمرو عندما دخل مروان فقال : «يا أمير المؤمنين أوقد بلغت مبلغا يذكر عمرو بن العاص أباك؟ [2] وعبر عمرو عما في نفسه بنقد بني أمية قائلاً : «ركبت الناس بمثل بني أمية فقلت وقالوا وزغت فزاغوا» [3]. ولقد كان لتصرف عثمان أثراً في نفس عمرو بن العاص : «غضب غضبا شديدا» [4] مما دفعه للنيل من عثمان فبدأ ينقده ونصحه حيث رد على استشارته قائلا : «أرى أنك لنت لهم، وتراخيت عنهم وزدتهم على ما كان يصنع عمر فأرى أن تلزم طريقة صاحبيك فتشتد في موضع الشدة» .[5]

لم يقف عمرو بن عثمان موقفا سلبيا بل حاول اسداء النصح لعثمان تارة ونقده تارة أخرى، ولما نفذ صبره بدأ يطعن على عثمان مما دفع عثمان الى معاتبة عمرو وقال له : «يا ابن النابغة ما أسرع ما قمل جربان جبتك انما عهدتك بالعمل عاما أول . أتعطن علي وتأتيني بوجه وتذهب عني بآخر . . فقال عمرو كثيرا مما يقول الناس وينقلون الى ولاتهم باطل فاتق الله يا أمير المؤمنين في رعيتك»[6] . وطعن عمرو على أبي عثمان حيث قال له اثر بدئه له : «فوالله للعاص كان أشرف من أبيك قال فانكسر عثمان وقال مالنا ولذكر الجاهلية»[7]. ثم أخذ عمرو ينتقد عثمان وهو على المنبر حيث قال له : «اتق الله يا عثمان فإنك قد ركبت نهابير ركبنا معك فتب الى الله نتب» [8]. وصل السيل الذبى

(1) الطبري: تاريخ والرسل والملوك، ٤:٣٥٦، وابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٣:١٥٠.

(2) الطبري : م.س، ٤:٣٥٧.

(3) الطبري : م.ن، ٤:٣٣٧.

(4) الطبري : م.ن، ٤:٢٥٦.

(5) الطبري : م.ن، ٤: ٣٤٢-٣٤٣، ابن الأثير : م.ن، ٣:١٥٦.

(6) الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٤:٣٥٦، والبلاذري: أنساب الأشراف، ٤:٥٦٥ إلا أنه ينقل الرواية بالفاظ أخرى قائلا «وإنك لمن تؤلب الطعام لأن عزلتك عن مصر.

(7) الطبري : م.س، ٤:٣٥٧.

(8) الطبري : م.ن، ٤:٣٦٠.

فغضب عمرو وخرج من عند عثمان حانقاً غاضباً، ومفارقا له، ومؤلبا الناس عليه، فبدأ بالصحابة أولا، حيث كان يأتي عليا مرة فيؤلبه على عثمان، ويأتي الزبير فيؤلبه على عثمان ويأتي طلحة ... ويعترض الحاج فيخبرهم بما أحدث عثمان» .(١)

بلغ الخصام بينهما حد الفراق فخرج عمرو الى أرض فلسطين اثر حصر عثمان «فنزل في قصر يقال له العجلان .. ولما بلغه موته قال : أنا أبو عبد الله اذ حككت قرحة نكأتها ان كنت لأحرض عليه حتى أني لأحرض عليه الراعي في غنمه في رأس الجبل» (٢) فلم تُؤت هذه التعبئة أكلها ولم يبرز له دور في الثورة على عثمان .

ونرى اليعقوبي يجعله المدافع عن عثمان حيث رد أهل مصر لما قدموا المدينة قائلا: «فوجه اليهم عمرو بن العاص وكلمهم فقال لهم أنه يرجع الى ما تحبون ثم كتب لهم أنه يرجع الى ما تحبون ثم كتب لهم بذلك فانصرفوا» (٣) . ثم طلب منه أن يفرق عنه الناس وربما أهل المدينة حيث قام عمرو خطيبا وصور لهم وضع عثمان وطلب منهم الصبر قائلا : «فاصبروا له ... فإن الصغير يكبر والهزيل يسمن ولعل تأخير أمر خير من تقديمه» .(٤)

مما تقدم يمكننا استنتاج النقاط التالية حيال موقف عمرو السياسي من عثمان في حياته :-

١- حقا لقد غضب عمرو بن العاص من سوء تقدير عثمان له وهو فاتح مصر وأميرها .

---

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٤ :٣٥٧ ونحو ذلك ذكر ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ٣ :١٦٣ .

(٢) الطبري : م.س، ٤ :٢٥٧، أما البلاذري: فتوح البلدان، ٤ :٥٦٥ فيروى حول ذلك «فخرج الى فلسطين فأقام بها في ماله وجعل يحرض الناس على عثمان حتى رعاة الغنم». ونحو ذلك ابن الأثير : م.س، ٣ :٦٣ .

(٣) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي، ٢ :١٧٤ .

(٤) اليعقوبي: م.ن، ١ :١٧١ .

٢- أخذت العلاقة بينهما تسود يوما بعد يوم نتيجة سوء ظن عثمان بعمرو، وبسبب تعبئة من أحاط بعثمان من بني أمية ضد عمرو .

٣- كان عمرو بن العاص رغم ذلك مستشارا لعثمان، حيث استدعاه مرارا كما يظهر من رواية الطبري : « وأدخل معهم في المشورة سعيدا وعمرا»[(١)] وكان له ناصحا وناقدا .

٤- لم يظهر عمرو بن العاص تلك المواقف مذموما من أهل المدينة ولا من المتمردين حيث تعرض علي بن أبي طالب للمواقف بني أمية دون ذكر عمرو .[(٢)]

٥- ويبدو أنه من خلال كلماته الحازمة الناقدة لعثمان كان منصفا في نطقها، مصورا حال عثمان مما أرضى أو أسكت المتمردين عنه .

٦- لم يستفد عثمان من خبرة عمرو بن العاص وسيرته الحسنة في مصر حيث لم يجعله مواجها للمتمردين ولم يستعن به كما استعان بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه .

٧- لم يكن طعن عمرو على عثمان ذا أثر في الناس حيث لم يبدو له دور مع المتمردين أو أثر فيهم .

٨- ان الوزر كل الوزر في إثارة المتمردين يقع على عبد الله بن سبأ كما يعلمنا بذلك الطبري قائلا: «كان عبد الله بن سبأ يهوديا، فأسلم زمن عثمان ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم فبدأ بالحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ثم الشام . . حتى أتى مصر . . . وضع لهم الرجعة الى أن قال أن عثمان

---

(١) الطبري : م.س، ٤ :٣٤٢.
(٢) الطبري : م.س، ٤ : ٣٥٨-٣٧٨.

أخذها بغير حق . . . فانهضوا في هذا الأمر فحركوه وابدأوا بالطعن على امرائكم» .(١)

ثانيا - موقف عمرو من عثمان بعد مقتله :-

وقف عمرو من عثمان أثناء الحصار موقف المعتزل حيث استقر أمره في فلسطين، وهذا الموقف أميل الى المتفرج منه الى الساند، وربما اتخذ هذا الموقف لأنه ضاق ذرعاً بعثمان، حيث لم تؤثر في عثمان كلمات عمرو، ولذا لما خرج مع ولديه، وكان يقول للناس في المدينة «والله يا أهل المدينة، ما يقيم بها أحد فيدركه مثل هذا الرجل إلا ضربه الله عز وجل بذل، ومن لم يستطع نصره فليهرب» (٢) . أدرك عمرو بن العاص أصرار ثوار الأقاليم على قتل عثمان لتشدده، وعدم تغيير منهجه، وربما أدرك موقف أهل المدينة الذين لم يقفوا مع عثمان في محنته، لذلك قال لهم ما قال، وخرج معتزلا هذه الفتنة لا حول ولا قوة له في نصرة عثمان، ولما بلغ مقتل عثمان عمرا فتأثر لهذا الحدث العظيم في الإسلام في تلك الفترة، وقال من رواية سيف :«أنا أبو عبد الله تكون حرب من حك فيها قرحة نكأها، ورحم الله عثمان، ورضي الله عنه وغفر له . . ثم ارتحل راجلا يبكي كما تبكي المرأة وهو يقول واعثماناه أنعى الحياء والدين» .(٣)

بهذه النفسية المشفقة على قتل عثمان استقبل عمرو هذا الخبر، الذي حز في نفسه كما حز في نفس غيره من الصحابة الذين فُجعوا بقتل عثمان (٤)، فهبوا للمطالبة بدمه من علي بصفته قائد هذه الأمة المبايع في المدينة، منهم طلحة، وعائشة رضي الله عنها والزبير وهو أكثر جرأة في المطالبة بدم عثمان، حيث وقعت معركة الجمل نتيجة هذه المطالبة التي انتهت الدفعة الأولى من المطالبين بدم عثمان.

---

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٤: ٢٤٠-٢٤١ وكذلك ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ٣: ١٥٤.

(٢) الطبري : م.س، ٤: ٥٥٨ وابن الأثير : م.س، ٢٧٤.

(٣) الطبري : م.س، ٤: ٥٥٩.

(٤) الطبري : م.ن، ٤: ٤٩٢ حيث يظهر ترحم الصحابة على عثمان وأسفهم عليه، وكذلك ابن كثير : البداية والنهاية، ٧: ١٨٩.

المبحث الثاني

انحياز عمرو بن العاص الى معاوية

أولا – موقفه من فئات المسلمين :

انقسم المسلمون وعلى الأخص الصحابة – الذين هم رمز القيادة الإسلامية بعد مقتل عثمان الى أربعة أقسام :

١- القسم الأول : المعتزل لهذه الفتنة .

٢- القسم الثاني : المبايع لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه.

٣- القسم الثالث : المطالب بدم عثمان رضي الله عنه .

٤- القسم الرابع : المناصر لمعاوية بن أبي سفيان في مطالبته بدم عثمان رضي الله عنه .

أما عمرو بن العاص فقد اتخذ من هذه الفئات موقفا جليا فيما يلي بيانه :

رغم اعتزال عمرو بفلسطين أثناء حصار عثمان ومقتله رضي الله عنه إلا أنه لم يلتزم بهذا الإعتزال، ولم يلزم بالفئة التي كانت ترى اعتزال هذه الفئة، أمثال: عبد الله بن عمرو، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم نظرا لما لعمرو بن العاص رضي الله عنه من علو همة، وظهوره فاعلا ايجابيا في كثير من الأحداث الاسلامية العسكرية والسياسية السابقة، وليس صحيحا أنه لم ينحز اليهم لمطامع شخصية[1]، ولم ينضم الى الفئة الثالثة زعماء معركة الجمل المطالبين بدم عثمان ادراكا منه بأن مصيرهم

(١) يشير حسن ابراهيم : تاريخ عمرو بن العاص، ٢٠٦ الى أنه لم ينحاز لهذه الفئة لأن الرجل كان رجل عمل ومطامع .

الفشل، بسبب وجود أنصار علي رضي اللـه عنه، ونظرا لقلة أنصارهم في تلك الديار، فضلا عن أن ثلثي الخارجين على عثمان كانوا من البصرة والكوفة .

ثانيا – موقفه من علي رضي الله عنه :

كان عمرو بن العاص يـدرك أن عليا رضي الله عنه أصبح الخليفة الشرعي أثر بيعة أهل المدينة والأمصار له، لكنه لم يقف في صفه، ولم يبايعه، ولم يويد من بايعه، بل صار خصما لهذه الفئة ويمكن ارجاع ذلك الى الأسباب التالية :-

١- ان عليا رضـي الله عنه لم يـحاكم الخارجين علـى عثمان رضي اللـه عنه بل ضمهم اليه بعد بيعته حيث صاروا من أنصاره وقادته .

٢- ان عمرو وان اختلف مع عثمان (رضي الله عنه) اثر عزله اياه عن مصر، لم ينسى أن عثمان خليفة المسلمين ولا يجوز قتله، ولم يرضه قتلـه، فوقف معاديا لقتلة عثمان الذين صار منهم أنصاراً لعلي وطالب بدم عثمان .

٣- ان عليا لم يُول عمرو أي انتباه، ولا عناية، وهو يعلم أهميته ودوره، فأهمل عمرو ولم يطلب منه البيعة، فأدرك عمرو هذا التجاهل فانحاز عنه وليس صحيحا ما يعبر عنه حسن ابراهيم «ان أمثال عمرو لا يمكن أن يعتمد عليهم في عمل أو يستعين بهم في سلطان فهو يائس من فضله»[1] فإن عمرو ظهرت أهميته في معسكر معاوية وآثاره واضحة فيما بعد .

٤- أما ما يراه حسن ابراهيم «من أن عمرو كان قرشيا، وكان ميل قريش الى خلافة هاشمية قليلة جدا»[2] . فنحن نعلم أم بني هاشم كانوا من سادة

(١) يشير حسن ابراهيم : م.ن، ص ٢٠٦ الى زن مقتل عثمان لم يغضبه ولم يسخطه وربما أرضاه .

(٢) حسن ابراهيم : م.ن، ٢٠٦.

قريش في الجاهلية، وكانت قريش تحترم تلك السيادة، ولما جاء الإسلام وظهر رسول الله ﷺ فاظهروا له الطاعة بعد فترة من العصيان، وحتى في الجاهلية عرضوا عليه الرئاسة، ولم يوص بالخلافة لأحد من بعده صراحة فأين هذا التقليل ؟! من قيمة بني هاشم. أما اذا اعتمد على رواية الطبري من أن عمرو قال: «ولا يصلح الباب إلا أشاف تخرج الحق من حافرة اليأس»[1] فقد قالها عمرو وهو في حالة حزن على عثمان، وربما ما ذكره المؤلف، كان تعبيرا عن رأيه الشخصي .

٥- ليس صحيحا أن عمرا لم ينحاز لعلي بسبب عداء شخصي وهو القائل : «وأن يلينا ابن أبي طالب فلا أراه إلا سيستنظف الحق» [٢]. أما قوله : «وهو أكره من يلينا الى» [٣]، فربما نتيجة لموقفه من قتل عثمان، كما أننا لا نجد أي مبرر لهذه العداوة سابقا بين هذين الصحابيين رضي الله عنهما .

ثالثا - انحيازه الى معاوية :

لم يغير عمرو موقفه المطالب بدم عثمان (رضي الله عنه) وأخذ يبحث عن حليف يحقق معه هذا الهدف، فلما علم حاجة معاوية (رضي الله عنه) اليه لبحث القضية سار إليه للتباحث في أمر علي (رضي الله عنه) «ودعا عمرو فاستشاره فيما كتب اليه» [٤]، ونجد اليعقوبي يوضح ذلك قائلا: «وبعث معاوية من ليلته الى عمرو بن العاص أن يأتيه وكتب اليه وقد حبست نفسي عليك؛ حتى تأتيني»[٥] . ومهما قيل في الأمر فقد التقى عمرو بمعاوية، ولم يكن في

---

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٤ :٢٥٩.

(١) الطبري : م.ن، ٤ :٥٦٠.

(٢) الطبري : م.ن، ٤ :٥٦٠.

(٣) الطبري : م.ن، ٤ :٥٦١ ويخبرنا من رواية الواقدي أن عمرو أشير عليه بوضع معاوية، فسار اليه وكذلك ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ٣ :٢٧٥.

(٤) المنقري : موقعة صفين. ٣٣ وينقل عنه كل من نفس النص، اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ١ :١٨٤، أما المسعودي : مروج الذهب، ٢ :٣٥ فإنه يقول س أنه كتب الي معاوية بهذه ويشير عليه بدم عثمان فبعث اليه معاوية فسار اليه وهذه آراء كتاب الشيعة.

أمر اتفاقهما غرابة، فكلاهما يطالب بدم عثمان . . ! وان اخْتُلِفَ في طريقة اللقاء ومن بادئ منهما الآخر بالدعوة، فدعى عمرو بن العاص ولديه عبد الله ومحمد، واستشارهما في وضع معاوية رضي الله عنه وفاضل بينه وبين علي رضي الله عنه فقال له عبد الله :«أرى أن تكف يدك وتجلس في بيتك حتى يجتمع الناس على إمام نبايعه . وقال محمد بن عمرو : أنت ناب من أنياب العرب فلا أرى أن يجتمع هذا الأمر وليس لك فيه صوت ولا ذكر» [1]، فقيم رأيهما رسار الى معاوية رضي الله عنه .

ويخبرنا الطبري سبب اتفاق عمرو ومعاوية قائلاً : « أما والله ان قاتلنا معك نطلب بدم الخليفة ان في النفس من ذلك ما فيها حيث نقاتل من تعلم سابقته وفضله وقرابته ولكنا إنما أردنا هذه الدنيا» [2] وعلى الطرف الآخر يقف كتاب الشيعة بآراء أخرى حيث يعللون هذا التقارب لمصالح دنيوية فقط كما يخبونا المنقري يقول عن رأي عتبة ابن أبي سفيان : «أن يثمن له في دينه» [3] وفي موضع آخر :«فما تجعل لي ان بايعتك علي حربه وأنت تعلم ما فيه من الغرور والخطر قال : حكمك، قال : مصر طعمة» [4]، ومهما يكن من أمر فقد انحاز عمرو بن العاص الى معاوية، وكان لهذا الإنحياز دواعي عدة :-

١- اتفاق عمرو ومعاوية علي المطالبة بدم عثمان، والنيل من قتلته، وإصرار عمرو على المطالبة بذلك .

---

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٤ : ٥٦٠، ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ٣ : ١٧٥ .

(٢) الطبري : م.س، ٤ : ٥٦٠، ابن الأثير : م.س، ٣ : ٢٧٥. مع خلاف في (تقاتل) ويمثل هذا القول قول المعتدلين .

(٣) المنقري : موقعه صفين، ٣٣ وفي ٣٩ « إن تشتري عمرا بمصر».

(٣) المنقري : م.ن، ٣٣٧ وفي ٣٩ يذكر هذا الاتفاق ويُنْطِقُ عمرو شعرا قائلا:

مُعَــــاوى لا أعطيـكَ ديني — ولم أنَل منكَ دُنيا فانظُر كيفَ تصنَعَ

فإن تعطِني مِصراً فاربح بِصفقةٍ — أخذتَ بِها شَيخاً يضضُرُ وينفَعُ

وينقل نفس الشعر والرواية كل من المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر، ٢ : ٣٥٤ لم نجد لها أثرا عند الطبري وابن الأثير وابن كثير، أما اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي، ٢ : ١٨٦ فيقول «فكتب له بمصر شرطاً وأشهد له شهودا وختم الشرط وبايعه عمرو وتعاهدا على الوفاء».

٢- أدرك عمرو بن العاص رضي الله عنه قوة معسكر معاوية وترابطه واتفاق أهل الشام المحبين لمعاوية على الثأر لعثمان .

٣- عدم استجابة علي بتسليم قتلة عثمان أو محاكمتهم .

٤- صلة قرابة معاوية بعثمان بن عفان دفعت عمرا للتمسك بمعاوية، واتخذ ذلك ذريعة في المحكمة فيما بعد .

٥- أما ما قيل عن اتفاق عمرو مع معاوية ضد علي كرم الله وجهه لأطماع مادية، منها حكم مصر - وبيع دينه بدنياه - فلا نرجح صحته، حيث أن الطبري، وهو إمام المؤرخين الجاديين لم يذكر هذه الأطماع ولا أقر تلك الرواية، حتى وان حكم عمرو فيما بعد مصر، فقد كان عاملا لمعاوية كغيره من الولاة، وربما تقديرا من معاوية له، ولماضيه فيها ويكفي أن تلك الروايات كانت من كتاب الشيعة .

المبحث الثالث

معركة صفين

أولا – دور عمرو في مرحلة الإعداد :

كانت سنة ست وثلاثين حيث أحداث معركة صفين [1] وسنة سبع وثلاثين حيث كان التحكيم سنتين عاصفتين بالمسلمين نظرا لما فيهما من أحداث عسكرية وسياسية .

قدم عمرو بن العاص رضي الله عنه، ووجد أهل الشام في غليان يطالبون بدم عثمان فزاد في حماسهم حيث قال : «أنتم على حق، أطلبوا بدم الخليفة المظلوم» [2]. واستمرت تعبئة عمرو لمعاوية حيث قال : «قبيل الخروج أما اذا بلغك أنه يسير فسر بنفسك ولا تغب عنه برأيك ومكيدتك» [3] فأمره معاوية بإعداد الجيش، وبدأ عمرو بتعبئة الجيش مقللا من أهمية خصمه وقال : «ان أهل العراق قد فرقوا جمعهم، وأوهنوا شوكتهم، وفلوا حدهم، ثم أن أهل البصرة مخالفون لعلي كرم الله وجهه، وقد وترهم وقاتلهم، وقد تفانت صناديدهم وصناديد أهل الكوفة في يوم الجمل، وإنما سار في شرذمة قليلة، ومنهم من قتل خليفتكم، فالله الله في حقكم أن تضيعوه، وفي دمكم أن تبطلوه» [4] . لقد كان لهذه التعبئة أثر كبير في نفوس أهل الشام وكان عمرو بن العاص رضي الله عنه حامل لواء معاوية، وعقد : «الورد ان غلامه فيمن عقد ولأبنيه عبد الله ومحمد» .[5]

---

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٤ :٥٦٣ يجعلها من احداث سنة ٣٦ أما ابن خياط : تاريخ ابن خياط، ١٩١ فيحددها في ٧ صفر سنة سبع وثلاثين، وأما المسعودي : مروج الذهب، ٢ :٣٧٤ فيجعلها سنة ٣٦ .

(٢) الطبري : م.س، ١٤ :٥٦٠ .

(٣) الطبري : م.ن، ٤ :٥٦٣ .

(٤) الطبري : م.ن، ٤ :٥٦٣، وابن الأثير : الكامل في التاريخ، ٣ :٢٧٦.
٢ :٣٧٤، وابن كثير : البداية والنهاية، ٧ :٢٥٦.

(٥) الطبري : م.س، ٤ :٥٦٣.

ثانيا – خططه في المعركة :

سار عمرو ومعاوية بجيش قوامه سبعون ألفا، بينما كان جيش علي مائة ألف [١]، وربما اختار عمرو مكان المعركة قرب الماء لغرض في نفسه، وسبق عليا في ذلك، وكان له ما أراد حيث قدم جيش علي رضي الله عنه يريد الماء فمنعه من أهل الشام من ذلك، ونشب القتال الأول كما يخبرنا الطبري قائلا : «ثاروا في وجوهنا ينضحونا بالنبل ورشقناهم والله بالنبل . . وخرج الينا عمرو بن العاص من معسكر معاوية في جند كثير، فأخذ يمد أبا الأعور وخرج الأشتر من قبل علي» . [٢]

أدرك عمرو بن العاص : أنه لابد لعلي رضي الله عنه وجيشه من ورود الماء، ولقد كان على حق، فربما دفعهم العطش للإستماتة من أجل الماء، وإفناء الكثير من جيش معاوية . لذلك قال عمرو لمعاوية رضي الله عنه : «خل بينهم وبين الماء فإن القوم لن يعطشوا وأنت ريان، ولكن بغير الماء فانظر ما بينك وبينهم» [٣] وكان هذا الموقف أول اثار عمرو بن العاص رضي الله عنه في هذه المعركة . وربما كان لعمرو رأي آخر وهو الوصول الى تسوية سلمية بين الطرفين لما أمر معاوية أن ينظر بغير الماء فيما بينه وبينهم. استمرت المناوشات بين الطرفين طيلة شهر ذي الحجة (٤) دون أن يكون هناك قتال عام، ثم دخل المحرم وهو من الأشهر الحرم، فتوقف القتال، وبدأت الاتصالات بينهم بالرسل والمراسلات، وفي هذه الفترة لم يظهر لعمرو دور بارز وربما حضر المداولات

---

(١) ابن خياط : تاريخ ابن خياط، ١٩٣ والمسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر، ٢ : ٣٧٥ يجعل جيش معاوية خمس وثمانين ألفا وجيش علي تسعين ألفا

(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٤ :٥٧٢.

(٣) أخذ النص من الطبري : م.ن، ٤ :٥٧٢ نظرا لحياده ثم رجعت الى المصادرالأخري دون النظر الى الترتيب التاريخي حتى يستقيم المعنى، ونرى المنقري : وقعة صفين، ١٦٣ يقول قال عمرو سخل بينهم وبين الماد فإن عليا لم يكن يظمأ وأنت ريان وفي يده أعنة المطرق، وفي صفحة ١٦٧ يقول أثر مناقشة مع الأشتر والله لا تخلي عنه حتى تأخذها السيوف واياكم فيعلم ربنا أينا اليوم أصبر» وهذا : فيه تناقض واضح في الموقفين، وكذلك ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ٢ :٢٨٤ وكذلك ابن كثير : البداية والنهاية، ٧ :٢٥٦.

(٤) الطبري : م.س، ٤ :٥٧٥.

وكان يشير على معاوية بآرائه، دون أن يكون طرفا كما يظهر من الروايات التاريخية [1]. بدأت المرحلة الثانية : من القتال في صفين بعد انقضاء شهر محرم، فأخذ عمرو يساعد معاوية في تعبئة الجيش، واعداده للحرب، كما يخبرنا الطبري : «وخرج معاوية وعمرو بن العاص في الناس يكتبان الكتائب يعبئان الناس وأوقدوا النار» [2] لاشعار الخصم بيقظة الجيش، وقوة اعداده، وكذلك فعل علي رضي الله عنه في الطرف الثاني. ظهر دور عمرو قائدا للخيل، حيث كان على خيول أهل الشام كلها [3]، وثبت لخيل علي فترة الى أن ازداد الضغط عليه حيث «شد عمار بن ياسر في الرحال فأزال عمرو بن العاص عن موقفه» [4] . استمر القتال مدة سبعة أيام دون نتيجة، ثم بدأت مرحلة الاقتحام يوم الأربعاء والخميس دون التوصل الى نتيجة حاسمة أيضا، كان الفر والكر لكلا الطرفين [5] وربما كان هذا لتكافؤ في الصولات والجولات لأن كلا من الطرفين لم يكن راغبا ازهاق أرواح الناس أو ربما لغرض نفسي لعل الأمر يفضي الى وضع جديد .

بدأت الحرب جادة بعد هذه المناوشات، وكان النصر في هذه الحرب الجبارة لجيش الشام كما يخبرنا الطبري :«انتهت الهزيمة الى علي رضي الله عنه» [6] أولاً ثم عادت الكرة مرة أخرى على جيش الشام حيث اقترب جيش علي رضي الله عنه من مكان معاوية حسب رواية الطبري : «حيث انتهوا الى (الصف) الخامس الذي حول معاوية . . وكان يقول أردت أن أنهزم» [7]، ولم يذكر عمرو

---

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٤: ٥٧٣-٥٧٤ .

(٢) الطبري : م.ن، ٥ :١٠، ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ٣:٢٩٣ .

(٣) الطبري : م.س، ٥ :٢١٠، ابن الأثير : م.س، ٣:٢٩٥.

(٤) الطبري : م.س، ٥ :١٢، والمسعودي : مروج الذهب، ٢:٣٧٨ وابن الأثير: م.س، ٣:٢٩٤ يذكر أمر قتال عمرو وعمار .

(٥) الطبري : م.س، ٥: ١٤-١٥، وكذلك المسعودي : م.س، ٢: ١٧٨- ٣٧٩.

(٦) الطبري : م.س، ٥:١٨، وابن الأثير : م.س، ٣:٢٩٨.

(٧) الطبري : م.ن، ٥:٢٤، ابن الأثير : م.س، ٣:٢٠٣ .

بن العاص رضي الله عنه في هذه الأحداث وربما يعود ذلك الي أن القيادات التي هي دونه تعمل وتتصرف بأمره وأمر معاوية، ثم جاء دور المناوشات الفردية أثناء الحرب، فهذه المرة الثانية يشد عمار بن ياسر على عمرو «حتى دنا منه فقال يا عمرو بعت دينك بدنياك بمصر تبا لك تبا لما بغيت في الاسلام عوجا . . لقد قاتلت صاحب هذه الراية ثلاثا مع رسول الله ﷺ وهذه الرابعة ما هي بأبر ولا أتقى» [١]، وربما قصد عمار بن ياسر بذلك قبل اسلام عمرو، وجاء دور الرأي من عمرو لمعاوية، لما دعاه علي للمبارزة وقال : علام يقتل الناس بيننا هلم أحاكمك الى الله فأينا قتل صاحبه استقامت له الأمور فقال عمرو : أنصفك الرجل وما يجمل بك إلا مبارزته، فقال معاوية : ما أنصف وانك لتعلم أنه لم يبارزه رجل قط إلا قتله . . طمعت فيها من بعدي» [٢] . حقا لقد كانت لعمرو آراء ذات معنى، فهو الذي أشار على معاوية أن يسمح لعلي بالماء . . وكان صادقا في دعواه، حيث لما غُلب على الماء قال عمرو لمعاوية: «ان عليا لا يستحل منك ومن أصحابك ما استحلت منه ومن أصحابه»[٣]، فيمكن القول : أن عمرو كان ينظر الى ما هو خلف الجبل كان ينظر أن تنفرج الأمور الى حل سياسي تكون له، ويكون له موقف متزن بين الطرفين، حتى يمسك بأكثر من خيط دون أن ينسى هدفه الأساسي وهو المطالبة بدم عثمان، وفي هذه الوقعة عبر معاوية بذكائه عن مخاوفه من أطماع ذكي مثله، إذ من لهذا الأمر بعد معاوية غير عمرو المحرض على طلب دم عثمان وهو الشخص البارز الثاني بعد معاوية في معسكر الشام فضلاً عن دوره الواضح في هذه الأحداث، وأظهر معاوية تخوفه من طمع عمرو في الأمر وقال له : طمعت فيها من بعدي؟ .

ونرى المنقري يبرز لعمرو بن العاص رضي الله عنه في هذه المعركة دورين

---

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٥: ٣٩-٤٠.

(٢) الطبري : م.ن، ٤٢ والمسعودي : مروج الذهب، ٢:٣٨٦ ويزيد عليها (وحقد عليه) . المنقري : موقعة صفين. ٢٧٥ فيروى غير ذلك وأعلم أنه أن نكلت عنه لم تزل سبة عليلة وعلى عقبك . . . فقال معاوية يا عمرو ليس مثلي ينخدع عن نفسه .

(٣) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي، ٢:١٨٨.

الأول : وكان مهزوما من علي قائلا : «ثم طعنه فصرعه واتقاه عمرو برجله فبدت عورته» [1] . وربما أريد بهذه الروايات اظهار الخلاف بين معاوية وعمرو بن العاص . أما الموقف الثاني فيصوره لنا المنقري قائلا : سار عمرو بن العاص رضي الله عنه ومن معه حتى وقفوا قريبا من أهل العراق فاستقلهم وطمع فيهم، ثم رجع الى معاوية فقال : قد عرفت وعلمت وأرسل الى أبي الأعور فنحه عني، ودعني والقوم، فأقبل عمرو بن العاص ثم نادى ابنه عبد الله ومحمد أولاد عمرو رضي الله عنه وقال : قدما لي هذا الدرع، وأخرا عني هذا الحسر، وأقيما الصف قص الشارب، فإن هؤلاء جاءوا بخطة بلغت السماء . . . وسار عمرو بينهما حتى عدل الصفوف وأحسن.الصف ثانية ثم حمل قيسا وكلبا وكنانة على الخيل، ورحل الناس وقعد على منبره وأحاط به أهل اليمن وقال له لا يقربن هذا المنبر أحد إلا قتلتموه كائنا من كان» [2]، فإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن عمرو ثاقب البصر والبصيرة يعلم خطط الخصم، ومن ثم يقوم بإحباطها ليحرز النصر، ويفاجيء عدوه بكل أمر جديد، كما يدلنا على أن عمرو اعتمد على التعبئة النفسية، بإظهار جنده بمظهر المتكاتف القوي، ويدل جلوسه على المنبر على مدى سيطرته على المعركة وحسن اشرافه عليها، وان قصد المؤلف من هذه العبارات اظهار الخلاف بين جماعة معاوية .

ثالثا – قصة رفع المصاحف :

لابد من ايراد عدة روايات حول قضية رفع المصاحف للمقارنة والوصول الى بعض الحقائق الهامة في هذا المجال ونرى الطبري يعلمنا قائلا : «فلما رأى عمرو بن العاص رضي الله عنه أن أمر أهل العراق قد اشتد وخاف في ذلك

---

(١) المنقري : موقعة صفين، ٤٠٧ أما المسعودي : مروج الذهب، ٢:٣٨٦ فيذكر «أن معاوية أقسم على عمرو أن يبرز لعلي، عرفه على فشال السيف ليضربه به فكشف عمرو عن عورته» .

(٢) المنقري : م.س، ٢٢٦.

الهلاك قال لمعاوية هل لك في أمر أعرضه عليك لا يزيدنا (إلا) اجتماعا ولا يزيدهم الا فرقة؟ قال : نعم، قال : نرفع المصاحف ثم نقول : ما فيها حكم بيننا وبينكم فإن أبى بعضهم أن يقبلها وجدت فيهم من يقوال بلى نقبل ما فيها، رفعنا هذا القتال عنا وهذه لحرب الى أجل أو الى حين، فرفعوا المصاحف بالرماح وقالوا : هذا كتاب الله عز وجل بيننا وبينكم من لثغور أهل الشام بعد أهل الشام ومن لثغور أهل العراق بعد العراق، فلما رأى الناس المصاحف قد رفعت : نُجيب الى كتاب الله عز وجل ونُنيب اليه .[(١)]

ومن تلك الروايات يمكننا استنتاج ما يلي :-

١- أدرك عمرو بن العاص تفوق جيش علي على جيش الشام حتى كاد أن يهزمه .

٢- أراد عمرو بن العاص من رفع المصاحف أمرين الأول : تأجيل هذه الحرب حتى يلتقط أنفاسه، وربما أعاد الكرة من جديد، أو يمل الناس الحرب ويخرجوا بأمر جديد، والثاني : هو شق معسكر علي وتفريقهم، وقد نجح فيما أراد كما سيظهر في أمر التحكيم ورد فعل علي .

٣- أراد أن يحفظ لأهل الشام ماء وجههم، وهو أن لم يحصلوا على نصر فلا يرجعوا مهزومين .

---

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٥:٤٨ (الا) أخذناها من ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ٣:٣١٦ لما رأيت عدم استقامة المعنى في كتابه، أما المنقري : موقعة صفين، طريقة رفع المصاحف يختلف نصه عن نص الطبري .

أما اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي، ٢:١٨٨ فيقول : «فدعا معاوية بفرسه لينجو عليه فقال له عمرو بن العاص الى أين ؟ قال : قد نزل ما ترى فما عندك قال : لم يبقى إلا حيلة واحدة أن ترفع المصاحف فتدعوهم الى ما فيها تكفهم وتكسر حدتهم». أما المسعودي : مروج الذهب، ٢:٣٩٠ فيقول : «فقال معاوية : هلم مخباتك يا ابن العاص فقد هلكنا وتذكر ولاية مصر فقال عمرو : من كان معه مصحف فليرفعه». «ويعدد المصحاف حيث كانت خمسمائة مصحف» ونرى ابن كثير: البداية والنهاية، ٧:٢٧٢ يورد نحو الطبري مع بعض الفروق في الألفاظ.

٤- أدرك عمرو أن خطة رفع المصاحف حظيت بقبول أهل العراق لما أصابهم من تعب، وضرب على الوتر الديني الذي سيكون مقبولا جدا في هذه اللحظات الصعبة .

٥- عمل على تحويل الأنظار للأعداء المرابطين علي حدود العراق والشام ليصرف الناس عن وضعهم الحالي .

٦- ولأنه عرف نفسية أهل العراق حالفه الحظ وحول هزيمة أهل الشام نصرا .

المبحث الرابع

التحكيم

أولا – وقف القتال والإبتداء بالتحكيم :

لقد ظهر فريقان إثر الانقسام الذي حدث في معسكر علي رضي الله عنه:
الأول علي رضي الله عنه ومعه الأشتر مصران على القتال حيث قال علي : «أمضوا على حقكم صدقكم قتال عدوكم فإن معاوية وعمرو ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن أما الأشتر فلما أرسل علي في طلبه قال : «قل له ليس هذه الساعة ينبغي لك أن تزيلني» .[2]

أما الفريق الثاني : يتكون من مسعر التميمي وزيد الطائي والقراء، فقد وافقوا على قبول القرآن وحكمه، وقالوا : «يا علي أجب الى كتاب الله اذا دعيت اليه وإلا ندفعك برمتك الى القوم أونفعل كما فعلنا بابن عفان» [3] فارسل علي الى الأشتر يزيد بن هاني السبيعي وتوقف القتال بعد خصام ومحاولات في معسكر علي .

جاء الأشعث مستفسرا من معاوية في أمر رفع المصاحف فقال له تبعثون رجلا ترضون به ونبعث منا رجلا . . فقال الأشعث هذا الحق [4] وكان اختيار أهل الشام عمرو بن العاص دون خلاف، ومن جانب علي فقد اختار بعضهم أبا موسى الأشعري إلا أن عليا رفض أول الأمر وقال : «أني لا أدري أن أولي أبا موسى الأشعري» [5]، ثم تراجع وقبل حيث قال : «فقد أبيتم إلا أبا موسى

---

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٥: ٤٨-٤٩ والمسعودي : مروج الذهب، ٢: ٣٩٠.
(٢) الطبري : م.ن، ٥: ٤٩.
(٣) الطبري : م.ن، ٥: ٤٩.
(٤) الطبري : م.ن، ٥: ٥١.
(٥) الطبري : م.ن، ٥: ٥١، المسعودي : م.س، ٢: ٣٩١.

قالوا : نعم، قال : فاصنعوا ما أردتم» .[1]

وجاء دور الإعداد للإتفاق من أجل التحكيم «وحضر عمرو بن العاص عنده ليكتب بحضوره[2] فكتبوا : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تقاضى أمير المؤمنين فقال عمرو أكتب اسمه واسم أبيه هو أميركم أما أميرنا فلا وقال الأحنف لا تمح اسم «إمارة المؤمنين»، فإني أتخوف أن محوتها ألا ترجع اليك أبدا . . . ثم أن الأشعث بن قيس قال امحُ هذا الرسم برحه الله وقال علي : سُنّةٌ بِسُنّةٍ ومثل بمثل والله لإني لكاتب بين يدي رسول الله ﷺ اذ قالوا لست رسولا ولا نشهد لك به ولكن أكتب اسمك فكتبه»[3]، ويتم اليعقوبي قائلا : «وان اسمي واسم أبي لا يذهبان بإمرتي» .[4]

لقد أراد عمرو بن العاص من هذه المحاورة لـذكية أن يثبت عمليا وأمام علي رضي الله عنه أنه ليس أميرا على أهل الشام، فحقق ما أراد، كما أنه أراد ترجمة أفكاره أفعالا بخلع علي من الخلافة فكان له ما أراد، إذ أن عليا اعتقد أن إلغاء اللقب لا يلغي الإمارة حيث شبه هذا الموقف بصلح الحديبية في الوقت الذي رفض عمرو هذا التشبيه اذ قال : «ومثل هذا نشبه بالكفار ونحن مؤمنون»[5]، ولقد تحققت خطة عمرو، فلو لم تكن تلك الحرب بينهما لكانت بيعة من معاوية وعسكره لعلي، فضلاً عن رغبة عمرو في أن يوصل علي الى هذا الجو النفسي ويحل أول القيود فيساوي بين معاوية الذي لم يكن خليفة وعلي الخليفة، ويعمل في نفس الوقت على تفريق معسكر علي وتشتيت أفكارهم لتنجح خططه .

---

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٥:٥١، المسعودي : مروج الذهب، ٢:٣٩١.

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ٣:٣١٩ ولم أجد هذه العبارة عند الطبري: م.س، ٥:٥٢ مما يجعل الحديث متسلسلا كما أن النص الذي ليها متفق عند الكاتبين علما بأنه مأخوذ عند الطبري نقلا عن موقعة صفين ٥٨١-٥٨٣ بتصرف واختيار.

(٣) الطبري : م.س، ٥:٥٢، المنقري : م.س، ٥٠٨.

(٤) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي، ٢:١٨٩.

(٥) الطبري : م.س، ٥:٥٢، المنقري : م.س، ٥٠٨ شبهنا بدل نشبه وابن الأثير : م.س، ٣:٣٢٠ انشبه .

ثانيا : الإتفاق :

اتفق الطرفان بعد طول جدال كما رأينا على كتابة الاتفاق في يوم «الأربعاء ١٣/ ٢/ ٣٧هـ/ ٦٥٨م» حسب النص التالي :

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحمنِ الرَّحيم

هذا ما تَقاضَ عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، قاضى عليٌّ على أهل الكوفة ومن معهم من شيعتهم من المؤمنين، والمسلمين، وقاضى معاوية على أهل الشام ومن كان معهم من المؤمنين والمسلمين، إنا ننزل عند حكم الله عز وجل وكتابه لا يجمع [1] بيننا غيره، وان كتاب الله عز وجل بيننا من فاتحته الى خاتمته نحي، ما أحيا ونميت ما أمات، فما وَجَدَ الحكمان في كتاب الله عز وجل وهما أبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص القرشي - عَمِلا به، وما لم يَجِدا في كتاب الله عز وجل فالسنة العادلة الجامعة غير المفرقة، وأخذ الحكمان من علي ومعاوية ومن الجندين من العهود والميثاق والثِّقة من الناس أنهما آمنان على أنفسهما وأهلهما والأمة لها أنصار على الذي يتقاضيان عليه .[2]

ولقد احتوى هذه النص على عدة أمور جديرة بالإهتمام ومنها :

١- ان هذين الحكمين الممثلين لجبهة علي وجبهة معاوية رضي الله عنهما ممثلان للأمة الاسلامية، وأن حكمهما نافذ فيها .

---

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٥: ٥٧ يجعلها من أحداث سنة ٣٧، وابن الأثير : الكامل في التاريخ، ٣: ٣٢١، أما المسعودي : مروج الذهب، ٢ فيجعلها لأيام بقيت من صفر وقيل بعد هذا الشهر .

(٢) الطبري : م.س، ٥: ٥٣-٥٤ ولم أكمل النص لطوله، ابن الأثير : م.س، ٣: ٣٢٠ وابن كثير : البداية والنهاية، ٧: ٢٧٦ أما المسعودي : م.س، ٢: ٣٩٢ فلم يذكر النص.

٢- ان يكون الحكم بكتاب الله، فإن لم يجدا، فالسنة العادلة الجامعة غير المفرقة فإن لم يجدا، فاجتهادهما ضمنا حيث : «ان يحكما بين الأمة ولا يرادها في حرب لا فرقة» .[1]

٣- على الأمة الاسلامية السمع والطاعة وتنفيذ حكمهما وعدم نقضه ويشمل حكمهما حاضر الأمة وغائبها، وتكون الأمة لهما أنصاراً .

٤- يحق للحكمان تحديد المكان العدل، والزمان المناسب، والشهود .

ثالثا – التحكيم والنتيجة :

التقى الحكمان سنة سبع وثلاثين في دومة الجندل حيث أن عليا بعث أربعمائة رجل . . . وبعث معهم عبد الله بن عباس . . . وأبا موسى الأشعري، وبعث معاوية عمرو بن العاص في أربعمائة من أهل الشام [2] «كما أنه حضر تلك الجماعة عبد الله بن عمرو وعبد الله بن الزبير . . . ممن اعتزل قتال على معاوية» [3] . ولقد أحاط معاوية وعمرو أمرهما بالكتمان، وعكسه كان يجري من طرف جماعة علي حتى قال ابن عباس «أما تعقلون أما ترون رسول معاوية يجيىء لا يعلم بما جاء به . . . وأنتم عندي كل يوم تظنون الظنون» [4] . بدأت المداولة بين الحكمين وأظهر عمرو من الكياسة والمدح ما طمأن أبا موسى الأشعري حيث أخذ عمرو يقدم أبا موسى في الكلام يقول : «انك صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت أسن مني فتكلم وأتكلم» [5]، وبذلك ضمن أول الشروط لتحقيق خططه . ثم أخذ عمرو بعد الإغراء بتقديم أتباع

---

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٥:٥٤.

(٢) الطبري :م.ن، ٥:٦٧، وأما المسعودي : مروج الذهب، ٢:٣٩٦ فيجعلها سنة ثمانية وثلاثين ونرى اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي، ٢:١٩ يجعلها في شهر ربيع الأول سنة ٣٨ وكانت (الحكومة) في شهر رمضان سنة ٣٨.

(٣) الطبري : م.س، ٥:٦٧.

(٤) الطبري : م.ن، ٥:٦٧.

(٥) الطبري : م.ن، ٥:٧٠

معاوية أولا ثم عبد الله بن عمرو ثانيا، فلم يقبل أبو موسى الاشعري هذا الوضع وأراد أبو موسى تقديم عبد الله بن عمر بن الخطاب، فأبى عليه وقال له: خبرني ما رأيك؟ قال : أرى أن نخلع هذين الرجلين ونجعل الأمر شورى بين المسلمين، فيختار المسلمون لأنفسهم من أحبوا، فقال عمرو فإن الراي ما رأيت» [1] . حقق عمرو بذلك ما أراد، إذ بعد أن راوده على خلع علي قبل تنازل أبي موسى الأشعري بخلع علي وخلع معاوية وكان ذلك نقطة انتصار جديدة، وأدرك أن أبا موسى أخذ في التراجع عن موقفه . خرجا من اجتماعهما الى الناس، وأوهم عمرو أبا موسى والمجتمعين بأنهما توصلا الى حل: حيث طلب من أبي موسى إشعارهم بذلك فتقدم أبو موسى فقال :« ان رأيي ورأي عمرو قد اتفق على أمر نرجو أن يصلح الله عز وجل به أمر هذه الأمة، فقال عمرو : صدق وبر يا أبا موسى تقدم فتكلم» [2] . وهنا أدرك ابن عباس ما يدور بخلد عمرو بن العاص، فقال : «ويحك والله إني لأظنه قد خدعك ان كنتما قد اتفقتما على أمر فقدمه فليتكلم بذلك الأمر قبلك ولا آمن أن يكون أعطاك الرضى فيما بينك وبينه، فإذا قمت في الناس خالفك - وكان أبو موسى مغفلا - فقال له : إنا قد اتفقنا» [3]، وعلى الرغم من صحة تخمين ابن عباس رضي الله عنه فلم يقف حائلا أمام قرار عمرو ففعل ما ظنه ابن عباس، آلا أن مايلفت النظر في هذه القضية القول: ان أبا موسى كان مغفلا فإن المتتبع لسير القضية يدرك أن أبا موسى كان حازما، وما كان يتنازل لعمرو في أمر ترشيح من أراد . إلا اذا قصد بأنه استغل في نهاية الموقف : إذ أن أبا موسى لم يدرك خطة عمرو الفجائية إلا بعد الإتفاق فيما بينهما، فتقدم أبو موسى، فحمد الله عز وجل، وأثنى عليه ثم قال : «أيها الناس إنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة فلم نر أصلح لأمرها ولا ألم لشعثها من أمر قد أجمع رأيي ورأي عمرو بن العاص

---

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٥:٧٠، ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ٣:٣٣٢.

(٢) الطبري : م.س، ٥:٧٠، أما المسعودي فيجعل عبد الله بن عمر صهر أبي موسى الأشعري : مروج الذهب، ٢:٣٩٧.

(٣) الطبري : م.س ٥:٧٠، اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي، ٢:١٩٠، ابن الأثير م.س، ٢:٣٣٢.

عليه هو أن نخلع عليا ومعاوية وتستقبل أمركم وولوا عليكم من رأيتموه لهذا الأمر أهلا . . . وأقبل عمرو بن العاص فقام فحمد الله وأثنى عليه وقال : ان هذا قد قال ما سمعتم وخلع صاحبه وأنا أخلع صاحبه كما خلعه، وأثبت صاحبي معاوية فإنه ولي عثمان والطالب بدمه وأحق الناس بمقامه» .[1]

وهنا لابد من إثبات بعض الملاحظات والحقائق حول هذا الحكم :

١- لقد ارتضى الطرفان كلاهما بهذين الحكمين وبما يصدر عنها ضمن الشروط التي اتفقا عليها والتزما بذلك .

٢- لقد كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه خليفة مبايعا في دار الخلافة الإسلامية، وفي أنحاء غيرها من الديار الاسلامية، وبقبوله بالحكمين وما يصدر عنهما فقد خُلع من منصبه للمرة الثانية وكانت الأولى عندما وافق على إزالة اللقب والثانية عند القضاء .

٣- لم يكن معاوية رضي الله عنه خليفة مبايعا إلا أن يكون قد أخذ البيعة من أهل الشام، وهذا ما لم نجده في أي رواية تاريخية ولكن ذكاء عمرو في إزالة صفة الإمارة عن علي رضي الله عنه سوى بينه وبين علي في المرتبة.

٤- لقد خُلع علي في نهاية هذا التحكيم مرتين الأولى من أبي موسي الأشعري والثانية من عمرو بن العاص رضي الله عنه كما أكد الخلع من بعده.

٥- لقد حقق معاوية بيعة خاصة وهي حكم عمرو في القضية ومن معه، وهذا يؤيد ما ذهبنا اليه من أنه لم يكن مبايعا من قبل، ولكن هذه البيعة لم تكن كافية لجعله خليفة عاما للمسلمين حيث بقي علي خليفة الى أن تُوفي .

---

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٥: ٧٠-٧١، وعند ذلك يذكره المنقري : موقعة صفين، ٤٤٥ - ٥٤٦ مع اختلاف في بعض الألفاظ، أما المسعودي : مروج الذهب، ٢: ٣٩٨-٣٩٩ فيورد روايتين مختلفتين والثانية مع اختصار الفاظها أقرب الى الطبري، أما اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي، فيورد موجزة قريبة من ذلك .

٦- لم يكن حكم عمرو السبب الرئيسي في تقسيم العالم الرسلامي وتمزيقه فرقا وأحزابا، حيث ان أول من وضع بذور الانقسام هو عبد الله بن سبأ كما رأينا سابقا، فأوجد فرقا تؤمن بتعاليمه في الأمصار الاسلامية .

٧- لقد اجتهد عمرو بن العاص، فتوصل الى النتيجة التي وصل اليها فكان لاجتهاده الأول حقن لدماء المسلمين عندما رفع المصاحف، فأثيب عليها من الله، ولقد اجتهد الاجتهاد الثاني في التحكيم فإن أصاب فله عشرة أضعاف وإن أخطأ فله حسنة واحدة . وهذه قاعدة فقيه، وممن أخذ بذلك، ابن عربي في القاعدة الفقهية هذه : «ولا عدت سبيل الاجتهاد الذي يؤجر فيه المصيب عشرة والمخطئ أجرا واحدا» .[١]

ولابد من ايراد ملاحظة أخيرة حول هذا التمزق والإنقسام، الذي حل بالمسلمين منذ بداية الفتنة حتى نهايتها، وهو تغير نفسية المسلمين في ذلك العهد وهذا التغير يمكن إرجاعه الى الاحتكاك بالعالم الخارجي من باب واسع فقد احتك المسلمون بالروم وعرفوا حضارتهم ،نظامهم، وكذلك تعرفوا على ما لدى الفرس من نظام سياسي، وربما عرفوا على الثورات في تلك الدول فأصبحوا في حالة قلق وهم أميل الى التغيير زمن عثمان منه الى الاقتداء زمن رسول الله ﷺ وخليفته أبي بكر وعمر رضي الله عنه، ويصور لنا هذه النفسية ابن تيمية قائلا : «والآخرون أهل النفوس اللوامة التي تفعل الذنب ثم تلوم عليه تارة كذا وتارة كذا ولما كان في آخر خلافة عثمان وخلافة علي فصار فيهم شهوة وشبهة فنشأت الفتنة» [٢] . تلك الفتنة التي هزت العالم الإسلامي، وغيرت طريقة الحكم ونقلت مركز الخلافة من المدينة الى خارجها .

---

(١) القاضي أبو بكر بن العربي : العواصم من القواصم، ١٧١ .
(٢) ابن تيمية : الحسبة في الاسلام، ٩٦-٩٧.

الفصل الخامس

إدارة عمرو بن العاص رضي الله عنه لمصر

المبحث الأول

الوضع الاجتماعي في مصر

فتح عـمرو بن العاص مـصر وبقي أميرهـا مدة أربع سنين وأشـهر، الى أن عزله عثـمان بن عفان رضي الـله عنه، وعاد اليهـا زمن معاوية بن أبـي سفيان، فدامت إمارته الثانيـة ثلاثة سنين تقريبا . قام خلال هاتين الفترتـين بأعمال جليلة تركت أثرا في حياة سكانها . ولإدراك هذه الاثار نرى أنه لابد من معرفة طبقات المجتمع المصري في تلك الحقبة، فآثرنا أن نتـناول بالتحليل مجموعة نصوص من الطبري مكـونة من ثلاثة نصوص : النص الأول يتـعلق بعملية الفتـح العسكري لمدينة عين الشمس والنص الثاني يتعلق بـنص الصلح والنص الثالث يتعلق بوضع النوب في مصر ذلك الوضع المبهم في النـص الثاني والثالـث . لذا سنتناول نصاً آخر من المسعودي علنا نجلي من خلالـه وضع النُوب السالف الذكر لا سيما وأن هذا النص يوضح بشـكل تفصيلي علاقة العرب الفاتحين بـهؤلاء النُوب في مصر أولا، ثم توضيح دور كل مـن عمرو بن العاص وعبد الله بـن أبي السرح رضي الله عنه في هذه الـنصوص من وجهة نظر المؤرخين ثانيا فضـلا على أننا آثرنا أن تتنـاول بالتحليـل نص المسعودي لاخـتلاف المذهب الديـني عند كل من الـطبري والمسعودي مع بيان أوجه الاتفاق والاخـتلاف عند كليـهما، اخترنا مـن الطبري مجموعـة من النصوص التـالية : لمجتمع يختـلف عنهمـا ديناً، ولنوضح مـعاملة العرب المسلمين للمجتمع المسيحي في مصر ثالثا .

أولا- نصوص الطبري المختاره

النص الأول :

لَمّا نَزل عَمروُ بنَ العَاصَ على القَوْم بَـعين الشّمس وَكَانَ المْلكُ بَيْن القِبطِ وَ النُوب وَنَـزَلَ مَعَه الزُبيْـر عَليهـا قَالَ أهْلُ مِصر لِـملِكِهم : مـا تُريد مِن قَـوْم فَلو كِسْرى وَقَيـصَر وغَلَبْوهُم عَلـى بِلادِهِم . صَالح القَـوْمَ عَليها واعتَقِـد مِنهُم، ولا تُرض ولا تعـرضنا لهـم، وَذلِكَ في اليَوم الـرّابع، فَأبَى وَنَـاهَدَهُم [1] وَقَاتَلُوهُم وارتقى الزُبَير سُورها فَلمّا أحَسّوا به فَتحُـوا البَابَ لِعَمرو وَخرَجُوا إليه مُصالِحِينَ وَنَزلَ الزُبَيْر عُنْوَةَ حَتـى خرَجَ على عَمْرو مِنَ البَابَ مَعَهُم، فَاعتَـقَدا بَعدَما أشْرَفُوا عَلـى الهَلَكَـةِ، فَجرَوا مَـا أخذَ عُنوَةً مَـجْرَى مَا صَـالحَ عَلـيْهِ فَصَارُوا ذِمّـةً وكَان صُلْحُهُم .[2]

النص الثاني :

بِسْمِ اللهِ الرّحمنِ الرّحِيمِ

هَذَا مَا أعْطَى عَمرُو بِـن العَاص أهلَ مِصرَ مِنَ الأمانِ عَلى أنفُـسهم وَمِلّتِهِم وأموالِهِم وكَنَائِسِهِم وَصُلُبِهِم، وَبَرهِم، وبَحرهِم، لا يَدْخل عَليهم شَيء مِنْ ذَلِكَ وَلا يُنتَقَص، ولا يُسَاكِنَهُمَ النُوب . وَعَلى أهلِ مِصرَ أنْ يُعطُوا الجِزيَةَ إذا اجتَمعُوا عَلى هَـذَا الصُلح، وانتَـهَت زِيَارةُ نَهرهِـم خَمسِينَ ألفَ ألـفٍ، وَعَليهِم مَـا جَنى لِصَورِتِهِم [3]، فَإن أبَى أحد مِنهُـم أن يُجيبَ رُفِعَ عَنهُم مِنَ الجَزاء بِـقَدرِهِم وَذِمتِنا

فلوا : هزموا.

اعتقد منهم : أعقد الصلح معهم .

(١) ناهدهم : ناهضهم وصمد لهم .

(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٤: ١٠٨-١٠٩.

(٣) اللصوت : جمع لصت وهو اللص .

مِمَن أبى بَريثة، وإن نَقَصَ مِن غايته إذا انتَهى رفع عنهم بقدر ذلك، ومن دخل في صُلحهم من الروُم والنُوب فهُوَ آمِنٌ حَتى يَبلغَ مَأمَنَهُ، أو يَخرُجَ مِن سُلطانِنا، عَليهم مَا عَلينا أثلاثاً مِن كُل ثُلث مَا عَليهم، عَلى مَا في هَذا الكِتاب عَهدَ اللهِ، وَذِمَةِ رَسُولِ اللهِ، وذمة الخليفة أمير المؤمنين، وذمم المؤمنين، وعلى النوبة الذين استجابوا أنْ يُعينُوا بِكَذا وكَذا إأساً، وكَذا وكَذا فَرَساً عَلى ألا يَغزو وَلا يَمنَعُوا مِن تِجارَة ولا وارِدَةٍ . شَهِدَ الزُبَير وَعَبد اللهِ وَمُحَمَدٍ ابناه، وكَتَبَ وَرْدَ ان وحَضَرَ، فَدَخَل في ذَلِكَ أهلُ مِصرَ وَقبلوا الصُلحَ . . . .[1]

النص الثالث :

«إنَّ المُسلِمِينَ لَمَا فَتحوا مِصرَ غَزَوا نَوبَة مِصرْ فَقَفَلَ [2] المُسلِمون بِالجِرَاحاتِ وذَهَابِ الحَدقَ مِن جَودةِ الرَّمْي، فَسُموا رُمَاةَ الحَدَقِ، فَلمّا ولي عَبْدُ اللهِ ابن سَعد بِن أبي السَرْحْ مِصر، وَلاْه إياهُ عُثمان بن عَفان رَضِيَ اللهُ عَنهُ صَالَحهُم عَلى هَديَّة عِدَة رُؤوسٍ مِنهُم، يؤدُنَهُم إلى المُسلِمين فِي كُل سَنَة ويَهدِي إليهم فِي كُل سَنة طَعَاماً مُسَمى وكِسوةً وَنَحوَ ذَلِك . . . . وَأمضَى الصُلح عُثمان وَمن بَعدَهُ مِن الوُلاةِ والأمرَاءِ» .[3]

ثانياً : نص المسعودي المقترح فهو :

«وَقَد كَانَ عُمَر بِن الخَطَاب رضي اللهُ عَنهُ لَمَا افتَتَحَ عَمرو بن العَاص مصر كتب اليه بمحاربة النُوبة، فَغَزَاهُم المُسلِمون، فَوَجَدَهُم يَرمُون الحَدق وأبى عَمرو بن العاص أن يُصَالِحَهُم، حتى صُرِف عن مصر، ووليَها عبد الله بن سَعْد، فَصَالحهُم على رُؤوس مِن السَبي مَعْلُومَة، مما يَسبَى هَذا المَلِك المُجاوِر للمُسلِمين

---

(١) الطبري : م.ن، ٤ :١١١.

(٢) قفل : عاد.

(٣) الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٤ :١١١.

من غيرهِم من مَمالِك النُوبة المُقدّم ذِكرُها فيما سَلَفَ من صدر هذا الكتاب المدعو بملِك (مريس) وغيرها من أرض النُوبَة، فصَارَ ما قُبِضَ منه السبي سنةً جاريةً في كُلِّ سَنَةٍ إلى هَذِه الغَايَة يُحمل الى صاحِب مِصرَ ويدعى هذا السبي في (العربية) بأرض مصر والنوبة بالبِقْط [1] وعدد ذلك ثلثمائة رَأسٍ وخَمس وستُون رَأساً وأراه رسم على أيام السنة، هذا لبيت مَالِ المسلمين بِشرط الهدنة بينهم وبين النوبة، وللأمير بمصر غير ما ذكرنا من عدد السبي أربعون رأساً، ولخليفتِهِ المُقيم في بلاد أسْوان المُجاوِرَة لأرضِ النُوبة . وَهُوَ المُتولي لِقَبْضِ هذا البَقط، وهو السَبي، عشْرُون رَأساً غَيْر الأربعين وللحاكِم المقيم بأسوانَ الذي يَحضُر مع أمير أسوان قَبْضُ (البِقْط) خمسة رُؤوس غير التي يَقبِضُها الأمير، ولإثني عشر شَاهِداً عُدولا من أهل أسوان يحضرون مع الحاكم حيث قبض البقط إثنا عَشَر رأسا من السَّبي، حسب ما جَرى به الرَّسمْ في صَدر الإسلام، في بدء إيقاع الهُدنة بَيْن المسلمين والنُوبة، والموضع الذي يتسلم فيه هذا البِقط ويحضره من سمَّيناهُ وغَيرَهُم من النُوبة من ثِقات المَلِك يُعْرَف بالقَصرْ، وهُو على بُعد سِتة أميال من مدينة أسوان بالقُرب من جَزيرة بُلاق» . [2]

ثالثاً : تحليل النصوص :

عند قراءة النصوص لابد من التعرف على ما تحتوي نصوص الطبري من معلومات، وكذلك نص المسعودي السالف الذكر ثم نخلص الى أوجه الاتفاق والاختلاف عند كل منهما بعد أن نقوم بعملية تمهيدية .

قبل الفتح بأربعة أيام أرسل عمرو بن العاص كلا الراهبين أبي مريم وأبي مريام (٣) الى أهل مصر يحملان المطالب التالية :

---

(١) البقط : السبي المقدم من ملك النوب للمسلمين في مصر .

(٢) المسعودي : مروج الذهب، ٢ : ٤٤١-٤٤٢ .

(٣) أبو مريم وأبو مريام : وهما الرسولان اللذان ارسلهما عمرو بن العاص لسكان عين الشمس وكانا راهبين كما خاطبهما عمرو بن العاص حسبم يذكر الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٤ : ١٠٧ قائلا «أنتما راهبا هذه القرية» .

١- الدعوة الى الإسلام .

٢- الجزية علي من رفض الدخول في الإسلام وله من المسلمين الحماية والرعاية.

٣- الحرب والمناجزة لمن أبى أحد الشرطين السابقين .

٤- طمأنة الأقباط بحسن المعاملة حيث قال عمرو بن العاص رضي الله عنه : «ومما عهد إلينا أميرنا استوصوا بالقبطيين خيرا لأن رسولنا ﷺ أوصانا بالقبطيين خيرا لأن لهم رحما وذمة» .(١)

لم يستجب أهل مصر لهذه المطالب وأصروا على القتال، وساعدهم في ذلك عناد الأرطبون الذي أصر على قتال المسلمين فقتل، وربما كان اصراره هذا محاولة ثانية لرد اعتباره بعد هزيمته في فلسطين، واجتمع لروم والقبط ومن والاهم في عين الشمس، فقدم عمرو بن العاص يساعده الزبير بن العوام وحدث الفتح وجرى الصلح بين الأطراف التالية :-

أ- الطرف الأول : المنتصر : بقيادة عمرو بن العاص ومساعده الزبير بن العوام.

ب- الطرف الثاني : المغلوب .

ندرك من النصوص المختارة من الطبري أن المجتمع المصري كان مؤلفا من الجماعات التالية :-

أ- الأقباط : وهم سكان مصر الأصليين .

ب- الروم : وهم جزء من السلطة العسكرية في البلاد .

---

(١) الطبري : م.ن، ٤:١٠١.

جـ- النوب : وهم مشاركون في حكم مصر وربما بعضا منها .

د- وتدلنا كلمات هذه النصوص على أن السلطة في مصر كانت على النحو التالي :-

١- الملك : ويمثل سلطة الروم في مصر وربما كان من أصل قبطي لأن مواقفه كانت متطابقة مع مصالح الأقباط، وكان يشاطره هذه السلطة ملك النوب الذي لم يكن من أصل قبطي وربما كانا متحدين ديناً .

٢- الجيش : والذي كان يتألف من الروم ويشاركه الأقباط، وربما كان النوب هم العنصر الثالث في جند الجيش .

٣- رجال الدين : وهم أصحاب الكنائس وربما كانوا من أهل البلاد الأصليين.

ويمكننا أن نصور كيف تم هذا الصلح وكيف كانت نفسية المحاصرين والمحاصرين بالنقاط التالية :-

أ- ان القوات المهاجمة المنتصرة لم تكن على اتصال وثيق ودليلنا علي ذلك: أن عمرو بن العاص دخل مصالحا وأن الزبير دخل مقاتلا من جهة أخرى.

ب- ان وضع المحاصِرين كان قلقا وكانوا غير منسجمين نظرا لتعدد جماعاتهم ومما يدل على صحة ما ذهبنا اليه : أنهم طلبوا من الملك أن يعقد الصلح مع المسلمين وأن لا يعرضهم للخطر .

جـ - أن المحاصَرين أو بعضهم كان يحارب حتى بلغ بهم الجهد وربما كان ذلك بسبب شدة الحصار. ولذا «فاعتقدوا الصلح بعدما أشرفوا على الهلاك» مع عمرو بن العاص رضي الله عنه في حين أن نزل عليهم الزبير بن العوالم عنوة.

يمكننا استنتاج نصوص الصلح على النحو التالي :

١- الأمان لأهل مصر على أنفسهم ودينهم وأماكن عبادتهم وبرهم وبحرهم .

٢- ان لا يساكنهم النوب، ومن وجد منهم في مصر في ذلك الرقت فيجري عليه ما جرى على أهل مصر .

٣- دفع الجزية إذ يجتمع أهل مصر على هذا الصلح حسب وضع النهر من زيادة ونقصان، وهذا دليل على أن الصلح كان عاما ويشمل من لم يشهد الحرب أن يدخل فيه .

٤- على أهل مصر مراقبة ومعاقبة اللصوص، وهذا العنصر يدلنا على أن الأوضاع الاقتصادية والأمنية في مصر لم تكن عل ما يرام قبل دخول العرب الفاتحين حيث وضع عنصرا من عناصر الصلح، كما يصور لنا بعض شرائح المجتمع .

٥- يرفع الجزاء على الممتنعين وتبرأ ذمة المسلمين منه .

٦- يشمل هذا الصلح سكان مصر من أقباط وروم ونوب .

٧- من لم يرغب من غير أهل مصر في هذا الصلح فله الحق شرط الخروج من مصر، وله الأمان الى أن يبلغ مأمنه .

٨- قسم الصلح الجباية أثلاثا ويجبى من كل ثلث ثلثا .

٩- التعهد بحفظ نصوص هذا الصلح من القائمين عليه، بعهد الله، وذمة رسوله، وذمة الخليفة أمير المؤمنين .

رابعاً : المقارنة :

ان العنصر المشترك عند الطبري في النصوص الثلاثة السابقة وعند المسعودي في نصه المختار هو النوب وعلاقتهم بالمسلمين لذا اتخذ عند كليهما بعض عناصر الاتفاق على وضعهم من ذلك :-

١- أجمعت نصوص الطبري الثلاثة على ذكر النوب وكذلك نص المسعودي .

٢- اتفق المؤرخان على أن الذي أجرى الصلح هو عمرو بن العاص رضي الله عنه مع النوب، فكان عند الطبري صراحة في النص الأول والثاني، وعند المسعودي ضمنا كما يقول «حسب ما جرى به الرسم في صدر الإسلام في بدء ايقاع الهدنة بين المسلمين والنوبة» .[1]

٣- اتفق الطبري في النص الثالث مع المسعودي في نصه على غزو المسلمين النوبة، وعلى مهارة أهلها في رمي الحدق .[2]

٤- أوجز الطبري هدية النوب بينما شرحها المسعودي على النحو التالي:

- ٣٦٥ رأسا يقدمها ملك النوب (ملك مريس) لبيت مال المسلمين .
- ٤٠ رأسا للأمير المقيم بمصر (أمير النوب) .
- ٢٠ رأسا لخليفة الأمير المقيم بأسوان (أمير النوب) .
- ٥ رؤوس لحاكم مدينة أسوان .
- ١٢ رأسا للشهود العدول .

---

(١) المسعودي : مروج الذهب، ١ :٤٤٢.

(٢) الحدق : بورة العين.

٥- أوجز الطبري وضع النوب الاجتماعي بينما توسع المسعودي في تقسيم النوب طبقاتهم حيث جعلهم كما يلي :

أولا - طبقة الحكام وهم :- الملك، الأمير المقيم بمصر، خليفة لأمير المقيم بمصر، المتولي لاستلام البقط، ثقات الملك وهم من النوُب .

ثانيا - عامة النوب ومنهم : الشهود وهم من أهل أسوان، والسبي المستعبدون وهم من طبقات النوب ولكن من ممالك مجاورة، عامة النوب .

خامساً : النتائج :

لقد أردنا من تحليل تلك النصوص أن نبين الأوضاع الاجتماعية في مصر كما أسلفنا سابقا، وأن نوضح وضع النُوب في مصر الذي يدعو للتساؤل ثانيا، وعلاقتهم بالمسلمين ثالثا وفيما يلي نورد بعض الملاحظات علنا بذلك نجلي الالتباس في هذه القضايا ونصل الى نتيجة سليمة ونذكر من ذلك :-

أولا : ان عمرو بن العاص غزا النوبة ربما بنفسه أو بواسطة سراياه وأبى أن يصالحهم كما أشار المسعودي الذي ربما نقل عن الواقدي الذي يذكر حول غزو العرب للنوب زمن عمرو بن العاص قائلا : «أرسل عمر بن الخطاب لعمرو بن العاص وأمرهم إذا حاصروا مدينة أن يشنوا الغارات على السواد .... والثانية البهنسة ... وتفقد المشركون قتلاهم فإذا خمسة آلاف من النوبة والبجاوة»[1]. أما عن ذكر صلح مصر فيعلمنا الواقدي دون أن يذكر النوب قائلا : «قال عمرو لأهل مصر قد أمناكم على أنفسكم وأولادكم ... وفي السنة الآتية نأخذ منكم الجزية من كل محتلم أربعة دنانير» .[2]

* الواقدي : فتوح الشام، عدة مواقع منها ٢:١٣٨، ١٤٣، ١٥٣، ١٥٥، ١٦٨ .

(١) أما ابن كثير : البداية والنهاية، ٧:٩٨ فإنه يذكر الصلح كما أورده الطبري .

(٢) الواقدي : م.س، ٢:٤٢ يذكر الصلح بعد فتح قصر الشمع دون ذكر النوب.

ثانيا : هناك اجماع عند بعض المؤرخين على أن الصلح مع النُوب قد تم على يدي عبد الله بن أبي السرح . وفضلا عما ذكرنا نجد الكندي يعلمنا قائلا: «وغزا عبد الله بن سعد غزوة الأساود حتى بلغ دمقلة وذلك في سنة احدى وثلاثين، فقاتلهم قتالا شديدا، وأصيبت يومئذ عين معاوية بن خديج وعين أبي سهم بن أبرهة بن الصباح فهادنهم عبد الله بن سعد» .[1]

ثالثا : يمكن تفسير هذا اللبس في الصلح الذي تم بين المسلمين والنوب بالزيادة التي فرضها عبد الله بن أبي السرح كما يذكر ابن كثير قائلا : «زاد في الخراج عليهم رؤوسا من الرقيق يهدونها الى المسلمين في كل سنة ويعوضهم المسلمون بطعام مسمى وكسوة» [2]، وربما قصد المسعودي تلك الزيادة، فجعلها صلحا جديدا .

رابعا : ان المسعودي يشير الى ما ذكره عمرو بن العاص وفتح مصر والى ما هنالك من أخبار في كتابه أخبار الزمان .[2]

خامسا : يمكننا القول أن ما ذكره الطبري عن صلح عمرو بن العاص مع النوب صحيحا، وان هذا الصلح يتعلق بالنوب الموجودين في مصر مشاركين في السلطة، وأن ما حدث بينهم وبين عبد الله بن أبي السرح ما هو إلا تعديل أو توضيح للمعاهدة الأولى .

سادسا : ان المشاركين في السلطة ربما كانوا ممثلين لبقية ممالك النوب في النوبة وان مشاركتهم هذه في السلطة يعود الى اتحادهم مع الأقباط سياسيا ودينيا تحت السيادة الرومانية، أو ربما كان هناك تحالف بين حكام مصر وبين

---

(١) الكندي : الولاة وكتاب القضاة، ١٢.

(٢) ذكر ذلك المسعودي في كتابه مروج الذهب، ١: ٤٠٥-٤٠٦ حول أخبار عمرو وفتح مصر قائلا : ولعمرو بن العاص في فتح مصر وما كان بينه وبين المقوقس وفتحه لقصر الشمع وغير ذلك من أخبار . . قد أتينا علي جميع ذلك في كتابنا أخبار الزمان.

النوب في صد أي اعتداء على كليهما كما يخبرنا الواقدي قائلا : «وبعث (ابن المقوقس) يستنجد بملك النوبة والبجاوة» .[1]

سابعا : تشدد المسلمون في شروط الصلح ضد النوب وربما كان مرد ذلك الى وضعهم الغريب في مصر، أو ربما اشترطوا أن لا يسكنوا مع القبط .

(١) الواقدي : فتوح الشام، ٢ : ٣٥.

المبحث الثاني

سياسة عمر بن العاص رضي الله عنه

أولاً : موقفه من الاقباط

لما فتح عمرو بن العاص رضي الله عنه مصر عامل سكانها معاملة طيبة حتى أنهم صاروا عونا له في بقية فتوحاته . كما يخبرنا بذلك الوقدي :«بعث الى أهل البلاد وطيب خواطرهم وقال لهم : لا يرحل أحد من بلده ونحن نقنع بما توصلونه الينا من الطعام والعلوفة [1] فأجابوه الى ذلك» [2]، ونعلم من الطبري أنه عندما قدم عمرو بن العاص مصر، أرسل مع الراهبين أبو مريم وأبو ميام ما يطمئن الأقباط عاملا بوصية رسول الله ﷺ : «استوصوا بالقبطيين خيرا ... لأن لهم رحما وذمة» [3]، ولنا في صلحه مع أهل مصر أكبر دليل على حسن معاملته، فهو لم يفرض الجزية الا على القادر منهم، «فوضع على كل حالم دينارين جزية الا أن يكون فقيرا» [4]، وجعل لهم الأمان والحماية كما رأينا سابقا، وأعفى من الجزية الكبير العاجز والصغير وغير المقتدر كما يخبرنا ابن عبد الحكم : «صالح عن جميع من فيها من الرجال من القبط ممن راهق الحلم الى ما فوق ذلك ليس منهم امرأة لا شيخ ولا صبي فأحصوا بذلك على دينارين دينارين» [5]، وضع عمرو سياسته في مصر، وكان ينذر قبل أن يقدم على العقوبة، فقال : «من كتمني كنزا فقدرت عليه قتلته ... (فأخرج القبط كنوزهم الا رجلا يقال له بطرس فقد أخفى كنزه وكذب فلما حصل عمرو على

---

(١) العلوفة - جمع علف : طعام الحيوان، المعجم الوسط، ٢: ٦٢٢ عم ١.

(٢) الواقدي : فتوح الشام، ٢:٣١ وابن عبد الحكم : فتوح مصر، ٧٢ :٧٣. (وصارت لهم القبط أعوانا) .

(٣) الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٤:١٠٧.

(٤) البلاذري : فتوح البلدان، ٢١٦.

(٥) ابن عبد الحكم : م.س، ٧٠ والبلاذري : م.س، ٢١٦.

كنزه) . . . ضرب عمرو رأسه عند باب المسجد» [1]، وكان لا يعاقب من أهل البلاد إلا بسبب، ومن ذلك أنه استحل مال قبيطي من مصر لأنه «استقر عنده انه يظهر الروم على عورات المسلمين ويكتب اليهم بذلك فاستخرج منه بضعة وخمسين أردبا دنانير» [2]، وجعل معاقبة ومتابعة اللصوص على نفس أهل الحي وإلا أخذهم به كما يظهر من رواية الطبري «وعليهم ما جنى لصوتهم» [3]، ولقد شعر القبط بالأمان، وحسن المعاملة من عمرو كما نرى في قصة النفر من القبط فاستأذنوه الى قراهم وأهليهم قال لهم عمرو :«كيف رأيتم أمرنا، قالوا : لم نر إلا حسنا» . [4]

ثانيا – موقف عمرو بن العاص من السلطة في مصر :

أ- من الحكام :

عامل عمرو بن العاص المقوقس[5] معاملة طيبة، وكثيرا ما أجابه لما طلب فلما طلب من عمرو أن يدفنوه «في أبي يحنس بالأسكندرية . وأنعم له عمرو بن العاص بذلك وأجابه الى ما طلب» [6]، إلا ما كان لمصلحة المسلمين فلم يجبه كما حدث في جبل المقطم عندما سأله المقوقس أن يبيعه سفحه بسبعين ألف دينار فعجب الى ذلك وكاتب الخليفة عمر بن الخطاب فرد عليه :«فاقبر من مات قبلك، ولاتبعه شيء فجعلها مقبرة للمسلمين» [7] . نزل عمرو بن العاص رضي الله عنه قصرا من قصور الاسكندرية كما يعلمنا ابن عبد الحكم :«فنزل عمرو بن العاص القصر الذي صار لعبد الله بن سعد بن أبي السرح ويقال أن عمرو وهبه

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ٧١.
(٢) ابن عبد الحكم : م.س، ٨٧.
(٣) الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٤: ١٠٩ لصوتهم : لصوصهم.
(٤) ابن عبد الحكم : م.س ٦٠، وينقل المقريزي : المواعظ والاعتبار، ١: ٥٥٠ عم ٢.
(٥) المقوقس : حاكم مصر من قبل الروم عندما فتحها المسلمون .
(٦) ابن عبد الحكم : م.س، ٧٢-٧٣، المقريزي : م.س، ٥٥٠ عم ١.
(٧) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة، ١: ٣٦.

له لما ولي البلد» [1] وربما كان هذا القصر خاليا من السكان أو كان لبعض قادة الروم فاتخذه مقرا اداريا . لقد كان لحسن تعاون عمرو مع المقوقس أن أجاب عمرو وأطاعه من كان يطيع المقوقس من القبط. فلم يشتركوا في انتفاضة الاسكندرية مع الروم، وتمكن عمرو بحسن معاملته هذه من شق التحالف القائم بين المقوقس والروم، وجلبه الى صفه، ونرى المقوقس يعبر عن هذا الوضع «وأما الثانية ان سألك الروم بعد اليوم أن تصالحهم حتى تجعلهم فيئا وعبيدا»[2].

ب- موقفه من رجال الدين :

وقف عمرو منرجال الدين موقفا متسامحا، حتى دخل بعضهم في الإسلام كما دخل غيرهم، ومن ذلك كما يخبرنا الطبري «وقد أتى فيمن أتينا به بأبي مريم عبد الله بن عبد الرحمن . (وكان من رجال الدين كما أشرنا في الحاشية صفحة ١٠٤) فعرضنا عليه الاسلام والنصرانية وأبوه وأمه وأخوته في النصارى فاختار الاسلام» [3]، وترك لهم حريتهم الدينية، فلم يصادر كنيسة ليحولها مسجدا، ولم نعهد أحد من قادته فعل ذلك، الا ما انفرد به الواقد يحول مسجد عمرو بن العاص رضي الله عنه اذ يعلمنا عنه قائلا :«وعمد عمرو الى الكنيسة وعملها جامعا وهو المعروف الى يومنا» [4]، ونرى هذه الرواية الفريدة في كتابه الذي سبق الاشارة اليه لما يحتويه من تناقضات، ثم ان ابن عبد الحكم يعلمنا عن ذلك المسجد :«وبنى عمرو بن العاص المسجد» فهذا يدلنا على أنه لم يكن كنيسة ونرى المقريزي ينفي ذلك قائلا :«واختط الجامع المعروف فكان كروما وحاز موضعه قيسبه التجيبي، ثم تصدق به على المسلمين فعمل المسجد» [5]، وأما القضية الثانية من رواية الواقدي، فيعلمنا عن خالد بن الوليد قائلا : «ومضوا الى خالد وبنى بها المساجد، وأخذ كنيستهم العظمى، فجعلها جامعا وترك لهم

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ١٣٠.
(٢) ابن عبد الحكم : م.ن، ٧٢ وينقل عنه المقريزي : المواعظ والاعتبار، ١:٥٥٠ عم ١.
(٣) الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٤:١٠٦ وكذلك ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ٣:٥٦٧.
(٤) الواقدي : فتوح الشام، ٢:٣٤.
(٥) المقريزي : م.س، ١ : ٥٣٩ عم١، وابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ٦٦-٦٧.

أربعة كنائس» [1] وهذا ليس صحيحا اذ نرى الطبري يعلمنا عن أوضاع الاسكندرية وكنائسها وآثارها قائلا : «لم فتحت لنا الاسكندرية فدخلناها وان هذه الكناسة . . . بناحية الاسكندرية حولها أحجار ما زادت ولا نقصت»[2]. ولم يؤكد زعم الواقدي هذا في رواياته في فتح مصر، ولا أيدها، ومما يؤكد ذلك على ما أورده عمرو لسكان مصر في نص الصلح السابق، ولقد تسامح مع رجال الدين المسيحي وأكرمهم، ويشهد بذلك ابن العبري وان كان متأخرا من فتح مصر إذ يقول : «اشتهر بين الاسلاميين يحيى . . . النحوي . . . عاش الى أن فتح عمرو بن العاص مدينة الاسكندرية، ودخل على عمرو وقد عرف موضعه من العلوم، فأكرمه عمرو وسمع من الفاظه الفلسفية التي لم تكن للعرب بها أنسة» [3] . ولقد كان لهذه السياسة أثر في نفسية رجال الدين فلم يقوموا بثورات في عهده ضد المسلمين ولا تعاونوا مع عدوهم .

جـ- موقف عمرو بن العاص من الروم :

رأينا أن عمرو اصطدم بجيش الروم وقادته ومنهم الأرطبون الهارب من فلسطين، وفي كثير من المواقف وعلى وجه الخصوص في انتفاضة الاسكندرية كما سبق ذكره، على أن علاقة الروم بأهل البلاد لم تكن على ما يرام فكان موقفهم موقف الدفاع عن أملاك الأمبراطورية، ونرى أن عمرو بن العاص قد عاملهم في صلحه معاملة أهل مصر كما أسلفنا وترك لهم الحرية في مغادرة البلاد الى أي جهة يريدون، ومن ذلك ما يذكره ابن عبد الحكم : «أن المقوقس صالح عمرو بن العاص رضي الله عنه على أن يسير من الروم من أراد السير ويقر من أراد الاقامة من الروم» [4]، ويبد ما ذهبنا اليه من رأي المقريزي قائلا :

---

(١) الواقدي : م.ن، ٢ :٥٧.

(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٤ :١٠٦.

(٣) ابن العبري : مختصر الدول، ١٠٢.

(٤) ابن عبد الحكم : فتح مصر، ٧٢.

«فلما قدم عمرو بن العاص بجيوش المسلمين معه الى مصر قاتلهم الروم حماية لملكهم ودفعا لهم عن بلادهم» .[1]

ثالثا – موقف عمرو بن العاص من تراث أهل مصر :

أ- ابطال عادة ضحية النيل :

لما فتح عمرو مصر وجد بعض العادات عند أهلها، فعمل على تغييرها بما يتلائم مع روح الإسلام ومن ذلك : ابطال ضحية النيل وملخصها أن النيل كان يجف فيقدمون له عذراء بحليها، فقال لهم عمرو : ان هذا لا يكون في الاسلام، وان الاسلام يهدم ما قبله، وأعلم عمر بن الخطاب بذلك فأرسل له عمرو بطاقة بعد أن صوب رأيه وفيها خطاب لنهر النيل فألقاها عمرو في النهر وجري بعد شحه وقطع تلك السنة السوء عن أهل مصر [2]، وبذلك حرر المصريين من هذه العادة التي أهلكت الكثير من الفتيات من أجل جريانه، تلك العادة التي كانت منذ زمن طويل في مصر .

ب- موقف عمرو من حرق مكتبة الاسكندرية :

لم نعثر على نص أو اشارة الى أن عمرو بن العاص حرق مكتبة الاسكندرية وجل ما في الأمر أننا قرأنا نصا لابن القفطي ينقله ابن العبري (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦). قائلا : «شتهر بين الاسلاميين يحيى . . النحوي وكان اسكندريا . . . وعاش الى أن فتح عمرو بن العاص مدينة الاسكندرية، ودخل على عمرو وقد عرف موضعه من العلوم فأكرمه وسمع من ألفاظه الفلسفية التي لم تكن للعرب بها أنسة» [3]، ونرى ابن القفطي (ت٦٤٦هـ/ ١٢٦٧م) . يكمل

---

(١) المقريزي : المواعظ والاعتبار، ٣:٥٣٥ عم ١.

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ١٥٠-١٥١ وكذلك ابن كثير : البداية والنهاية، ٧:٦٠ وينقل ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة ٣٥-٣٦ وكذلك المقريزي : المواعظ والاعتبار، ١:١١٥ عم-١٠٦ عم ٢.

(٣) ابن العبري : مختصر الدول، ١٠٢-١٠٣.

القصة قائلا : «فقال له عمرو وما الذي تريده اليه قال : كتب الحكمة في الخزائن الملوكية .... أربعة وخمسون ألفا ومائة وعشرون كتابا .. فاستكثر عمرو ما ذكره يحيى وقال لا يمكنني أن آمر بأمر إلا بعد استئذان أمير المؤمنين، وكتب الى عمر، وعرفه قول يحيى، فورد كتاب عمر يقول : « أما الكتب التي ذكرتها فإن كان فيها ما يوافق كتاب الله ففي كتاب الله عنه غنى، وان كان فيها ما يخالف كتاب الله فلا حاجة اليها، فتقدم بإعدامها، فشرع عمرو بن العاص في توزيعها على حمامات الاسكندرية وإحراقها في مواقد وذكرني عدة الحمامات يومئذ وأنسيتها فذكروا أنها استنفذت في ستة أشهر فاسمع ما جرى واعجب». [1]

إلا أن قصة الحرق هذه وردت قبل ابن القفطي وقبل ابن العبري فهذا عبد اللطيف البغدادي (ت ٦٤٩هـ/ ١٢٣١م) . معاصرهما حول حرقها قائلا : «وأنه دار العلم الذي بناه الاسكندر حيث بنى مدينة وفيها كانت خزانة الكتب التي أحرقها عمرو بن العاص بإذن عمر بن الخطاب رضي الله عنه » [2]. وعند دراسة هذه الروايات نري أنه لابد من إبداء الملاحظات التالية :-

أولا : لا يوجد ترابط بين تلك الروايات الثلاث . ولا صلة في النقل التاريخي تربط من ألفوها فضلا عن انهم عاشوا في فترة زمنية متقاربة .

ثانيا : لا يوجد أي اسناد يرجع اليه في هذه الروايات وإنما هي افتراضات افترضها أصحابها .

---

(١) بن القفطي : تاريخ الحكاء، ٣٥٥-٣٥٦ وفي حاشية الصفحة على الجهة اليمنى نقرأ Abu-L-Farag180 يعني نقلا من هذه الصفحة وبالرجوع الي ابن العبري حسب الصفحة المذكورة لم أجد النص كاملا إلا ما أشير إليه .

(٢) البغدادي : الإفادة والاعتبار. 33r لصفحة العربية الإنجليزية 133وترجمة النص كما يلي من تلك لصفحة :

And in which was placed the Library consigned to the Flames with the permission of caliph Omer (May God bless Hi) by Amerou Ben Al-as.

ونرى المقريزي : المواعظ والاعتبار، ١:٣٩٦. عم١ يشير الى أمر الحرق هذا .

ثالثا : انها جدت في فترات بعيدة عن زمن فتح مصر وعمرو بن العاص ويمكن القول بكل ثقة أن هذه القصة مختلقة اختلاقا واضحا يمكن الطعن فيها من النواحي التالية :-

أ- لم يذكر قصة حرق مكتبة الإسكندرية من أرخ لتاريخ مصر وفتحها ممن عاش قبل من ذكروا هذه القصة بعدة قرون .

ب- لم تذكر هذه القصة عند الواقدي ولا الطبري، لم يتفق عليها ابن الأثير ولا ذكرها ابن خلدون غيرهم. فضلا على ابن عبد الحكم، ولم يصفها ياقوت الحموي عند وصف الاسكندرية .[١]

جـ- يمكن ارجاع هذه القصة الى فترة الحروب الصليبية، من جهة البغدادي وربما وضعها تحت ضغط معين أو ربما انتحلت عليه فيما بعد .

د- اذا وجدت هذه المكتبة المزعومة، فيمكن القول : ان الروم الذين غادروا الاسكندرية كان بإمكانهم اخراجها معهم، أو ربما فعلوا ذلك .

هـ- لقد كان بإمكان عمرو إلقاءها في البحر في فترة قصيرة بدلا من عناء حرقها الذي استغرق ستة أشهر، مما يدل على القصد في تزييف هذه القصة وتأليفها .

ويمكن القول بلا وجل : أن عمر بن الخطاب وعمرو بن العاص رضي الله عنهما بريئان مما نسب اليهما في هذه القصة المصطنعة التي كانت من تخيلات أناس أحبوا التهويل فتخيلوا وجود ما لم يكن موجودا .

---

(١) ياقوت الحموي، معجم البلدان ١/ ١٨٢-١٨٩ .

المبحث الثالث

تنظيمات عمرو بن العاص رضي الله عنه

نتناول تنظيمات عمرو بن العاص من زاويتين : الأولى أعماله العمرانية، والثانية تنظيماته الإدارية .

أولا- أعماله العمرانية :

أ- تأسيس مدينة الفسطاط :

كان لعمرو دورا في إرساء الحضارة الإسلامية في مصر، وتثبيت الجذور العربية، وكان ذلك يتلائم مع أول أعماله المدنية، وهو بناء الفسطاط اذ أنه بعد انتهائه من عملية فتح الاسكندرية أراد الاستقرار فيها فكتب اليه عمر بن الخطاب: «أن لا تجعلوا بين وبينكم ماء حتى أقدم اليكم . . . فتحول من الاسكندرية الى الفسطاط» [1]، وأول عمل عمله فيها هو بناد مسجده الذي عرف باسمه فضلا عن مسجده في الاسكندرية الذي سبقت الاشارة اليه، ثم بني دارا لعمر بن الخطاب وربما قصد بها دارا للخلافة وحول هذه الدار يعلمنا ابن عبد الحكم قائلا: «كتب عمرو بن العاص رضي الله عنه الى عمر بن الخطاب أنا قد اختططنا له دارا عند المسجد . . . فأمر ان يجعلها سوقا للمسلمين» [2] . وبنى عمرو بن العاص لنفسه دارين قريبتين من المسجد كما يخبرنا عنها ابن عبد الحكم : «فاختط عمرو بن العاص داره التي هي له اليوم عند باب المسجد بينهما الطريق وداره الأخرى اللاصقة الى جنبها» [3]. وربما بناها واحدة له، ولأخرى دارا للإمارة بعد أن أمر عمر بن الخطاب بهدم داره السالفة الذكر .

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ٩١ وسميت الفسطاط لأنه أقام فسطاطه فيها وجعله قائم من أجل يمام : سقد فرخ فقال عمرو بن العاص تحرم منا بمحترم» وأقرها حارسا لها فلما تحول من الاسكندرية فقالوا أين ننزل فنزلوا الفسطاط.

(٢) ابن عبد الحكم : م.ن، ٩٢.

(٣) ابن عبد الحكم : م.ن، ٩٦-٩٧.

ب- الخطط :

كلف عمرو بن العاص جماعة من كبار الصحابة من مرافقيه ليفصلوا بين القبائل، فجعلوا لكل قبيلة جهة لمنازلهم عرفت بالخطط، وهي أشبه ما تعرف بالأحياء في وقتنا الحاضر . لكنها لم تكن بهذا الاتساع حيث جعل بين القبيلة والأخرى شوارع، وربما لم تكن بمفهوم الشوارع اليوم اما ممرات بين كل حارة وأخرى . وكانت هذه الجماعة مكونة من : معاوية بن خديج التجيبي، وشريك بن سُمي الغطيفي، وعمرو بن محرم الخولاني، وحويل بن ناشره المعافري، وكانوا هم الذين أنزلوا الناس، وفصلوا بين القبائل وذلك في سنة احدى وعشرين» [1] . على أن عمرو بن العاص رضي الله عنه جعل المسجد في الوسط وبجانبه دارين له، ومن الملاحظ أن عمرو بن العاص لم يكن يسمح لعدد كبير من قومه أن يسكنوتا قريبا منه كما يعلمنا ابن عبد الحكم : «واخطط بجانب المسجد قريش والأنصار وأسلم وغفار وجهينة ومن كان في الراية ممن لم يكن لعشيرته في الفتح عدد مع عمرو» [2]، والذي يبدو من هذه الخطط أن كل قبيلة أخذت بناحية من تلك البقعة من الفسطاط، وهذا دليل على استمرار العلاقات القبلية في البلدان التي فتحت حديثا، حتى أن بعض القبائل انفردت مبتعدة قليلا من تجمع القبائل مثل همذان حيث نزلوا الجيزة كما يعلمنا ابن عبد الحكم : «وما أسميتْ همذان ومن والاها من النزول بالجيزة» [3] .ولابد من الإشارة الى أنه قد شارك عمرو بن العاص في الفتح أناس ليسوا من أصل عربي، قدموا معه من الشام وغير ذلك» [4] «فنزلت الروم الحمراء التي بالقنطرة ونزلت الفرس بناحية بني وائل» [5] ربما لعدم انسجامهم لاختلاف العادات والتقاليد . وعلى الرغم من أن المجال لا يتسع لذكر جميع الخطط في هذا المجال

(١) المقريزي : المواعظ والاعتبار، اك٧٥٥ عم ٢.

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ٩٨.

(٣) ابن عبد الحكم : م.ن، ١٢٨.

(٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ١٢٩، وفي نفس الصفحة أن أصل الفرس قدموا من اليمن .

(٥) ابن عبد الحكم : م.ن، ١٢٩.

إلا أنه لا بأس من ذكر بعض منها مثل : خطة أسلم، والليثون، وبني معاذ، وبلى، وبني بحر، ومهرة، ولخم، وغافق، والصدف، وحضرموت، وبعض يحطب وتجيب، وخولان، ومذحج، ومراد، ويافع، ومعافر، ومعهم الأشعريين[1]، ونستدل ن هذه الأسماء كثرة القبائل العربية وغيرها ممن شارك في عملية الفتح، وبالتالي كثرة الأحياء المكونة من هذه القبائل وحب كل قبيلة في أن تكون لها استقلالها الخاص، لتداول شؤونها وما يهم من افرادها، ونستدل أيضا على دقة التنظيم الذي وافق عليه عمرو بن العاص في هذا التقسيم القبلي .

جـ- حفر خليج امير المؤمنين :

أصاب المسلمين قحط في عام الرمادة، واستمر هذا القحط فترة من الزمن تأثر فيمن تأثر به أهل الحجاز، فاستنجد عمر بن الخطاب بعمرو بن العاص لما كان يعرف من خراج مصر، وأخبره بأوضاع المسلمين وجوعهم، وقال له : «يا عمرو أن العرب قد تشاءمت بي وكادت تهلك على رجلي وقد عرفت الذي أصابها وليس جند من الأجناد أرجى عندي أن يغيث الله بهم أهل الحجاز من جندك، فإن استطعت أن تحتال لهم حيلة حتى يغيثهم الله فقال عمرو : ما شئت يا أمير المؤمنين قد عرفت أنه كانت تأتينا سفن فيها تجار من أهل مصر قبل الاسلام فلما فتحنا مصر انقطع ذلك الخليج واستد، وتركته التجار فإن شئت أن تحفره فتنشيء فيه سفننا يحمل فيه الطعام الى الحجاز فعلته فقال له عمر : نعم فافعل فلما خرج عمرو من عند عمر بن الخطاب ذكر ذلك لرؤساء أهل أرضه من قبط مصر فقالوا له : ماذا جئت به أصلح الله الأمير تنطلق فتخرج طعام أرضك وخصبها الى الحجاز وتخرب هذه فإن استطعت فاستقل ذلك فلما ودع عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال له عمر : أنظر الى ذلك الخليج فلا تنسين

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ١١٥-١٢٩، وينقل عنه المقريزي : المواعظ والاعتبار، ١ :٥٥٧-٥٥٩ عم ٢.

حفره فقال له : يا أمير المؤمنين انه قد انسد وتدخل فيه نفقات عظام فقال عمر بن الخطاب : رضي الله عنه والذي نفسي بيده إني لأظنك حيث خرجت من عندي حدثت بذلك أهل أرضك فعظموه عليك وكرهوا ذلك، اعزم عليك إلا ما حفرته وجعلت فيه سفنا فقال عمرو : يا أمير المؤمنين انه متى ما يجد أهل الحجاز طعام مصر وخصبها مع صحة الحجاز لا يخفوا الى الجهاد قال : فاني سأجعل من ذلك امرا لا يحمل في هذا البحر إلا رزق اهل المدينة واهل مكة ، فحفرة عمرو وعالجه وجعل فيه سفنا» [1]، وفي رواية أخرى أن عمر بن الخطاب قال: أن احفر خليجا من نيلها حتى يسيل في البحر [2]، وفي الرواية الثالثة أن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : «اني أرجو أن أجد السبيل الى أن أحمل اليك في البحر ثم أن عمر بن الخطاب لام على كتابه في الحمل الى المدينة في البحر» [3]، أما الرواية الرابعة إنما دل عمرو بن العاص على الخليج رجل من قبط مصر» [4]، فنرجع من هذه الروايات الأربع الثانية التي ذكرناها مفصلة وفقا للأسباب الآتية :-

١- ان عمرو كان في مصر وقد علم عن الخليج إما أثناء تجواله وأما عن طريق تعريف الناس له كما في الرواية الرابعة .

٢- ونرجح هذه الرواية لأنه في الرواية الأولى أمر من عمر بحفر الخليج دون معرفة لطبيعة مصر، أو معرفة لحالة الخليج إلا أن يكون من أخبر عمر بن الخطاب بحالة الخليج .

ويمكننا من خلال الروايات السابقة استنتاج النقاط التالية :

١- أن الخليج كان محفورا قديما قبل فتح المسلمين مصر .

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ١٦٤-١٦٥.

(٢) ابن عبد الحكم : م.ن، ١٦٣-١٦٤، وينقل هذه الرواية عن ابن الحكم السيوطي : حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، ٧٦.

(٣) ابن عبد الحكم : م.س، ١٦٦ .

(٤) ابن عبد الحكم : م.ن، ١٦٥-١٦٦، أما المسعودي : مروج الذهب، ٢٥٥-٢٥٦ ينفي أن يكون عمرا حفر الخليج .

٢- مخاطبة عمر بن الخطاب لعمرو بن العاص (رضي الله عنه) أنه كان حاضرا عنده في المدينة .

٣- ان بعضا من رؤساء مصر من الأقباط، رافقوا عمرا في تلك الرحلة .

٤- ان اتفاق عمرو مع رأي رؤساد مصر دليل على حب أهل مصر لعمرو وتعاونهم معه .

٥- ان تلكؤ عمرو بن العاص في حفر الخليج يرجع الى كثرة تكاليف الخليج أولا ومعرفته بظروف اقتصاد مصر ثانيا .

وكانت النتيجة أن عمرو بن العاص جدد هذا الخليج، وأصلحه، وأطلق عليه اسم : خليج أمير المؤمنين، وصار خراج مصر يذهب الى الحجاز عبره .

ثانيا – أعماله الإدارية :

رأينا فيما سلف حسن تدبير عمرو وتنظيمه في الأعمال العمرانية، وفيما يلي نتناول أعماله الإدارية والتي نبرزها بالملاحظات التالية :-

أ- اختياره للفسطاط حيث جعلها في مكان وسط من مصر أولا وعلى اتصال بدار الخلافة الاسلامية - المدينة - برا وبحرا فضلا عن سهولة امداده من بلاد الشام والمدينة .

ب- تنظيم أوضاع الاسكندرية :

بعد أن أجلى عمرو بن العاص رضي الله عنه الروم من الاسكندرية اتخذ الإجراءات التالية لتثبيت أوضاع المسلمين فيها فكان من ذلك :-

١- بناء مسجده الذي كان في :«الكوم الذي فيه مسجد عمرو بن العاص».[١]

٢- اتخذ مقرا للإمارة أثناء وجوده فيها : «الذي صار لعبد الله بن أبي السرح ويقال أن عمر وهبه اياه لما ولي البلد» .[٢]

٣- اتخذ فيها مرابطين لمقاومة أي اعتداء أو خوفا من ثورة أهلها حيث : «قطع عمرو بن العاص من أصحابه لرباط الاسكندرية ربع الناس» [٣] وكان يبدلهم كل ستة أشهر شتاء وصيفا، وجعل لهم بيوتا يسكنونها :«وبقيت بعدهم شاتية ستة أشهر» .[٤]

٤- اتخذ حرسا للسواحل لمواقبة تحرك العدو كما يخبرنا ابن عبد الحكم قائلا : «وربع الناس في السواحل» .[٥]

٥- نظم هؤلاء الحرس كما يعلمنا ابن عبد الحكم :«جعل لهم عريف في مصر ينزل فيه» .[٦]

جـ- تنظيم الأمن واتخاذ الشرطة :

وقد أسس الشرطة واتخذ لها رئيسا، فكان على شرطة في فترة امرته الأولى : «خارجة بن حذافة» [٧] .وفي الفترة الثانية اتخذ «زكريا بن جهم» [٨] الذي استخلفه لما قدِمَ على عمر بن الخطاب .وكانت هذه الشرطة تقوم بمهامها المناطة بها كما يخبرنا ابن عبد الحكم : «إذ أقبل رجال بأيديهم السياط يزجون

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ١٣٠.
(٢) ابن عبد الحكم : م.ن، ١٣٠.
(٣) ابن عبد الحكم : م.ن، ١٣٠
(٤) ابن عبد الحكم : م.ن، ١٣٠.
(٥) ابن عبد الحكم : م.ن، ١٣٠.
(٦) ابن عبد الحكم : م.ن، ١٣٠.
(٧) ابن عبد الحكم : م.ن، ١٠٥، وكذلك الكندي : الولاة وكتاب القضاة، ٥:١٠.
(٨) الكندي : م.ن، ١٠.

الناس فذعرت فقلت يا أبت من هؤلاء قال يا بني هؤلاء الشرطة» .[1]

د – تنظيم المراعي :

اعتاد المقاتل العربي في بلده الأولى على تربية الماشية، وحتى يبقى محافظا على حياته الأولى فقد نظم عمرو بن العاص رضي الله عنه، المراعي لجنده، وحتى لا يقع منهم جور لأهل البلاد أصحاب تلك المراعي، ولذا جعل لكل قبيلة جهة ومرتعا، وقد اتخذ لنفسه مرتعا كما يعلمنا ابن عبد الحكم قائلا : «فكان لآل عمرو بن العاص وآل عبد الله بن سعد يأخذون في منف ووسيم»[2]، ومن مراتع القبائل نذكر: بنا وبوصير لهذيل، وعك اتخذت بوصير ومنوف وسندس، وأتريب، وبلي اتخذت منف واتخذت لخم الفيوم «وكان يكتب لهم بالربيع وباللبن ما أقاموا . .»[3]، وكان عمرو بن العاص يوصيهم قائلا : «قد حضر مرافق ريفكم فانصرفوا فإذا حمض اللبن واشتد العود وكثر الذباب فحي على فسطاطكم ولا أعلمن ما جاء أحدكم قد أسمن نفسه وأهزل جواده» [4]. أما الزراعة فقد منع عمرو بن العاص رضي الله عنه الجند من الزرع حتى لا يميلوا الى الاستقرار والدعة في البلاد المفتوحة، ومن ذلك قصته مع شريك بن سمي الغطيفي أتى عمرو بن العاص فقال : «لا تعطوننا ما يحسبنا أفتأذن لي بالزرع فقال له عمرو ما أقدر على ذلك فزرع شريك من غير اذن عمرو . . . كتب الى عمر بن الخطاب يخبره . . فكتب اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن أبعث إلي به» [5] وتاب علي يد عمر بن الخطاب .

هـ- قياس النيل :

كان لزاما على عمرو بن العاص رضي الله عنه حتى يرتب وضع الخراج أن

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ١٤٠.
(٢) ابن عبد الحكم : م.ن، ١٤٠.
(٣) ابن عبد الحكم : م.ن، ١٤٢.
(٤) ابن عبد الحكم : م.ن، ١٣٩.
(٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ١٤٢.

يعرف زيادة النيل أو نقصانه وقد اعتاد أهل البلاد مقاييس معروفة لديهم، فابتنى عمرو «مقياسا بأسوان ثم بنى بموضع قال له دندرة، ثم ابتنى في أيام معاوية مقياسا بأنصنا» .(١)

و- القضاء :

أدرك عمرو بن العاص رضي الله عنه منذ الوهلة الأولى القضاء نظرا لما يترتب على الفتح من قضايا، فاتخذ قاضيا للجند حيث كان «سليم بن عتر قاضي الجند زمان عمرو بن العاص» (٢). ثم عمل عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بالتعاون مع عمرو بن العاص (رضي الله عنه) على إرساء القضتاء الرسلامي في مصر فأصدر تعليماته الى عمرو حيث أمره : «بتولية قيس بن أبي العاص رضي الله عنه (القضاء) . . . وهو أول قاض قضى فيها من الإسلام»(٣). ولقد خاطب عمر بن الخطاب في أمر القضاء ثم كتب إليه: «أن يجعل كعبا بن ضنة على القضاء . . فأبى أن يقبل القضاء فتركه عمرو رحمه الله»(٤) . ونرى الكندي يروي لنا قائلا : «أن عمرو بن العاص رضي الله عنه ولاّ القضاء لعثمان بن قيس بن أبي العاص فلم يزل قاضيا حتى قتل عثمان»(٥). مما تقدم يمكننا القول أن عمرو بن العاص قد ركز على القضاء في مصر لما نجم عن دخول المسلمين اليها من مشكلات كتوزيع الغنائم والتركات والأوقاف والقطائع ولتنظيم العلاقة بين المسلمين وسكان مصر من الأقباط وغيرهم . يمكننا مما تقدم أيضا تركيز عمر بن الخطاب على القضاء في مصر ومرجع هذا التركيز عائد الى عدل عمر بن الخطاب أولا، وربما لوصية رسول الله ﷺ بأهل مصر خيرا ثانيا، وتفاديا للمشاكل لا سيما وان المسلمون جدد في مصر ثالثا .

---

(١) المقريزي : المواعظ والاعتبار، ١٠٥ عم ١.

(٢) الكندي : الولاة وكتاب القضاة، ٣٠٤.

(٣) الكندي : م.ن، ٣٠١، نقلا عن ابن الحكم : فتوح مصر، ٢٢٩.

(٤) الكندي : م.س، ٣٠٢، نقلا عن ابن عبد الحكم : م.س، ٢٣٠.

(٥) الكندي: م.س، ٣٠٤، نقلا عن ابن عبد الحكم : م.س، ٢٣٠ .

ثالثا – تنظيم الخراج والجزية :

لقد كانت الجزية والخراج أول أمر بدأ بالإتفاق عليه اثر الصلح الذي أبرمه عمرو بن العاص (رضي الله عنه)، وقد اتخذ عمرو لذلك خطوات نذكرها فيما يلي : -

١- أحصى أهل الذمة وفرض على كل رجل بالغ الجزية كما أشرنا سابقاً.

٢- أمر أهل الذمة باتخاذ علامات يختلفون فيها عن المسلمين ومن ذلك «أن يختم في رقاب أهلب الذمة بالرصاص ويظهروا مناطقهم وتجز نواصيهم ولا يركبون على الأكف» [١]. وهذه العلامات كلها جائزة وهي من تشريع عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلا أمر الختم بالرصاص فلا اعتقد بصحته، وربما قصد بالتختيم أن يعلق في رقابهم قطعا من الرصاص لا أن تختم بها الرقاب لأنه يتنافى مع روح الإسلام لأسباب ثلاثة وهي : ان الرسول أوصى بالأقباط خيرا كما رأينا سابقا ولأن من أهل الذمة من سوف يدخل الاسلام فهل يعقل أن يترك الرصاص لتبقى أثرا في أعناقهم، ويتنافى ذلك مع عدل عمر بن الخطاب رضي الله عنه وحسن معاملته لغير المسلمين .

٣- أقر القبط ليحددوا قيمة خراج البلاد اذ جعل على كل قرية من أهلها جماعة تجمع خراجها كما يخبرنا ابن عبد الحكم قائلا : «فيجتمع عرفاء كل قرية وماروتها ورؤساء أهلها، فيتناظرون في العمارة والخراب حتى اذا أقروا من القسمة بالزيادة انصرفوا بتلك القسمة الى الكور ثم اجتمعوا هم رؤساء القرى فوزعوا ذلك على احتمال القرى وسعة المزارع» [٢] .

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ١٥١ .

(٢) ابن عبد الحكم : م.ن، ١٥٢-١٥٣ .

رابعا : النتيجة :

رأينا فيما سبق أعمال عمرو بن العاص رضي الله عنه الإدارية فضلا عن سياسته العامة مع أهل مصر والتي تنم عن عقلية قائد اداري عمل اثناء بقائه في مصر على تنظيم وترسيخ الأثر الاسلامي في مصر، ونلاحظ علي سياسته الادارية السالفة الذكر ما يلي :-

١- عامل عمرو بن العاص رضي الله عنه سكان مصر بمختلف فئاتهم معاملة حسنة حسب الظروف التي أحاطت بتلك الفئات، وأخذهم بالشدة في حينها حسب اقتضاء المصلحة العامة .

٢- بذل عمرو بن العاص جهودا كبيرة في تنظيم الأعمال العمرانية وأنفق علها الأموال الطائلة من خراج مصر : «حيث كانت فريضة مصر لحفر خلجها واقامة جورها بناء قناطرها» [(١)] بجهود كثيرة من العمال الذين بلغ عددهم «مائة ألف وعشرين ألفا معهم الطور والمساحي والأداة يعتقبون ذلك ولا يدعون ذلك شتاء ولا صيفا» [(٢)] مما يدل على دقة عمله وعظمته فترك بصمة حضارية في مصر .

٣- نظم العلاقة بين المسلمين وسكان بلاد في كل الأمور حتى لا يقع جور أو ظلم من طرف على طرف آخر، ولقد كان هذا التنظيم دقيقا شاملا لكل مرافق الحياة العامة في مصر .

٤- أرسى نظم الحضارة الاسلامية الفكرية منها والإدارية من أجل تثبيت وإرساء الآثار الاسلامية في مصر .

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ١٥١.
(٢) ابن عبد الحكم : م.ن، ١٥١ .
الطور : أداة من أدوات حفر الأرض .
المساحي : نوع من أدوات الحفر .
أداة : الآلة الصغيرة - المعجم الوسيط، ١ :١٠ عم ٣.

ويمكننا القول أن عمرو كان قائداً ادارياً ناجحاً على مستوى أحداث مصر، وكان تصرفه منطلقا حتى في اجتهاداته الشخصية من تعاليم الاسلام السمحة، وكان لهذه الادارة أثرا في كسب محبة سكان مصر، وتعايشهم بأمان واستقرار في ظل السلطة الاسلامية الجديدة .

الفصل السادس

مواهب عمرو بن العاص رضي الله عنه السياسية

المبحث الأول : طريقة تعامله مع المواقف الصعبة

لم تكن المفاهيم السياسية في صدر الإسلام الأول واضحة المعالم، ويرجع ذلك لعدم التفاهم حول مفهوم سياسي موحد عند العرب قبل الاسلام، ونظرا للولاء القبلي الذي كان سائدا في تلك الحقبة، كان لكل قبيلة مفاهيمها الخاصة بها وظروفها، ولم تكن الدولة الإسلامية في ذلك قد أسست علاقات دولية، إلا الاحتكاكات العسكرية التي كان هدفها نشر الدعوة الإسلامية فضلاً عن مراسلات الرسول ﷺ لروساء الدول والجماعات المجاورة . ويمكن أن نفهم السياسة في ذلك الوقت بأنها طريقة التعامل مع الظروف المحيطة بالشخص، أو الجماعة، وكلما ازداد تفاعل الإنسان مع تلك الظروف برزت سياسته، وبمقدار ما كان يصل الى نتائج ايجابية، كان يحكم عليه بالحكمة ،حسن الإدارة، ،كلما نوع في الأساليب في حل المشكلات كان يوصف بالدهاء والحنكة، ولقد كان لتلك الصفات وغيرها من الصفات لأخلاقية الأخرى دور كبير في سياسة القبيلة الجماعية وقيادتها .

عرفنا عمرو بن العاص في كثير من جوانب حياته، متفاعلا مع جميع الظروف الاجتماعية التي أحاطت به وما ينتج عنها من ظروف سياسية واقتصادية وادارية وعسكرية، وحقق نجاحا ملموسا في تعامله معها، وسنحاول فيما يلي أن نوضح بعضا من هذه الجوانب، ونرى طريقة تصرفه حيالها، ومدى نجاحه في حلها، لنتعرف على العوامل المؤثرة في سياسته، والملامح العامة في تلك السياسية في مختلف مراحل حياته . لا يتسع المجال لسرد جميع المواقف التي

تعرض لها عمرو بـن العاص وإنما سنتناول بعض مواقفه الجماعية والفردية ومن ذلك ما حدث له مع عمارة .(1)

أولا- قبل الإسلام مع عمارة :

تشير بعض الـروايات الى أن عمرو بن العاص تعرض لـموقف يخص شرفه وعرضـه قبل الاسلام ونـوردها موجـزة وبتصرف من أبي الفـرج الأصفهـاني : سافر عمرو بزوجته وعـماره بحرا الى الحبشة، وكان عمرو مغرما بـالنساد فشربا خمرا، فـطلب عماره من زوجـة عمرو أن تقلـبه فوافق لهـا عمرو، فحقد عـليه عمرو أولا لهذا الأمر، وثانيا لأنه ألقاه في البـحر، فعام حتى رجع الى السفينة، فلـما وصلا الحبـشة أرسل الـى أبيه العـاص أن يتبرأ مـن فعلته، واتصل عـماره بأمرأة النجاشي، وأخذ عمارة يحدثه بمـا حدث له، فجعل عمرو يـحرضه حتى يحضـر له منهـا اشارة، فأحضـر له منها طيبا فأخـذه عمرو وسلـمه للـنجاشي، ووشى بعـماره عند الـنجاشي، وقـال : «انه قد دخل عـلى بعض نـسائك . . . وهذا من دهنك قـد أعطيه ودهني منه فـلما شم النجاشي الـدهن قال : صدقت هذا دهني، ثم دعا عمـارة ودعا السوامر فجردوه من ثيابه فنفخـن في أحليله ثم خلى سبيله فخرج هاربا» .(2)

أما رواية ابن كـثير فهي : «وكانـا أقبلا في البحـر فشربا ومع عمـرو امرأته فلما شربا قال عماره لعمرو : مُر إمرأتك فلتقبلني، فقال عمرو ألا تستحي فأخذ عماره عمـرا فرمى به في البحر فـجعل عمرو يناشـد عماره حتى أدخله السـفينة

---

(1) عمارة : هو عمـارة بن الوليد بن المغيرة بن عـبد الله بن مخزوم، وهو ممن دعـا عليهم النبي ﷺ من قريش لما وضع عقبة بن معيط سلا الجزور عليه وهو يصلي . أخذنا هذه المعلومات مـن ابن عـبد البر : الاستيعاب في معرفـة الأصحاب، تـر. رقم ٦٨١٩، ٣ : ١٧٠-١٧١ .

(2) الأصفهاني : الأغـاني، ٩ : ٥٥-٥٨، مطبعة دار الكتب، القاهرة ط١، ١٩٣٦م ويذكر في روايـة أخري «السوبين اصـفريـن» وكذلـك اليـعقـوبي : تـاريخ اليـعقـوبي، ٢ : ٣٠، الصالحي: سبيل الهدى والرشاد، ٢ : ٥٢٢.

فحقد عليه عمرو في ذلك فقال عمـرو للنجاشي : إذا خرجت خلفك عماره في أهلك فدعى النجاشي بعماره فنفخ في أحليله فطار مع الوحوش» .[1]

ونحـن اذا سلـمنا بـصحـة هذه الـقصة فـنرجـح رواية ابن كـثيـر للأسـباب التالية :-

١- ان الروايـات السابقـة لا تتلاذم مع أخـلاق عمرو بـن العاص ولا مع ذكـائه وقدرته على التخلص من طلب عماره .

٢- كانت زوجة عمرو وهي ريطه بنت منبه وهو من بني سهم، ومن بني عمومة عماره، وهذا ينافي الشرف العربي في الإعتداء على العرض .

٣- اختلاف الرواية عند صاحبها الأول، فمـرة بعطر، وزخرى بثوبين زصفرين، كما أن الذين رووا ذلك جاءوا بعد الأصفهاني وربما نقلوا عنه .

٤- انفرد الأصفهاني بطريقة إبلاغ العـاص بن وائل بالتبرؤ من جريرة عمرو دون غيره .

وان صدقت هذه الـروايات فقد تمكن عمـرو من الأخذ بثأره مسـتـخدما قوة بيانه وحسن تعبيرة أولا : وقوة نفوذه عند الـنجاشي ثانيا، وحصوله علي الدليل المادي ثالـثا، فحصل عـلى ما أراد وقضى عـلى الرجل، وأبـعد العار عن نـفسه وأهله نتيجة لحسن تصرفه، واتخاذه الأسباب الناجحة للوصول الى هدفه .

ثانيا - زمن الرسول صلى الله عليه وسلم البعثة الى عُمان :

عرف رسول الله ﷺ منذ الوهلة الأولى مقدرة عمرو بن العاص السياسية،

(١) ابن كثير : السيرة النبوية، ٣:١٣.

وحسن تدبيره العسكري والإداري والسياسي، فكلفه بقيادة غزوة ذات السلاسل السالفة الذكر آملا أن يأتلف به بني بلي وتقديرا منه لجهود عمرو وحسن سياسته الاقتصادية، فقد بعثه «الى جيفر وعمرو ابني الجلندي الأزديين صاحبي عُمان» وقومهما الذين كانوا يدينون بالمجوسية كما يعلمنا ابن كثير قائلا : «الى جيفر وعمرو ابني الجلندي من الأزد وأخذ الجزية من مجوس بلدهما ومن حولها من الأعراب» .[1]

وأرجح أن هذه البعثة وقعت في أحداث السنة الثامنة وذلك للأسباب التالية :-

١- ان عمرو بن العاص لم يكن قد أسلم في تلك السنة كما أسلفنا .

٢- ان عمرو أجابه لما سأله عبد «ألا تخبرني عن قريش كيف صنعت فقلت تبعوه اما راغب في الدين وأما راهب مقهور بالسيف» .[2]

مما يدل على ان ارساله قد تم بعد فتح مكه، حيث دخلت قريش في الاسلام نجد قصة ارساله الى عمان عند الحلبي ويخبرنا عنها بما يلي :

«بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص الى جعفر وعبد ابني الجلندي وبعث معه كتابا فيه :

بِسمْ اللّه الرَّحمن الرَّحيم

مِن مُحَمَّد بن عَبدِ اللّه إلى جِيفَر وعَبْد إبني الجُلُندي سلام على ن إتّبَع الهُدى أما بَعْد : فإني أدعو لَكُما بِدعايَة الإسلام أسلَما تَسْلَمَا فإني رسولُ اللّه إلى النَّاس كافة لأنذر من حَيا ويَحُق القَول على الكافرين وإنكما إن أقررّتما

* الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٢ :٦٤٥ ربما نقلا عن ابن هشام الذي يشير في السيرة النبوية، ٢ :٣٥٣، المكتبة الفاروقية، باكستان ١٣٩١هـ/ ١٩٧٧م، حيث تشير اليه في عام الوفود التي خرجت للملوك والأمراء .

(١) ابن كثير : البداية والنهاية، ٤ :٣٧٤.

(٢) الحلبي : السيرة الحلبية، ٢ :٣٧٥.

بالإسلام وليتُكُمَا وإنْ أبيْتُما أنْ تُقرا بالإسلام فإنّ مُلككُما زائِل وخَيلي تَحِلُ أنْ تَنزلَ بساحَتِكُما وتَظهَر نُبوّتي عَلى مُلكِكُما» .[1]

أخذ عمرو الكتاب مختوما، وسار الى عمان، وبدأ حواره مع الإبن الصغير حيث عرف أنه مدخل الى أخيه جيفر وأنه أسهل من أخيه حيث يقول «فعمدت الى عبد وكان أحلم الرجلين وأسهلهما خلقا، فقلت أني رسول رسول الله ﷺ اليك والى أخيك، فقال أخي المقدم على في الملك والسن وأنا أوصلك به حتى يقرأ كتابك» [2] . بدأ الحوار بين عمرو وعبد[3]، وكان الآخر مناورا سياسيا ناجحا، أخذ يسأل عمرو أسئلة يريد بها التثبت من صدق عمرو فقد سأله عن أمور منها :

أولا : بعد أن طلب منه الدخول في الإسلام قال : « يا عمرو انك ابن سيد قومك فكيف صنع أبوك؟ . . . فإن لنا فيه قدوة، قلت : مات ولم يؤمن بمحمد ﷺ وددت لو كان آمن وصدق»[4] فلم يجعل له ثغرة في حواره حيث أعلمه عن حبة للدين الجديد وأنه كان يرغبه لأبيه .

ثانيا : سأله عن زمن اسلامه ومكان اسلامه وربما عن دوافع اسلامه قال: «متى تبعته؟ قلت : قريبا . . . عند النجاشي (وسأل عن قومه وحاشيته) قلت أقروه واتبعوه» [5] . وكان رده الثاني مقنعا إذ أنه أسلم على يد رجل عظيم كان له أثر وسمعة طيبة في جزيرة العرب . لم يصدق عبد كلام عمرو أولا حيث أراد التأكد منه فقال له : «أنظر يا عمرو ما تقول أنه ليس من خطة في رجل انفح من كذب، قلت : وما كذبت وما نستحله في ديننا» .[6]

---

(١) الحلبي : م.س، ٢ : ٣٧٤.
(٢) الحلبي : م.ن، ٢ : ٣٧٤.
(٣) ورد اسم (عبد) عند الحلبي : السيرة الحلبية، ٢:٣٧٤ أما عند الطبري تاريخ الرسل والملوك، ٢:٦٤٥ فهو عباد ونرى عند ابن كثير : البداية والنهاية، ٣٧٤ فهو عمرو .
(٤) الحلبي : م.ن، ٢:٣٧٥.
(٥) الحلبي : السيرة الحلبية، ٢:٣٧٥.
(٦) الحلبي : م.ن، ٢:٣٧٥.

ثالثا : سأله عن موقف هرقل من اسلام النجاشي فأعلمه عمرو حيث كان رأيه فيه «رجل رغب في دين واختاره لنفسه ما أصنع به لولا الظن بملكي لصنعت كما صنع» .(١)

نستدل من تلك التساؤلات أن عبد كان على مستوى رفيع من الإدراك السياسي، وأن عمرو كان على مستوى الأحداث وله دراية بوضع النجاشي، وربما حدثه بما كان بينه وبين هرقل فضلا عن مقدرته في الإقناع وسد الثغرات وهذه من مواهبه السياسية السديدة . استمرت تساؤلاً عبد عن تعاليم الدين الإسلامي، وعن الوضع الاقتصادي الذي ينظمه وما يترتب عليه وعلى أخيه ان دخلا الاسلام كما يبدو فيما يلي : -

أولا : سأله عما يأمر هذا الدين وينهى فعدد له عمرو أوامر الدين ونواهيه حيث أوجزها قائلا : «يأمر بطاعة الله عز وجل وينهى عن معصيته ويأمر بالبر وصلة الرحم وينهى عن الظلم والعدوان وعن الزنا وشرب الخمر وعن عبادة الحجر والوثن والصليب» .(٢)

ثانيا : سأله عن وضعه ووضع أخيه المستقبلي انهما ابنا ملك فما مصيرهما . . ؟ هنا على ما يبدو تمكن من اقناع عبد فقال له : «ان أسلم مَلّكه رسول الله ﷺ على قومه» .(٣)

ثالثا : سأله عن الصدقة فأجابه :«فاخذ من الصدقة من غنيهم فردها على فقيرهم . . . فأخبرته بما فرض رسل الله ﷺ من الصدقات في الأموال ولما ذكرت المواشي قال : يا عمرو يوخذ من سوائم مواشينا التي ترعى؟ . . .».(٤)

---

(١) الحلبي : السيرة الحلبية. ٢:٣٧٥.
(٢) الحلبي : م.ن. ٢:٣٧٥.
(٣) الحلبي : السيرة النبوية، ٢:٣٧٥ .
(٤) الحلبي : م.ن. ٢:٣٧٥.

أوصله الى أخيه جيفر، وأدخله عليه بعد عناء، وربما سرى خبره في قومه وأعوانه فلم يعاملوه بلين حيث يعلمنا قائلا : «فأخذ أعوانه بضبعي أي عضدي قال : دعوه فأرسلت» [1] قدم له الكتاب فقرأه وعرف أخيه به، وبدأ الحوار بينه وبين عمرو بالسؤال عن قريش وما صنعت بالدين الجديد ؟ كما أسلفنا، ورد عمرو عليه أخيرا بكلمات تنم عن الحزم في محله حيث قال : «فما أعلم أحد بقي غيرك في هذه الخرجة وأنت لا تسلم اليوم وتتبعه تطوقك الخيل وتتبدد خضراءك[2] فأسلم تسلم ويستعملك علي قومك، ولا تدخل عليك الخيل والرجال» [3]. طلب جيفر أن يمهله ليفكر بالأمر بعد أن سمع كلمات عمرو ورد عليه، وربما كان لأخيه دور في اقناعه لما اقتنع بمحاورة عمرو إذ يقول عمرو: «فلما علم بمخرجي خلا به أخوه فأصبح، فأرسل الي فأجاب الى الإسلام هو وأخوه جميعا وصدق، وخليا بين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم وكانا عونا لي على من خالفني» .[4]

حقق عمر بأسلوبه السياسي، وقدرته على الاقناع ما قد يعجز السيف عنه ونلمح مما سبق بعض الجوانب السياسية التالية :-

١- ان عمرو بن العاص ذهب الى قوم يدينون بالمجوسية فرداً دون جيش أو سلاح .

٢- ان عمرو اتبع الصدق في كلامه والدقة في تعابيره مما جعل لحواره أثرا في نفس عبد بن الجلندي .

٣- أنه عرف مداخل تلك المملكة فبدأ بالسهل ثم انتقل الى الصعب عندما بدأ بعبد ثم أخيه .

---

(١) الحلبي : م.ن. ٢:٣٧٥.
(٢) خضراؤك : جميع ما تملك.
(٣) الحلبي : م.ن. ٢:٣٧٥.
(٤) الحلبي : م.ن، ٢:٣٧٥.

لقد كانت هذه البعثة مهمة، ولذا اختاره رسول الله ﷺ دون غيره من الصحابة، ولقد حقق عمرو نصرا سياسيا كان له أطيب الأثر في نفس رسول الله ﷺ.

ثالثا - زمن عمرو بن الخطاب رضي الله عنه :

أ- بين عمر بن الخطاب وعمرو بن العاص :

قدم عمرو بن العاص على عمر بن الخطاب المدينة وكان معه وفد مصري ويخبرنا ابن عبد الحكم عن ذلك قائلا : «فأدخل يده في الثريد ثم ناولها عمرو بن العاص فقال : خذ هذا فجلس عمرو وجعل الثريد في يده اليسرى ويأكل باليمنى وَوَفْد أهل مصر ينظرون إليه فلما خرجوا قال الوفد لعمرو أي شيء صنعت فقال عمرو انه والله لقد علم اني بما قدمت به من مصر لغني عن الثريد الذي ناولني إياه ولكن أراد أن ليَخْبُرني فلو لم اقبلها للقيت منه شرا» (١) صدق حدس عمرو فما كان فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلا اختباراً له، ولكنه عرف كيف يعالج الأمور ويدرأ عن نفسه الشبهات . وتبين لنا هذه الرواية مدى نجاحه في الرد على عمر .

ب- سياسة عمرو مع قبط مصر :

كان عمرو بن العاص يتخذ الأسباب، ويدرأ بها الأمور قبل وقوعها، فقد أدرك أن العرب قلة بين سكان مصر، وخشي أن يطمعوا فيهم وأن ينال العرب كريهة بعد ما سمع أنهم يقولون «ما أرث العرب وأهون عليهم أنفسهم ما رأينا مثلنا وان لهم» (٢) . عالج عمرو الأمر بسرعة والسرعة احدى دعائم سياسته،

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ١٧١ .
(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٤ : ١١٠ .

فأراد معالجة الأمور قبل أن تستفحل وكأنه أحس ما بأنفسهم، فذبح جمالا، ودعا قادته وأهل مصر فأكل القادة أكلا على الطريقة العربية، فطمع الأقباط فيهم، وفي اليوم التالي ألبسهم زي أهل مصر وأطعمهم طعاما على طريقة أهل مصر بحضور أهل مصر فارتابوا في الأمر، وفي اليوم التالي دعا قادته وجنده للعرض، ولما حضروا عرضهم عليهم[1] ثم قال : «اني قد علمت انكم رأيتم في أنفسكم أنكم في شيء حيث رأيتم اقتصاد العرب وهون تزجيتهم فخشيت أن تهلكوا فأحببت أن أريكم حالهم وكيف كانت في أرضهم ثم حالهم في أرضكم ثم حالهم في الحرب فظفروا بكم وذلك عيشهم وقد كلبوا على بلادكم قبل أن ينالوا منها وما رأيتم في اليوم الثالث غير تارك عيش اليوم الثاني وراجع الى عيش اليوم الأول فتفرقوا وهم يقولون رمتكم العرب برجلهم، ونستنتج مما سبق :-

١- أن عمرو كان يتتبع أقوال أهل البلاد، أو ربما اتخذ له أعوانا منهم ليتعرف على آرائهم بواسطة ما ينقل اليه من أقوال .

٢- سرعة الرد وحسن اختيار أسلوب الاقناع الدبلوماسي الذي يحمل في طياته التهديد والتوعيد .

٣- إشعار أهل البلاد بأنه يعرف ما يدر في خَلَدِهم .

٤- القدرة على التصور ودقة التصوير لما وصف لهم حالتهم النفسية ووضع العرب في بلادهم .

٥- التهديد الخفي الذي يدل على مقدرة صاحبه (فخشيت أن تهلكوا) بهذا الأسلوب السياسي تمكن عمرو بن العاص من إرساء قدم المسلمين في مصر

---

(١) اخذت هذه القصة من الطبري بتصرف واختصار، الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٤ : ١١٠ .

وأن يسكت أهل البلاد عما توسوس لهم أنفسهم، فهابه السكان وكانوا يحسبون له كل حساب .

٦- القناعة التي تركها في نفوس أهل مصر، وسياسته التي أرضتهم حتى عرفوا بقوة العرب وبذكاء عمرو فقالوا : لقد رمتكم العرب برجلهم .

رابعا – مع الدهاة :

أ- قصته مع المغرة بن شعبة : (١)

ستعمل معاوية عبد الله بن عمرو على الكوفة فقال المغيرة : «استعملت عبد الله بن عمرو على الكوفة وعمرو على مصر فتكون أنت بين لحيي أسد فعزل عبد الله واستعمل المغيرة ... فقال عمرو وتستعمل المغيرة على الخراج فيغتال المال فيذهب فلا تستطيع أن تأخذ منه شيئا فعزل المغيرة ... فلقي المغيرة عمرا فقال أنت المشير على أمير المؤمنين بما أشرت به في عبد الله قال : نعم هذه بتلك» (٢) . بهذه الطريقة السليمة رد عمرو الصفعة مضاعفة لغريمه وشبيهه بالذكاء فنجح في ذلك، ووصل الى هدفه بحل ينم عن سرعة البديهة وإحاطة بالأمور بالرغم من قوة حجة المغيرة .

ب- مع معاوية :

من القصة السابقة يمكننا أن نستدل على أن معاوية كان حذرا تمام الحذر من عمرو بن العاص وكان يخاف وثبته مرارا، ولقد شك في أمر عمرو عندما طلب علي منه المبارزة كما أشرنا سابقا . لقد كان لعمرو موقف آخر ينم عن عدم اطمئنان معاوية له عندما أمره أن يأمر الحسن بن علي ان يقوم ويخطب الناس

(١) المغيرة بن شعبة : من دهاة العرب وكان من معسكر علي (كرم الله وجهه) استماله معاوية بعد مقتل علي .

(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٥:١٦١ وابن كثير : البداية والنهاية، ٨:٢٢.

كما يعلمنا الطبري أريد أن يبدو عيه للناس» [1] فلما خطب الحسن قال : «وان لهذا مدة والدنيا دول . . . فلم يزل (معاوية) ضَرِماً [2] على عمرو وقال : هذا من رأيك» [3] . ولم تكن علاقة عمرو بمعاوية هذه وحسب بل لقد كان له الحليف والمساند والمخطط في كثير من المحن . فقد وقف معه في المطالبة بدم عثمان وضد علي رضي الله عنهم في معركة صفين وقضية التحكيم . لما قدم عمرو بن العاص من فلسطين على معاوية رضي الله عنهما وجده مغتماً من تزاحم الأحداث عليه، وكان يعرف قدر عمرو وقدراته على حل الأمور الصعبة وقدرته على التخطيط السياسي فقال : «يا أبا عبد الله طرقنا في ليلتنا هذه ثلاثة أخبار قال : وما ذاك؟ قال : ذاك أن محمد بن أبي حذيفة قد كسر سجن مصر فخرج هو وأصحابه وهو من آفات هذا الدين، ومنها أن قيصر زحف بجماعة الروم الي ليتغلب على الشام، ومنها أن عليا نزل الكوفة متهيئا للسير بنا» [4] .
وان هذه المشاكل السياسية الثلاثة أوجد لها الحلول السياسية التالية :-

المشكلة الأولى : محمد بن حذيفة : فأشار على معاوية أن يبعث اليه من يخلصه من أمره وقال : «أن تبعث اليه خيلا لقتله أو تأتيك به وان قاتل لا يضرك». [5]

المشكلة الثانية : مشكلة الروم الذين كانوا لعمرو بن العاص خبرة بهم في الشام ومصر، فعمل على مهادنتهم، وتأجيل خطرهم ان لم نقل اقصائهم بالمهادنة والهدايا، وقال : «وأما قيصر فأهد له من وصفاء الروم ووصفائها وآنية الذهب والفضة وسله الموادعة فإنه اليها سريع» . [6]

المشكلة الثالثة : علي رضي الله عنه فرأينا من موقف عمرو حياله حيث أعد أهل الشام، ومعركة صفين، وأمر التحكيم إلا أن المنقري يصف موقف عمرو من

(١) الطبري : م.ن، ٥ :١٦٣.
(٢) ضَرِماً : متحاملا بغضب .
(٣) الطبري : م.ن، ٥ :١٦٣.
(٤) المنقري : موقعة صفين، ٣٧.
(٥) المنقري : م.ن، ٣٧.
(٦) المنقري : م.ن، ٣٧.

علي رضي الله عنه بالتقدير والإكبار إذ يقول : «وأما علي فلا والله يا معاوية ما تسوي العرب بينك وبينه في شيء من الأشياء وان له في الحرب لحظاً ما هو لأحد من قريش وأنه لصاحب ما هو فيه إلا أن تظلمه» [١] . ولا مانع من اعتراف عمر بفضل علي، إلا أن هذا الاعتراف لم يغير موقفه حيال علي، ونرى أن هذه التعابير كانت منافية تماما لما تصرفه عمرو حيال علي في أحداث صفين، ونستدل مما سبق أن عمرو كان ثابت الرأي، سريع البديهة مهما تزاحمت عليه الأحداث وكان قادرا على ايجاد الحلول المناسبة لكل مشكلة من هذه المشاكل ويشهد على ما ذكرنا أصحاب تلك الروايات من كتاب الشيعة .

جـ- مع طلما صاحب أخنا :

لقد كان عمرو بن العاص يحلم عندما يتطلب الأمر الحلم، ويتشدد وقت الشدة، فهذه قصته مع (طلما[٢] صاحب أخنا[٣]) لما جاء يفاوضه في الجزية المفروضة على الأقباط وكان هذا القبطي يعرف تمام المعرفة ما نص عليه الصلح من الزيادة والنقصان فقال : «أخبرنا ما على أحدنا من الجزية فيصبر لها فقال عمرو وهو يشير الى ركن كنيسة : لو اعطيتني من الركن الى السقف ما أخبرتك إنما أنتم خزانة لنا ان كثر علينا كثرنا عليكم وان خف عنا خففنا عنكم» [٤] ولما انتهى من فتح الاسكندرية الثاني : «أتى به عمرو فقال له الناس : اقتله فقال : لابل انطلق فجئنا بجيش آخر . . . فسوره وتوجه وكساه برنساً أرجوانياً وقال له: آتينا بمثل هؤلاء، فرضي بأداء الجزية فقيل (لطلما) : لو أتيت ملك الروم فقال : لو أتيته لقتلني وقال : فقتلت أصحابي» [٥]. يتضح مما سبق أن عمرو بن العاص بقي متمسكا بنص الصلح الذي فرضه على الأقبط، ولم يعمل على

---

(١) المنقري : موقعة صفين، ٣٧.
(٢) طلما : حاكم اخنا وهو رجل نصراني .
(٣) أخنا : من قرى مصر قرب الاسكندرية.
(٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ١٧٦-١٧٧.
(٥) ابن عبد الحكم : م.ن، ١٧٧.

ظلمهم، فلم يزد ولم ينقص، وأظهر حزمه لصاحب اخنا لما رفض أن يعلمه عن الجزية، لأنه يدرك أن الجزيـة تكون حسب زيادة النهر وان عمـرو رضي الله عنه لا يريد أن يتـصرف فيخل في بنـود الصلح، ولما قدر عمـرو، أراد أن يضرب له مثلا فـي حسن المعامـلة، ويجعلـه يقبل وضع المسـلمين في مصر بقلب مطـمئن فالبسه أسوره، وتاجا، وكساه بما يليق بـه، فحصل عمرو رضي الله عنه على ما أراد، وما عاد ذلك القبطي مستعينا بالروم ضد المسلمين .

المبحث الثاني

آراء عمر بن العاص وسياسته

أولا : أقوال عمرو بن العاص :

تنم اقوال الرجال على ما يدور بخلدِهم وتعبر عن شخصية اصحابها وقدراتهم الذاتية، خاصة اذا كانت هذه الكلمات على سجيتها دون أرب ولا اعتوار، وفيما يلي بعض أقوال عمر بن العاص نحللها درسا وتمحيصا لنتعرف على بعض الجوانب السياسية في شخصية عمرو بن العاص رضي الله عنه .

أ- قال في العقل :

لما سئل عنه قال : «الاصابة بالظن ومعرفة ما يكون بما قد كان» [1] . فهذا التعبير ينم عن معرفة ما يريد الرجل : ان تكون كلماته مطابقة لنشاطه العقلي واصراره على البعد عن الخطأ في كل توقعاته وهي من علامات السياسة الحكيمة التي تدل على التوقع لتنفيذ الخطط حسبما ما يريد صاحبها وقوة الفراسة، وقال له معاوية : «ما بلغ عقلك؟ قال : ما دخلت في شيء قط إلا خرجت منه» [2] وهذا برهان آخر على سلامة عمرو العقلية. وحسن تخطيط إذ أنه ما دخل ازمة إلا وعرف كيف يخرج من تلك الأزمة . ومن اقواله في العقل: «ليس العاقل من عرف الخير من الشر بل العاقل من عرف خير الشرين» . [3]

ب- الحلم والأناة :

اتصف عمرو بن العاص بالحلم والأناة، إلا ما تطلب الحزم والتنفيذ الفوري

---

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد، ٢:٢٤١.

(٢) ابن عبد ربه : م.ن ٢:٢٤٢.

(٣) ابن عبد ربه، م.ن، ٢٤٦ قيل لعمر بن الخطاب وفي رواية اخرى ان لعمرو بن العاص ونجدها كذلك عند النويري : نهاية الأدب، ٣: ٢٣٣ وبالرجوع اليها وجدنا المعنى صحيحا .

دون تردد اذ قال : «ثلاثة لا أناة فيهن المبادرة في العمل الصالح، ودفن الميت وتزويج الكفء» (١) . وتتبع هذه الفلسفة من معرفة عمرو بن العاص لاموره الدينية اولا ومدى تمسكه بتعاليم هذا الدين ثانيا ولنفسه الفاعلة دائما ثالثا. وهي تعبير عن يقظته العقلية والقلبية وهذه من صفات السياسي الحاذق . وكان عمرو بن العاص يحلم حيث يستدعي الحلم وعندما يدرك ان خصمه ليس أهلاً له ولعداوته وكان الصمت من حكمته إذ قال لرجل خاصمه : ((والله لا تفرغن لك. قال هناك وقعت في الشغل . قال : كأنك تهددني والله لأن قلت لي كلمة لاقولن لك عشرا قال : وأنت والله لإن قلت لي عشرا لم أقل لك واحدة)) (٢) . وتحمل الرواية في طياتها القدرة على الفعل دون القول أولا، وعدم الرغبة في الثرثرة التي لا جدوى منها ثانيا، والحزم والشدة ثالثا وهي من دلائل سياسة عمرو بن العاص الناجحة .

جـ- ثقته بنفسه وفخره بأسرته :

ما كان عمرو بن العاص انانيا، وكان يقر بالواقع لكن اقراره هذا ينم عن شخصية عظيمة لم تلتفت للأمور التافهة، فهو لما قورن بأخيه هشام قال : «ان لهشام اربعه، امه ابنة هشام ابن المغيرة، وأمي قد عرفتم، وكان احب الى أبيه مني وقد عرفتم الوالد بالولد وأسلم قبلي، واستشهد وبقيت» (٣)، فقد اعترف عمرو بن العاص بفضل اخيه إذ أنه اقر حقيقة كان المجتمع ينظر اليها بمعايير معينة من ناحية الأحساب والأنساب، ونظر لوضع امه .

ولم يكن عمرو بن العاص رضي الله عنه يتنازل عن اهمية والده، فهو اليه ينتمي وبه يتصل، فقد عرفناه يفخر بأبيه على عثمان بن عفان رضي الله عنه اذ

---

(١) ابن عبد ربه، م.ن ، ٢ :٢٨٩.

(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٤ :٣٥٦ .

(٣) ابن قتيبة : المعارف، ٢٨٥ :٢٨٦.

قال : «فوالله للعاص كان اشرف من أبيك»، قال مخاطبا محمد بن مسلمه[1] : رأيت العاص بن وائل يلبس الديباج[2] المزرر بالذهب، وان الخطاب بن نفيل ليحمل الحطب على حماره بمكه» .[3]

وقال مخاطبا عمر بن الخطاب لما عاتبه في كثرة ثروته بمصر : «فإن لنا احسابا هي خير من العمل لك ان رجعنا اليها عشنا بها » .[4] من هاتين الروايتين نتبين مدى تعلق عمرو بن العاص رضي الله عنه بشخصية والده وليس بعيدا ان تكون هذه الشخصية قد أثرت في بناء شخصيته وثراء اهله في الحجاز. ويعبر عمرو بن العاص عن حزمه وثقته بنفسه قائلا : «ما استودعت رجلا سرا فأفشاه فلمته لأني كنت اضيق صدرا من حيث استودعته إياه حتى أفشاه» .[5] وهذا في مدي تحمل الانسان للمسؤولية، وعدم القاء اللوم على الغير وعدم ترك الظروف تتحكم في مصائر الإنسان، وهي من صفات السياسي الواثق بنفسه .

هـ- آخر كلمات عمرو بن العاص رضي الله عنه :

واختتم عمرو بن العاص رضي الله عنه حياته في هذه الدنيا بكلمات تعبر عن واقع حاله وما لحق به فيها فقال : «ثم اصبحت امارات وكانت فتن فأنا مشفق من هذا الطبق . . . اللهم لا اعتذر ولكني استغفر اللهم انك امرت بأمور فتركنا ونهيت فركبنا فلا بريء فاعتذر ولا عزيز فانتصر ولكن لا إله إلا أنت»، وقال : «يا بني انه نزل بأبيك خلال ثلاث اما أولاهن فانقطاع عمله، اما الثانية

---

(١) محمد بن سلمه رسول عمر بن الخطاب لمقاسمة عمرو بن العاص رضي الله عنه امواله.

(٢) الديباج : نوع من القماش الناعم .

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ١٤٦ ونحو ذلك يذكر ابن عبد ربه : العقد الفريد، ١ :٤٨ .

(٤) ابن عبد ربه : العقد الفريد، ١ :٤٦ .

(٥) ابن عبد ربه : م.ن :٥٦. بن عبد الحكم : فتوح مصر، ١٨١، أما بن تغري بردي : النجوم - الزاهرة،١ :١١٥ فيقول « ثم تلبست بعد ذلك بأشياء فلا أدري اعلى ام لي». وهنك تشابه في بقية الكلمات بينهما .

فهول المطلع، وأما الثالثة ففراق الأحبة وهي اسرهن . اللهم انك امرت فتوانيت ونهيت فعصيت، اللهم ومن شيمك العفو والتجاوز»، [١] ونجد من كلماته انه قال : «اللهم امرتنا فعصينا ونهيتنا فما انتهينا ولا يسعنا إلا عفوك» .[٢] هكذا ودع عمرو بن العاص رضي الله عنه حياته بهذه النفسية المعترفة امام ربها والتي لا تملك لصاحبها نصرا في آخر لحظات حياته فعبر بإيجاز وشمول عما اصابه من خير دنياه وشرها . هذا عمرو بن العاص رضي الله عنه سريع البديهة في الرد على خصومه وفي ابتكار الأساليب، وفي فتح الحوار كما اسلفنا مع كل من النجاشي، وابي موسى الأشعري اثناء قضية التحكيم، لم يكن يعجز عن إيجاد الرد المناسب لأي موقف يتعرض له، وكانت سرعة بديهته هذه تبدو فضلا عما ذكرناه مع اصدقائه او المقربين اليه على شكل مزاح او رد عفوي او جاد . وكان جالسا ذات مرة مع معاوية والمغيرة بن شعبه وزياد بن أبيه يتباحثون في أمر الدهاء والذكاء، فلما انفض المجلس من المغيرة وزياد قال له معاوية : «اما ذانك (يقصد المغيرة ابن شعبه وزياد ابن ابيه) فقد غابا، فهات بديهتك يا عمرو، قال: وتريد ذلك؟ قال : نعم، قال : فاخرج من عندك، فأخرجهم معاوية فقال عمرو : يا أمير المؤمنين أسارك، فأدنى معاوية رأسه فقال : عمرو هذا من ذلك من معنا في البيت حتى اسارك» .[٣]

ثانيا : من خطبه :

خطب عمرو بن العاص رضي الله عنه يوم الجمعة فقال : «يا معشر الناس اياي وخلال اربعا؛ فإنها تدع الى النصب بعد الراحة والى الضيق بعد السعة والى المذلة بعد العزة : إياي وكثرة العيال، واخفاض الحال، وتضييع المال،

---

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٤/ ٤٦٠ وابن عبد الحكم : م.ن، ٢٨٢.

(٢) ابن تغري : م.ن، ١١٥.

(٣) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة، ١:١١٦.

والقيل بعد القال، في غير درك ولا نوال، ثم انه لابد من فراغ يؤول اليه المرء في توديع جسمه، والتدبير لشأنه، وتخليته بين نفسه وبين شهواتها، ومن صار الى ذلك فليأخذ بالقصد والنصيب الأقل . ولا يضيع المرء في فراغه نصيب العلم من نفسه فيحور من الخير عاطلا وعن حلال الله وحرامه غافلا . . . واستوصوا بما جاورتموه من القبط خيرا».[1]

لقد اشتمل هذا الجزء من خطبته على امور تنم عن تجربة صاحبها وفيها من دروس في تربية النفس ما فيها، فضلا عن الأمور التربوية والدينينة، وقد احتوت اربعة امور يؤدي الاسراف فيها الى تغير احوال الإنسان، فضلا عن وصيته بحسن معاملة الجيران، وهذه الأمور هي :

١- كثرة العيال : وكأن عمرو بن العاص رضي الله عنه لا يرغب في كثرة النسل حتى يتمكن الأب والأم من رعايتهم حق الرعاية، ويحسنان تربيتهم دون سؤال او مذلة لكفايتهم .

٢- اخفاض الحال : لأن في التراجع النفسي بداية في التردي والتقهقر لحالة فاعله؛ حتى يتربى الانسان على الإقدام، ويكون فاعلا في مجتمعه لا متخاذلا انانيا في تصرفاته .

٣- تضييع المال : وهو درس يدل علي فهم صاحبه، وتنظيمه للأمور الاقتصادية، وكأنه يأمر الناس بإنفاق المال في وجوهه المشروعة دون إسراف ولا غل، حتى يكون الإنسان معتدلاً غير مبذرٍ لماله .

٤- الكلام دون هدف : فهو لا يوصل صاحبه الى ما يصبوا اليه، ولا يحقق له منفعة، وقد ينقل المرء الى المخاصمات والمجادلات التي لا نفع منها، ولا جدوى فإن الصمت حكمة وقليل فاعله .

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ١٤٠-١٤١ لم نكمل الخطبة نظرا لطولها وآثرنا هذه المقدمة لما تحتويه من امور جديرة بالذكر وينقل ابن تغري بردي : النحوم الزاهره. ١ : ٧٢-٧٣ مع بعض التغيير في الكلمات.

احب عـمرو اهـل مصـر واحبوه، ولـذا عمـل جهـده ألا يؤذي شـعور اي منهم، وآلا يتعـدى احد جنوده عليهم وحتى تستمر هذه العلاقة الطيـبة فقد امر جنده من الفاتحين بالإحسان اليهم اثناء مجاورتهم في المراعي . تنم هذه الدروس وغيرها في هذه الخطبة : عن ايمان عمرو فـي ان ينتهي الانسان عن المفاسد لأنها مهينة للنفس ومـفسدة للجسم، ولأنه مفارق هذه الدنيا، وعليه مـفارقتها محسنا لا آثما، عـالما ساعيا الـى العلم لا جـاهلا متنطـعا، وهذه الكلـمات الدقيـقة في تعابيرها تنم عن عـقلية رجل سياسي قادر على وضع كلماته وتـعابيره في مكانها وزمانها المناسبين.

ثالثا : العامل المؤثرة في عقيلته السياسية :

مما سبق مـن معايشة عمرو بن العاص للأحداث العـظيمة التي تـمكن من ايجاد الحلول لها والتي تنم عن عقلية سياسية كبيرة المجبت في عصر تزاحمت فيه الأحداث يمكـننا ان نوضـح العوامل التـي اثرت في بنـاء شخصيتـه السياسـية بما يلي:-

١- ظروف البـيئة : فقد عـرفنا احوال مكة، ومـا مرت به من ظروف حـضارية واحداث سياسية، وتقلبات عسكرية، مما اثر في بناء شخصية عمرو .

٢- اسفار عـمرو : فقد ارتحـل عمر الى بـلاد الشام ومصـر والى اليمـن وعُمان والى الحبشة عـن طريق الـتجارة اولا، ثم عـن طريق الـفتح ثـانيا، فـعرف السكان وطباعهم وعاداتهم مما أثر في عقليته السياسية وكون لديه خبرة اهلته لتحمل المسؤولية حيال الأمور الجسام .

٣- الاحتـكاك بالقـادة السيـاسيين والعـسكريين : فـقد كان عـلى صلة وصـداقة بالنجاشـي ملك الحبشة ذي الثقافة المسيحية واحتك بالروم وقـادتهم في كل من بلاد الشام ومصر، واتصل بابني الجلندي ومجتمعها وما كان لديهما من ثقافة الفرس، فأثر هذه الإحتكاك في بناء شخصية عمرو السياسية .

٤- الوضع الاجتماعي لاسرته: عرفنا العاص بن وائل زعيما في قريش، وادركنا هشاما اخا عمرو مسلما مخلصا، وكذلك ابن عمرو عبد الله، وعرفنا مركز بني سهم، ودورهم من قريش، فكان لتلك الظروف الاجتماعية اثر في تقديم شخصية عمرو، وربما كان الوضع الذي لم يكن له ذنبا في صنعه .

رابعا : افكار عمرو بن العاص السياسية :-

عرفنا عمرو بن العاص قائدا سياسيا ناجحا حيال الامور التي اوكلت اليه والتي ذكرنا بعضا منها؛ حتى شهد له عمر بن الخطاب بطلك فقال : «والله ما علمت عميرا الا حازما مليح التدبير، ضابط الأمر، حسن الساسة»[1] ولقد بلغ من اعجاب عمر بن الخطاب انه قال عنه «هذا كسرى العرب»[2]، ومما اسلفنا حول سلوكه السياسي وبعض اقواله يمكننا ان نلمح افكاره السياسية ونفصلها بما يلي :

١- القدرة علي المجابهة الفورية، وسرعة البديهة، فقد اتصف عمرو بن العاص في احلك مواقفه كما رأينا سابقا بقدرته على المواجهة، وسرعة البديهة في الرد على خصومه، لا يعجز في ايجاد الحلول .

٢- دقة الكلمات، والقدرة على تحديد الهدف، اذا كان قادرا على تصوير اهدافه بكلمات معبرة كافية لحيل خصمه، حتى لا يفتح عليه ابوابا جديدة، ويثنيه عن عزمه فلا يصل الى هدفه .

٣- الاستطلاع والاستعداد فضلا عن القدرة على المناورة كما رأيناه مع الأرطبون في فلسطين وغيره من قادة الروم في مصر .

---

(١) الواقدي : فتوح الشام، ٢ :٣٨.

(٢) السيوطي : الخصائص الكبرى : ١٥٥.

٤- التركيز على العوامل النفسية، فقد استغل عمرو بن العاص رضي الله عنه ظروف خصمه النفسية احسن استغلال كما لاحظنا ذلك أثناء حصاره المتعدد في فلسطين ومصر، وعن طريق اختيار اعضاء وفوده، وعدم التنازل عن شروطه .

٥- سعة الأفق وطول النفس، فقد كان يتحمل الصعاب، ويحسن التصرف فضلا على توقعاته الصادقة والسليمة .

٦- الثقة بالنفس : عرفنا كيف اقدم على الفتح في بلاد الشام بثقة كبيرة وبرز مخططا ناجحا، ثم كيف هون فتح مصر على عمر بن الخطاب، وكانت كلماته تنم عن ثقة في نفسه وكيف ساس مصر بثقة فائقة .

٧- النتائج من خلال عرضنا السابق عرفنا ان عمراً كان في معظم الأحيان يصل الى اهدافه بالطرق العسكرية حينا، وبالطرق السياسية احيانا، وان اخفق عمرو في بعض الأمور .

المبحث الثالث

صورة عمرو بن العاص

اتناول في هذا المبحث صفات عمرو بن العاص رضي الله عنه الجسمية اولا والأخلاقية ثانيا علنا على ضوء ما توفر لنا من مصادر نوفق في رسم حقيقية او سليمة على الأقل .

أولا : صفاته الجسمية :

كان عمرو بن العاص رضي الله عنه رجل عسكري يتمتع بجسم سليم قوي، بارز الملامح، ذو عضلات مفتولة تلائم صورة الجندي المقاتل، فقد كان يجيد اشكال الرياضة بمفهومها الحالي، حيث كان يعرف السباحة كما يعلمنا اليعقوبي: «فدفع عماره عمرو في البحر فسبح ونادى اصحاب السفينة فرفعوه»[1] ورأينا في مختلف ادوار حياته فارساً يمتطي صهوة جواده ،قائداً للخيل مما يدل عل سلامة بنيته الجسمية. أفرد لنا ابن عبد الحكم وصفا وافيا لهيئة عمرو بن العاص رضي الله عنه في موضعين الأول في هيئته الجسمية حيث يقول : «وكانت صفة عمرو بن العاص رضي الله عنه . . . قصيرا، عظيم الهامة ناتيء الجبهة، واسع الفهم، عظيم اللحية، عريض ما بين المنكبين، عظيم الكتفين والقدمين قال الليث : يملا هذا المسجد [2]. فهذه الصفات تتلائم مع هيئة القائد وصفة المتكلم الحاذق كما أسلفنا . أما الرواية " « فقام عمرو بن

---

(١) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٠ وابن كثير : السيرة النبوية ٣ : ١٣.
والصالح : سبل الهدى والرشاد، ٢ : ٥٢٢.
(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ٥٨.

العاص رضي الله عنه على المنبر فرأيت رجلا ربعه، قصير القامة، وافر الهامة ادعج ابلج» [(١)] . وتتشابه هذه الصفات مع ما ذكر سابقا . ولما كبر عمرو بن العاص رضي الله عنه اخذ يصبغ بالحناء، كما يخبرمنا ابن عبد الحكم اذا يقول: «وقد صبغ لحيته بسواد فقال : عمر من انت قال : انا عمرو بن العاص فقال عمر بن الخطاب عهدي بك شيخا وانت اليوم شابا عزمت عليك إلا ما خرجت فغسلت هذا» [(٢)]، يبدو ان عمراً كان يستعمل الخضاب لما تقدمت به السن ليظهر فتيا في عيون خصمه، فيزداد هيبة، ويبدو قويا في نظر من يحتك به من غير المسلمين .

ونرى العسقلاني يتمم لنا هذه الصفات من رواية شماسة قائلا : «كان قصيرا، دحداحا» [(٣)].

اما الصالحي فينفرد عن غيره في ذكر صفات عمر بوجهة نظر اخرى مخالفة لما ذكر، قائلا : «ان عمرو كان رجلا ذميما» [(٤)] ومما سبق يمكننا استنتاج صورته كما يلي:-

١- كان عمرو بن العاص قصير القامة بإجماع الروايات السابقة ممتلىء الجسم يميل الى الضخامة .

٢- كان سمح الوجه باشا، شديد سواد العينين، واسع اللفم .

٣- كان كث الشعر، ذو لحية كبيرة وافرة، وأنه كان يصبغها بالحناء .

٤- ربما كان قصره مفرطا، وهامته وافية بشكل مفرط مما جعل في شكله بعض

---

(١) ابن عبد الحكم : م.ن، ١٤٠ ادعج : شدة سواد العين . مختار الصحاح، ص ١٦١ . ابلج : طلق الوجه ذو كرم ومعروف، المعجم الكبير، ٢:٥٠٥، ابلج : مشر الوجه : مختار الصحاح ١:٤٦ .

(٢) ابن عبد الحكم م.س، ١٧٩-١٨٠ .

(٣) العسقلاني : الاصابة في تمييز الصحابة، ٢:٣ الحداح : من الرجال، القصير الغليظ لبطن . المعجم الوسيط . ٢٧٢ عم ٢ .

(٤) الصالحي : سبل الهدى والرشاد، ٢:٥٢٢ نقلا عن ابن هشام : السيرة النبوية، ١:٣٣٢ الى ٣٣٨ .

الغرابة الأمر الذي صوره لنا الصالحي بهذه الرواية السالفة الذكر على لسان أبي موسى الأشعري .

ثانيا : أخلاق عمرو بن العاص :

كان عمرو بن العاص على درجة عالية من الأخلاق، حيث كان للدين الاسلامي اثراً في توضيحها، وكان الصدق رائده وابعد ما يكون عن الكذب، فقد تمثل الدين سلوكا، وعملا ولذا كان جوابه لعبد ابن الجلندي كما يخبرنا الحلبي قائلا : «ما كذبت وما نستحله في ديننا» [1]. لقد كانت أخلاقه واضحة كل الوضوح بعيدا عن التملق واللف والدوران، مما يدل على بعد نظره، وسلامة حدسه، وبعده عن الكذب والرياء، فهذا قبيسة بن جابر يعلمنا عن أخلاقه قائلا: «صحبت عمرو بن العاص رضي الله عنه فما رأيت رجلا أبين قرانا ولا أكرم ولا أشبه سريره بعلانية منه» [2] وهذه الصفات من أهم صفات القائد السياسي، اذ تكون أخلاقه كريمة مع من حوله فيتعلق به أصحابه، وبوضوحه هذا تُبْعِد عنه الدسائس، اذ لا يجد أصحابها مبررا لها فيظهر نقيا بعيدا عن الغموض فيسمع الجميع منه، ولقد زاد من أهمية عمرو بن العاص وحسن أخلاقه ودعمهما، فصاحة اللسان حتى ضرب به المثل، فهذا عمر بن الخطاب قد اتخذه مثلا في الفصاحة وسلامة النطق كان يقول لما يرى الرجل يتلجلج في نطقه : « أشهد أن خالق هذا وخالق عمرو بن العاص واحد» [3] ولقد كان

---

(١) الحلبي : السيرة الحلبية، ٢: ٣٧٤.

(٢) العسقلاني : الاصابة في تمييز الصحابة، ٣: ٢ وكذلك تهذيب التهذيب : ٨: ٦ أما الذهبي : سير الأعلام والنبلاء، ٣: ٥٧ ينقل نفس الرواية مع تغير بعض الألفاظ : «صحبت عمرو بن العاص (رضي الله عنه) فما رأيت انفع رأيا ولا أكرم جليسا ولا أشبه بعلانية منه» .

(٣) العسقلاني : م.س ٣: ٢ وتهذيب التهذيب ٨: ٥٧ أما ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ٣: ١١٨٨ فيروى ما يشبه ما ذكر آنفا قائلا : «أشهد ان خالقك الاضضاد ومهما يكن من أمر فإن ما رواه ابن عبد البرد يدل دلالة واضحة على سلامة نطقه وصحة لسانه .

كريم الأخلاق كريم الفعال كما يروي لنا ابن سعد عن مرؤته في طبقاته قائلا : «فقد قيل لعمرو ما المرؤة فقال يصلح الرجل ماله ويحسن الى اخوانه» [1] هذه الأخلاق المحسنة التي بدى من خلالها عمرو بن العاص رضي الله عنه متفاعلا مع الجميع محسنا الى الجميع باذلا ماله بمرؤة شهامه .

ثالثا : رأى القادة فيه :-

شهد القادة العظام بعقلية عمرو بن الخطاب العسكرية منها والإدارية والسياسية فكانت هذه الشهادات اضافات الى تاريخه الحافل بالمآثر، فقد عرفنا سابقا أن رسول الله ﷺ شهد له بايمانه كما أسلفناوفضلا على ذلك فنرى ابن عبد الحكم يقول في حديثه آخر : «عمرو بن العاص من صالحي قريش»، [2] ويروي لنا السيوطي عن مدح رسول الله ﷺ لعمرو ووصفه اياه بالحكمة قائلا: سيقدم عليكم الليلة رجل حكيم مهاجر فقدم عمرو بن العاص» [3] ولعمر بن الخطاب آثار كثيرة في بيان فضل عمرو الإشادة بعقليته، حيث كان مرة يخطب على المنبر فأقبل عمرو بن العاص فقال عمر بن الخطاب : «هذا عمرو بن العاص رضي الله عنه قد أتاكم ما ينبغي لعمرو أن يمش على الأرض إلا أميرا»، [4] وعرفنا ما قاله عنه أثناء حربه مع الروم في بلاد الشام مع الأرطبون سابقا، ولقد اعترف الأطبون نفسة بمنزلة عمرو بن العاص رضي الله عنه مخاطبا اياه في رسالة وجهها له قائلا : «انك صديقي ونظيري أنك في قومك مثلي في قومي». [5] كان عمرو بن العاص ظاهرة فريدةً في عصره حتى اعتُرفَ له بقدرته على تحمله المسؤولية والقدرة على خوض الصعوبات، فصار مثلا على كل لسان

---

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى، ٤:٨.

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ١٨٠.

(٣) السيوطي : الخصائص الكبرى، ٢:١٥٥.

(٤) ابن عبد الحكم : م.س. ١٨٠، العسقلاني، الاصابة في تمييز الصحابة، ٣:٢ والذهبي: سيرة الأعلام والنبلاء، ٣:٥٧.

(٥) الطبري :تاريخ الرسل والملوك، ٣:٦٠٦.

حتى انهم جعلوه قمة الدهاء والدهاة ومن ذلك ما يخبرنا عنه ابن حجر العسقلاني في رواية الشعبي قائلا : «دهاة العرب أربعة : معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وزياد، فأما معاوية فللحلم، وأما عمرو فللمعضلات وأما المغيرة فللمبادهة، وأما زياد للصغيرة والكبيرة» (١) . هذه أخلاق عمرو بن العاص رضي الله عنه وهذه قدراته وسلوكه في مواجهة الظروف التي يتعرض لها والتي كان قادر على ايجاد الحلول لها مهما صعبت حتى وضع في وصفه السابق للمعضلات .

رابعا : شخصية عمر بن العاص رضي الله عنه :-

مما سبق يمكننا أن نصف شخصية عمرو بما يلي :-

١- الحكمة والايمان والصلاح : فقد وصفه رسول الله ﷺ في كثير من الأحاديث ورأينا من أقوال عمرو بن الخطاب كذلك .

٢- حسن التدبير : فقد ظهر عمرو بن العاص رضي الله عنه في جميع مواقفه التي ذكرناها سابقا بما ينم عن حسن ادارته السياسية والعسكرية والإدارية.

٣- الإصرار : ظهر عمرو بن العاص رضي الله عنه في موقفه العسكرية ومناقشاته السياسية مصرا على الوصول الي هدفه باذلا الجهد ومبتدعا الأساليب كما ظهر في موقفه مع النجاشي والأرطبون .

٤- الدقة وضبط الأمور : فقد عرفنا مدركا لما يفعل مؤمنا بما يقول متمسكا بماقفه حاصرا همه من اجل تحقيقها .

(١) العسقلاني : تهذيب التهذيب، ٨ :٥٧ ونرى ابن تغري بردي : النجوم الزاهره، ١ :٧٢ يذكر هذه الرواية .

٥- الأقدام : فقد بدا مقداما في جميع مواقفه العسكرية، والسياسية حتى قيل عنه انه للمعضلات كما أسلفنا .

٦- حسن السياسة : ويتبع هذا الأمر حسن الإدارة في أحوال العسكرية والمدنية.

وبالرغم مما سبق من هذه الصفات فلم يكن عمرو بعيدا عن الهفوات ولا من بعض السلبيات ولكنها على وجه العموم لم يكن مبعثها من ذات عمرو بن العاص بمقدار ما كانت للظروف أثامل في صنعها، فضلا عن كونه صحابي جليل لا يجوز شتمه شرعا . هذه صورة عن عمرو بن العاص الصحابي الجليل الخلقية، وهذه صفاته بوجه عام خاليه من أي ميل نفسي، أو هوى تمكنا من رسمها على ضوء ما توفر لنا من المصادر المحايدة وما تمكنا من أخذه من بعض المصادر النابذة له والمغرضة ونأمل أن نكون قد وفقنا في رسمها .

وأننا إذ نضع هذه الصورة المتكاملة لهذا القائد والسياسي، فإننا لا ندعي أنهما النتيجة النهائية الخالصة حتى يكشف لنا عن مخطوطات ومصادر جديدة أخرى والكمال لله بهذا تمكنا من معرفة سيرة هذا القائد والسياسي بجميع جوانبها فعرفنا فيه صفات القائد السياسي والعسكري والإداري المخطط الناجح في جميع ظروفه، ومواقفه بشهادة من شهد فيه كما أسلفنا، فلمحنا من خلال هذه الشخصية نموذج القيادة الفذه في جميع أنماط حياة عمرو بن العاص والله الموفق .

تسلسل نسب عمرو بن العاص

النضر (عامر) وهو قريشي

↓

مالك

↓

فهر

↓

غالب

↓

لؤي

↓

كعب

↓

قُصيص

↓

عمر

↓

سهم

↓

سعيد

↓

هاشم

↓

وائل

↓

العاص

↓

محمد - عمرو - هشام

فهرس المصادر والمراجع

أ- فهرس المصادر العربية :

١- ابن حبيب، محمد بن حبيب بن أمية ابو جعفر (ت ٢٤٥/ ٨٥٩م) المحبر (تحق) ايلز شتيشر . بيروت، المكتب التجاري للطباعة والنشر (لا .ت) امج .

٢- ابن سعد، محمد بن سعد بن الأزهر، ابو عبد الله (ت٤ جمادى الآخرة ٢٣٠ه(/ فبراير ٨٤٤م). الطبقات الكبرى (تقديم) احسان عباس. بيروت، صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعهة والنشر، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م . ٨مج.

٣- ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله بن اعين، القرشي، المصري، (ت ٢٥٧هـ/ ٨٧٠م) . فتوح مصو وأخبارها . بغداد، ط. جديدة، مطبعة مكتبة المثنى ببغداد، (لا .ت) ١ مج .

٤- ابن قتيبة، عبد الله بن محمد بن مسلم، الدينوري، (ت ٢٧٦هـ/ ٢٨٩م) . المعارف (تحق) ثروة عكاشة . القاهرة، دار المعارف بمصر، ط٢ منقحه ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م ١٠ مج .

٥- ابن هشام، عبد الله بن هشام. ابو محمد، المعافري (ت ٢١٣هـ/ ٨٢٨م). السيرة النبوية (تحق) طه عبد الرؤوف سعد . القاهرة، المطبعة الفنية للطبع والنشر والتجليد .

٦-- الأزرقي، محمد بن عبد الله بن أحمد، أبو الوليد الأزرقي (٢٢٣هـ/ ٨٣٧م). أخبار مكة (تحق) رشدي الصالح ملحس . بيروت، مطبعة دار الثقافة، ط٣ (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) . ١ مج .

٧- البلاذري، احمد بن يحيي بن جابر، ابو الحسن البلاذري (٢٧٩هـ/ ٨٩٢م).
أنساب الأشراف (تحق) احمد باقر المحمودي، بيروت، موسسة الأعلى للطباعة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م . ٢مج .

٨- خليفة بن خياط بن أبي هبيره، ابو عمر الليثي، العصفري (ح ١٦٠ هـ / ٧٧٦م - ٢٤٠ هـ / ٨٥٤م). تاريخ خليفة بن خياط (تحق) د/ اكرم ضياد العمري.
الرياض، دار طيبه، ط٢، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥ك امج .

٩- الزبيدي، المصعب بن عبد الله بن المصعب بن ثابت، ابو عبد الله الزبيدي (ح ١٥٦هـ/ ٧٧٢م - ٢٣٦هـ/ ٨٥٠م) . كتاب نسب قريش (تحق) ليفي بروفنسال، دار المعارف للطباعة والنشر، ١٩٥٣م . ١ مج .

١٠- الطبري، محمد بن جرير، ابو جعفر، الطبري (ت ٣١٣هـ/ ٨٣٨م - ٣١٠هـ/ ٩٩٢م) . تاريخ الرسل والملوك (تحق) محمد ابو الفضل ابراهيم . القاهرة، دار المعارف ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م . ص مج .

١١- الكلبي، هشام بن محمد بن السائب، الكلبي (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م) . جمهرة نسب قريش صوره لمخطوطة (تحق وخط) محمود فردوس العظم، (مراجعة حمود فاخوري . دمشق دار اليقظة ١٩٨٣ . ١مج .

١٢- المنقري، نصر بن مزاحم بن سيار، ابو الفضل، المنقري (ت ٢١٢هـ/ ٨٢٧م) موقعة صفين، (تحق) عبد السلام محمد هارون. القاهرة، المؤسسة العربية الحديثة، ط٢، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م . ١مج .

١٣- الواقدي محمد بن عمر بن واقد (ت ٣٠٧هـ/ ٨٢٢م) فتوح الشام وبهامشه كتاب الدره المكلله في فتح مكه المشرفه للشيخ عبد الله الشرقاوي . بيروت، دار العلم للجميع. ٢ مج .

- المغازي والسير (تحق) مارس فاجونسن، بيروت، عالم الكتب، ٣ مج .

ب- فهرس المراجع العربية :-

١- ابن الأثير علي بن محمد بن عبد الكريم، ابو الحسن (ت ٦٣٠هـ/ ١١٣٦م) . أسد الغابة في معرفة الصحابة (تصحيح مصطفى وهبي، القاهرة، جمعية المعارف والنشر، ١٣٨٤ - ١٩٨٦) . ٥ مج .

- الكامل في التاريخ . بيروت، دار صادر للطباعة والنشر، ودار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٨٥/ ١٩٦٥م . ١٢ مج .

٢- ابن تفري بردى، يوسف بن تفري بردي، ابو المحاسن جمال الدين الاتابكي (ح ٨١٣هـ/ ١٤١٠م - ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م) . النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . نسخة مصوره عن طبعة دار الكتب، المؤسسة المصرية للتاليف والترجمة والنشر، مطابع كوساتوماس . (لا . ت) .

٣- ابن حجر العسقلاني احمد بن علي، ابو الفتح بن علي ح ٧٧٣هـ/ ٢٣٧١م - ٨٥٢هـ/ ١٤٤٢م) . الإصابة في تمييز الصحابة، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى بزول شارع محمد علي بمصر، مطبعة مصطفى محمد بمصر، ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م . ١٣ مج .

٤- ابن حزم، علي بن احمد بن سعيد، الأندلسي (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م) . جمهرة انساب العرب (تحق) أ. ليفي بروفنسال . القاهرة، دار المعارف، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م . ١ مج.

٥- ابن سيد الناس، محمد بن محمد بن محمد، ابو الفتح، فتح الدين، الجمري (ت ٧٣٤هـ/ ١٣٣٣م) . عيون الأثر في فنون المغزي والشمائل والسر (تحق) لجنة أحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة. بيروت، دار الافاق الجديدة، ط٢، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م . ٢ مج .

٦- ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد، ابو عمر (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م) . الاستيعاب في معرفة الأصحاب . حيدر اباد الدكن، مطبعة دائرة المعارف النظامية، ط٢، ١٣٣٦ه(ـ/ ١٩١٧م .

٧- ابن عبد ربه، احمد بن محمد، ابو عمر الاندلسي (ت ٣٢٨/ ٩٣٩م) . العقد الفريد (شرح) احمد امين، واحمد الزين، وابراهيم الانباري . القاهرة، لجنة التاليف والترجمة والنشر، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥ . ٧مج .

٨- ابن العبري، غريغور يوس بن أهرون بن توما، ابو الفرج جمال الدين (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م) . مختصر الدول (تحق)، انطوان صالحاني اليسوعي بيروت، المكتبة الشرقية، ط٢، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م . ١مج .

٩- ابن قدامه، موفق الدين محمد بن احمد بن محمد بن قدامه ابو محمد، المقدسي (ت ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م) . التبين في انساب قريش (تحق) محمد نايف الديلمي . بغداد، المجمع العلمي العراقي ١٤١٢هـ/ ١٩٨٢م . ١مج .

- الرقة والبكاء صوره مخطوطه لدينا عن الأصل الموجود في دار الكتب بالقاهرة تحت رقم ٥٨٢ تصنيف تاريخ، تاريخها ٨٠١هـ .

١٠- ابن القفطي علي بن يوسف، جمال الدين (ت ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م) . تاريخ الحكماء، بغداد، مكتبة المثنى، مطبوعة بالافست عن نسخة طبعة لا يبرغ في ١٩٠٣م . ١مج.

١١- ابن كثير، اسماعيل بن عمر، ابو الفداء، عماد الدين (٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م). البداية والنهاية، بيرت، دار الفكر ط جديدة منقحه، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م . ١٤مج.

- السيرة النبوية (تحق) مصطفى عبد الواحد. بيروت، دار الفكر، ط١٣٩٨٢هـ .

١٢- ابن النديم، محمد بن اسحاق بن محمد، ابو الفرج (ت ٣٤٨هـ/ ٩٥٩م). الفهرست. بيروت، مكتبة خياط . ١مج .

١٣- الاصفهاني، علي بن الحسن، ابو الفرج الاصفهاني (ت١٤ ذو الحجة ١٣٥٦هـ/ نوفمبر ٩٩٦هـ) . الأغاني . القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٩٣٦م.

١٤- البري، محمد بن ابي بكر عبد الله بن موسى الانصاري، التلمساني (ت٦٤٤هـ) الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة (تحق) محمد التوتنجي . (لا.ت) .

١٥- البغدادي، عبد اللطيف بن يوسف بن محمد، ابو محمد موفق الدين البغدادي (ت ٦٤٩هـ/ ١٢٥١م) . الفائدة والاعتبار، (ترجمة الى الانجليزية كمال حافظ زند وآخرون. لندن جورج الن)، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤ك . ١ مج .

١٦- الذهبي، محمد بن احمد بن عثمان ابو عبد الله شمس الدين، الذهبي (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) . تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام . القاهرة . مكتبة المقدسي ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م . ٧مج .

- سير الأعلام والنبلاء (تحق) شعيب الأرناؤوط وحسين الزسد . بيروت مؤسسة الرسالة، ط١ ، ١٤٠٣ه-/ ١٩٨٣م . ٢٢مج.

١٧- الزركلي، خير الدين. الأعلام . القاهرة، المطبعة العربية ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م . ٨مج.

١٨- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الشافعي (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م٩ . تاريخ الخلفاء، القاهرة، دار الفكر للطباعة والنشر والتزيع ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م . ١مج .

- حسـن المحاضرة في اخبر مصر والقاهرة . القاهرة مطبعة الموسوعات باب الخلق بمصر ١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م . ١مج .

١٩- الصالحي، محمد بن يوسف الصالحي، الشامي (ت ٩٤٣هـ/ ١٥٣٥م) . سبل الهدي والرشاد في سيرة خير العباد، (تحق) د/ مصطفى عبد الواحد. القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة احياء التاث الإسلامي، ١٣٩٤/ ١٩٧٤م.

٢٠- الفاسي، محمد بن احمد بن علي تقي الدين، ابو الطيب . (ت ٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م) . العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين . القاهرة مطبعة السنة المحمدية ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م . ٨ مج .

٢١- كحاله، عمر رضا كحاله. معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، بيروت مطبعة دار الرسالة، ط٢، ١٣٩٨هـ. ٥مج .

٢٢- الكلاعي، سليمان بن موسى، ابو الربيع الكلاعي، الاندلسي (ت ٥٦٥هـ/ ١١٦٩م - ٦٣٤هـ/ ١٢٣٦م) . حروب الردة تحق د/ احمد غنيم، القاهرة، دار الدراسات الإسلامية، ط١، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩ . ١مج .

٢٣- الكندي، محمد بن يوسف ابو عمر الكندي، المصري (ت ٣٥٥هـ/ ٩٦٥م) . اللولاة وكتاب القضاة (تحق) ارفن كست. بيروت، مطبعة الاباء اليسعيين ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م . ٢مج .

- ولاة مصر (تحت د/ حسين نصار. بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، دار صادر للطباعة والنشر . (لا. ت) ١مج.

٢٤- المسعدي، علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٦م)، التنبيه والإشراف بيروت، دار التراث ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م . ١مج.

- مروج الذهب ومعادن الجوهر. بيروت، دار الاندلس ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م .

٢٥- المقريـزي، احمد بن علـي، ابو العباس، تـقي الدين، المقـريزي، (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م) . المواعظ والاعتبار في ذكر الخطـط والآثار (خطط المقريزي) . بيروت مكتبة اخبار العلوم ١٩٥٩م . ٣مج .

٢٦- النووي، يـحيي بن شرف ابـو زكريا (ت ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م) . تهذيـب الأسماء واللغات، بيروت، دار الكتب العلمية، (لا.) . ٣مج .

٢٧- النيسـابوري، محمد بن عبد الله، ابو عبد الله، الحاكم النيسـابوري (ت ٤١٥هـ/ ١٠٢٤م) . المستـدرك على الصـحيحين حيـدر اباد الدكن، مطـبعة مجـلس دائرة المعارف النظامية، ١٣٣٤هـ/ ١٩١٥م - ١٣٢هـ/ ١٩٢٣م . مطبعة مجلس دار المعارف النظامية، ١٣٣٤ - ١٣٤٢/ ١٩١٥/ ١٩٢٣ .

٢٨- ياقوت الحـموي، ابي عبد اللـه ياقوت بن عبد الـله الحموي الرومي، الـبغدادي (٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) . معجم البلدان، بيروت، دار بـيروت للطبعة والنشر، ودر صالح للطباعة والنشر، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٥م . ٥مج .

ج- المراجع باللغة الأجنبية :

1- Butler J, Al Fred, The Arab Conqust of Eygypt. Oxford, At the Clerendon Press, 1902.

2- Gibb on and others. Enyclopedia of Islm, London, E.J. Brill. Kuzac & Co. 1965.

- Shorter of Enyclopaedia of Islam. Leiden E.J. Brill, 1974.

3- Lane Pool, Stanley, history of Egypt in the Middle Ages Frank Cass & Co. Ltds., 1968.

الفهرس

صدر للمؤلف

١- عيون المعارف وفنون أخبار الخرائف .

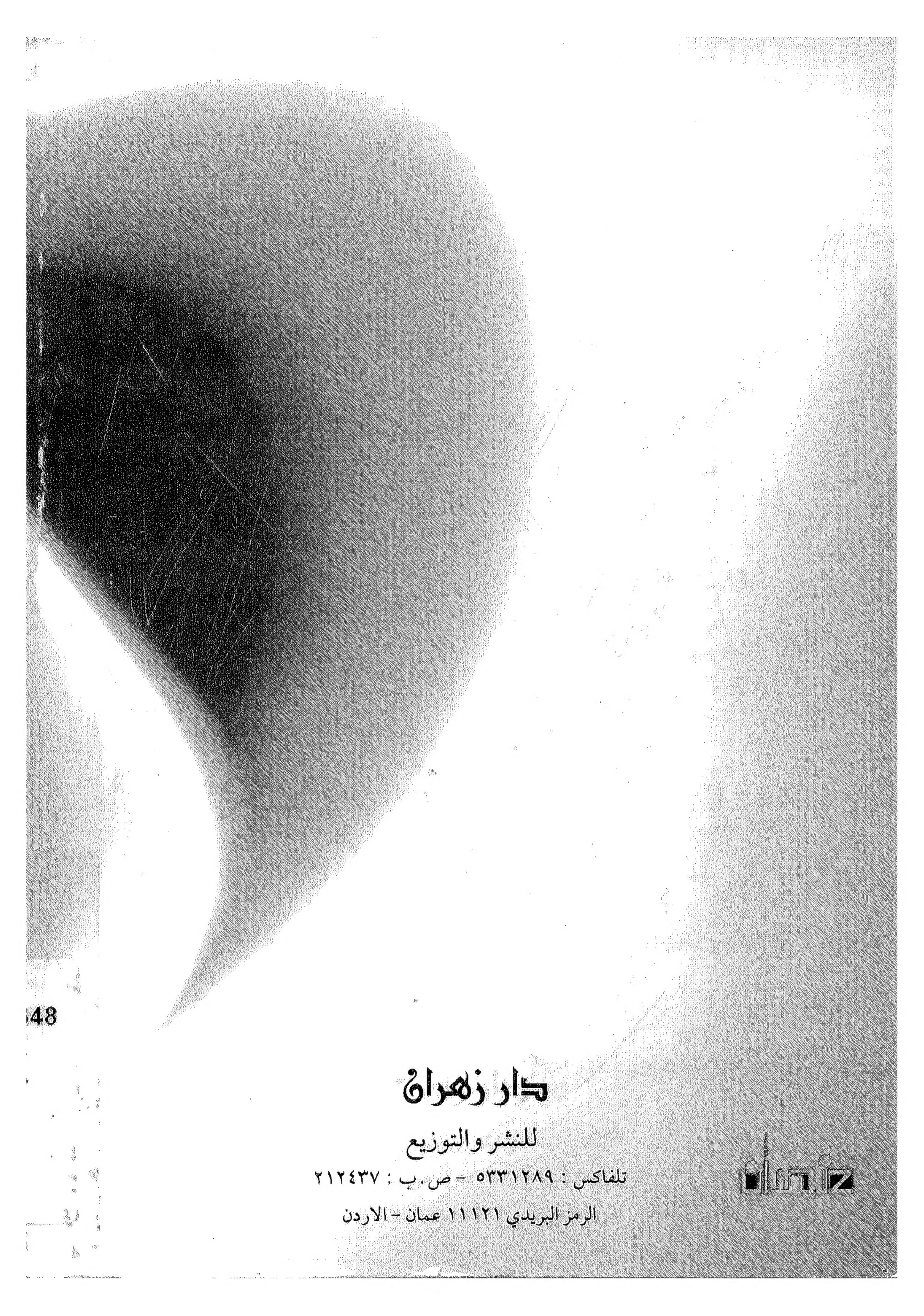
٢- فذلكة التواريخ .

٣- عمرو بن العاص القائد والسياسي .

قيد الاصدار

١- الرقة والبكار .

٢- الذيل المختصر على كتاب الأنباء عن الأنبياء .



48
دار زهران
للنشر والتوزيع
تلفاكس : ٥٣٣١٢٨٩ - ص.ب : ٢١٢٤٣٧
الرمز البريدي ١١١٢١ عمان - الاردن